

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة.
كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية والإسلامية
قسم التاريخ وعلم الآثار.

تطوّر العلوم النّقليّة والعقليّة في بلاد المغرب الإسلامي
على عهد الدّول المستقلّة (140-296هـ/757-909م).
مذكّرة تحرّج لنيل شهادة الماجستير في التّاريخ الوسيط.

إشراف الأستاذ الدكتور:
مسعود مزهودي.

إعداد الطالب:
بلقاسم جدو.

لجنة المناقشة

الاسم و اللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة
1- رشيد باقة	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة
2- مسعود مزهودي	أستاذ التعليم العالي	مشرفا و مقرا	جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة
3- حسين شرفة	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة
4- صليحة بن عاشور	أستاذ محاضر أ	عضوا مناقشا	جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة

السنة الجامعية: 1434-1435هـ/2013-2014م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر و تقدير

من شيم المروءة أن اعترف – بعد الله عز و جل – لأصحاب الفضل و الصنيع بما قدموه لي من وافر فضلهم و حسن صنيعهم لانجاز هذه المذكرة المتواضعة

- أمي و أبي أطال الله في عمرهما لحسن تربيتهما و رعايتهما
- أستاذي المشرف مسعود مزهودي لما أسداه من نصائح و إرشادات
- زملائي الطلبة و اخص منهم جلال أمباركي و عشي علي لمساعدتهما و دعمهما
- أعضاء اللجنة المناقشة على صبرهم و جميل قراءتهم لهذه المذكرة
- أسرتي الكريمة - زوجتي و أولادي - على ما وفرت لي من ظروف مساعدة على البحث

مقدمة

تناول الكثير من الباحثين المتخصصين- في مراحل سابقة- تاريخ بلاد المغرب في العصر الوسيط مُركّزين على التاريخ السياسي والعسكري لمختلف الفترات، هذه الدراسات لم يعد بإمكانها اليوم الوصول لأيّ جديد إلا في ماندر، وغدا من الضرورة أن يتّجه البحث الأكاديمي للتركيز على دراسة التاريخ الحضاري، الذي يعتبر تاريخ تطوّر العلوم فرعاً من فروعها، والذي بإمكانه تسليط الضوء على الحياة الثقافية التي هي بحاجة للتدقيق في كثير من معالمها للوقوف على مدى تفاعل الإنسان المغربي مع محيطه الحضاري الإسلامي الجديد.

هذا الانتماء الحضاري الإسلامي لبلاد المغرب في العصر الوسيط كان نتيجة جسور التواصل مع المشرق، وهي قائمة في حقيقتها على ارتباط سياسي سرعان ما بدأ يضمحل شيئاً فشيئاً، وعلى قاعدة دينية أصبحت ركيزة الحياة في المغرب، والتي ترسّخت وازدادت متانة مع تعاقب السنين، فالارتباط الديني والسياسي الذي نتج عن سنوات الفتح الأولى غاب وحلّ محله الولاء المذهبي والعصبي، ولكن بخصوصية مغربية.

فالدّين الإسلامي شكّل أساس الارتباط بالمشرق، ومارس هيمنته على تفكير المغاربة، وأصبح أداة الثقافة، فلغة المعرفة هي لغة الدّين، والثقافة هي ما ارتبط بالأوامر والنواهي، والعلوم هي ما يُعلّمه الفقيه في دروس الجوامع، والعالم هو الفقيه في الشّعور الجمعي المغربي.

لقد حتّ الدين الإسلامي على طلب العلم في مواضع كثيرة فانشغل المسلمون بتدريس القرآن والسنة منذ عهد النبوة، وازداد هذا الإهتمام بانقطاع الوحي بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، واستمرّ بعدها اعتناق الإسلام، وظهرت الحاجة لتفسير القرآن، وجمع السنة، ومعرفة أحكام الحلال والحرام، ثمّ تأكّدت ضرورة العناية بعلوم اللغة العربية لفهم النصوص الدينية، وأصبح المسلمون بعدها يبحثون عن ردود لانتقادات أصحاب الديانات الأخرى، فظهر علم الكلام.

مع تطوّر الحياة في المدن الإسلامية بدأ الإطلاع على معارف الحضارات القديمة في ميدان العلوم العقلية، وأخذت حركة الترجمة في النمو، وبالأخص في القرن الثالث الهجري، فعمل أهل المغرب على مواكبة الإهتمام بهذه العلوم لمعرفة دينهم وخدمة دنياهم.

وعليه فإنّ موضوع الدراسة يُعالج الإشكالية التالية: إلى أيّ مدى تطوّرت العلوم الثقلية والعقلية في بلاد المغرب الإسلامي في عهد الدّول المستقلة 140-296هـ/757-908م؟ وما علاقة ذلك بما كان يحدث من تطوّر في هذا المجال بالمشرق؟ وماهي العوامل التي ساعدت آنذاك على التطوّر؟ ثمّ؛ لماذا الإهتمام الشّديد بالفقه؟ وكيف عمل المغاربة على تطوير بقية العلوم الثقلية والعقلية؟ وهل وضع النشاط العلمي في عهد الدّول المستقلة قاعدة لحركة علمية فعّالة في القرون اللاحقة؟. وفي ما يتعلّق بتصنيف العلوم وتقسيمها إلى نقلية وعقلية، يرى ابن خلدون¹ أنّ العلوم الثقلية هي التي تعتمد على الخبر ولا مجال للعقل فيها، وأصلها الشّرع من كتاب وسنة، وهي: علوم القرآن، وعلوم السّنة (الحديث)، وأصول الفقه، والفقه، وعلم

¹(أنظر: المقدمة، دار الجيل، بيروت، صص 482-483 و517-528).

الكلام، وعلم التّصوّف، وتعبير الرّؤيا. أمّا علوم اللّسان العربي فيصنّفها على حدة، ويعتبرها ضروريّة لفهم النّصوص الدّينيّة (النقل)¹.

أمّا العلوم الّتي ترتبط بتفكير الإنسان فسمّاها العلوم العقليّة، وهي: علم المنطق، وعلوم ما وراء الطّبيعة، وعلوم الطّبيعة، والهندسة، والموسيقى، وعلم الهيئة، والطّب، والحساب، والفرائض، والفلك، والعلوم الفلسفيّة، والنّظر في النّجوم². وقد وافقه على ذلك من المحدثين حسن إبراهيم حسن³ وسعيد عبد الفتّاح عاشور⁴، مع اختلافات طفيفة، ولقد اعتمدنا هذا التّصنيف مع إدراج علوم الأدب ضمن العلوم التّقنيّة، وعلم التّاريخ في العلوم العقليّة.

فيما يتعلّق بالدراسات السّابقة فقد لاحظت أنّ عددًا هامًا من الأبحاث والرّسائل الجامعيّة إهتمّت بالجانب الحضاري لبلاد المغرب في العهد الإسلامي، ولكنّها لم تبحث في عمليّة التّطوّر بل غلب عليها جانب رصد المعلومات ووصف النّشاط الثّقافي، من ذلك كتاب يوسف بن أحمد حوالة، وعنوانه: "الحياة العلميّة في المغرب الأدنى منذ إتمام الفتح إلى منتصف القرن الخامس الهجري (90-450هـ)" ومضمونه رصد للنّشاط الثّقافي في جزء من الإطار الجغرافي لموضوع البحث، وهو ما يُقال عن "الحياة العلميّة في جبل نفوسة" لمحمود حسين كوردي، و"الدّولة الرستميّة" لإبراهيم بخّاز، و"القيروان ودورها في الحضارة الإسلاميّة" لمحمّد زيتون.

واستوفني كتاب "المذهب المالكي في الغرب الإسلامي" للنجم الدّين الهنتاتي، والّذي درس تطوّر الفقه المالكي فيبلاد المغرب بطريقة منهجيّة وتحليليّة بعيدًا عن رصد ووصف الوقائع التّاريخيّة، وهو الأقرب إلى موضوع دراستي القائم على تتبّع سير النّشاط الثّقافي في بلاد المغرب.

إنّ طبيعة الموضوع الّتي تركّز على تاريخ العلوم، وتطوّر الإنتاج المعرفي من جهة، وطبيعة المصادر والمراجع المتوفّرة من جهة أخرى حدّد عليّ استخدام مجموعة من المناهج:

- **المنهج التّاريخي** إستخدمته من خلال جمع المادّة التّاريخيّة، ونقدها، واستخلاص المعلومات الّتي تخدم موضوع الدّراسة من أجل إعادة بناء الحادثة التّاريخيّة.

- **المنهج الإستقرائي** وطبقته في القراءة المتأنّيّة لكتب التّراجم والطّبقات للحصول على مادّة خبريّة، تتّصل بالتّطوّرات الّتي حدثت في الحياة العلميّة بالمغرب الإسلامي على عهد الدّول المستقلّة، والّتي مهّدت لحراك علمي وثقافي ظهرت آثاره في القرون اللاحقة.

- **المنهج الإحصائي** في إحصاء البارزين الّذين ساهموا وأثّروا في الحركة العلميّة، وذلك بحصر مصنّفاتهم الموجودة والمفقودة.

¹ ابن خلدون، المصدر السابق، ص 603.

² نفسه، ص 529-530.

³ أنظر: تاريخ الإسلام السّياسي والدّيني والثّقافي والإجتماعي، الجزء الأوّل، الطبعة السّابعة، مكتبة التّهضة المصريّة، القاهرة، 1964م، ص 323.

⁴ أنظر: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلاميّة والعربيّة، الطبعة الثّانية، منشورات ذات السّلاسل، الكويت، 1986م، ص 54-81.

أما أهم المصادر التي إستعنت بها في دراستي فتنقسم إلى: كتب الطبقات والتراجم، والمصادر التاريخية، والمصادر الجغرافية، وكتب الإباضية.

أ) كتب التراجم والطبقات.

-طبقات علماء إفريقية وتونس:

وهو مصنف تاريخي وفق طريقة الطبقات من تأليف أبوا لعرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي المتوفى سنة 333هـ/944م، وهو أقرب مصدر تاريخي للأحداث، حيث ينقل بالرواية عن كثير من الشخصيات المترجم لها مثل: عيسى بن مسكين، وفرات بن محمد العبدى، وحبیب صاحب مظالم سحنون، وجبله بن حمود الصدي، وأبو عثمان سعيد بن الحداد، ويذكر أحداث تاريخية هامة عن الحركة الفقهية في إفريقية، سيما وأنه استخدم التسلسل السندي في الرواية ليصل إلى الفترة المبكرة للفتوحات ومرحلة دخول الصحابة والتابعين إلى إفريقية وصولاً إلى نهاية العهد الأغلي.

-قضاة قرطبة وعلماء إفريقية:

وهو مصنف في الطبقات من تأليف أبوعبد الله محمد بن الحارث بن أسد الخشني القيرواني المتوفى سنة 361هـ/971م، وقد إستعنت بالمعلومات الواردة في قسمه الثاني والمتمحورة حول علماء إفريقية في الفترة الأغلبية فقط، والعنوان الأصلي لهذا القسم هو كتاب من تحقيق العلامة الجزائري محمد بن أبي شنب سنة 1914م بعنوان "أخبار الفقهاء والمحدثين بإفريقية"، وقد أدمج مع كتاب "قضاة قرطبة" لنفس المؤلف من طرف الناشر (مكتبة الخانجي)، وقد إلتمز الخشني بذكر التراجم وفق المنهج العام المتبع من بقية كتاب الطبقات: ذكر الشخصية، شيوخها، رحلتها في طلب العلم، آراء معاصريها فيها، مؤلفاتها، مع ذكر قصص وقعت لها مع العامة أو مع السلطة السياسية.

-رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساکهم وسیر من أخبارهم وفضائلهم

وأوصافهم:

وهذا المصنف من تأليف أبوبكر عبد الله بن محمد المالكي المتوفى سنة 494هـ/1102م، وهو فقيه ومحدث ومؤرخ، وقد ألف هذا المصنف بعد 464هـ/1072م، وقد إعتد في تأليفه على الرواية الشفوية وعلى مصادر فقهية وتاريخية، فالفقهية موجودة كلها وأبرزها موطأ الإمام مالك، والصحيحين وغيرها، أما التاريخية ففيها ما هو مفقود مثل كتاب الطبقات لمحمد بن سحنون التنوخي (ت256هـ/869م)، وتاريخ أبي سعيد الصدي (ت347هـ/958م)، يحتوي الكتاب المكون من جزئين على جوانب هامة في التاريخ الحضاري مثل تناوله لظاهرة الرباطات في إفريقية خلال القرنين الثاني والثالث للهجرة، وعناية ساكنيها بطلب العلم الشرعي، وكذلك تضمّن لنصوص كثيرة حول ثقافة المجتمع الأغلي، إضافة إلى عنايته بتفصيل ما أمكن من حياة المترجم لهم من فقهاء إفريقية ورحلاتهم وشيوخهم وعلاقتهم بالسلطة وما كتبوه في مختلف أنواع المعرفة من فقه وحديث وأدب وشعر وأخبار وغيرها.

-تراجم أغلبية:

وهو مؤلف عمل فيه محمد طالبي على استخراج ما كتبه القاضي عياض (476-544هـ/1083-1149م) عن الشخصيات الأغلبية في كتابه ترتيب المدارك، وقد عمل صاحب الكتاب على تصنيف طبقاته من فقهاء المغرب الأدنى وفق علاقتهم بالإمام مالك، فالطبقة الأولى هي من الذين تفقهوا في بلاد المغرب أثناء حياة الإمام، والطبقة الثانية من الذين لازمو الإمام في دروسه، وعملوا على نشرها وقت عودتهم إلى إفريقية، والطبقة الثالثة هي من لازم مالك فترة قصيرة، وأخذ العلم عن لازمته، وهي بدورها انقسمت إلى أربع طبقات، وبلغ عدد الشخصيات المترجم لها في المصنف مائة وثلاث وسبعون، وتحتوي كل ترجمة فيها على ملامح سياسية وثقافية واجتماعية هامة عن إفريقية في العهد الأغلي، وعلى مصدر ثقافة كل فقيه على حدة؛ من خلال رحلته العلمية، وشيوخه، ونسبه، ومكانته الاجتماعية، وميادين العلم التي اهتم بها بخلاف الفقه، بما يجعل الكتاب مصدراً هاماً عن الحياة الثقافية في بلاد المغرب حتى دخول الفاطميين.

-الحلة السيرة:

لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي الشهير بابن الأتار المتوفى سنة 658هـ/1260م، ويقع الكتاب في جزئين، ويضم تراجم لأهل المئات الهجرية الأربع الأولى، وهو من تحقيق المؤرخ الدكتور حسين مؤنس.

-معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان:

وهو كتاب آخر في الطبقات، صنفه أبوزيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري الأسدي المعروف بالدبّاغ (605-696هـ/1208-1296م)، واعتمد فيه ترجمة لكل من حلّ بإفريقية من الصحابة والتابعين، ومن سكنها من غيرهم، ومن ولد بها وغادرها إلى المشرق منذ تأسيس القيروان سنة 55هـ/675م إلى الذين اعتنوا بعلوم الشريعة، وقد أكمل هذا المصنف وعلّق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التّونخي المتوفى سنة 839هـ/1435م.

اتبع الدبّاغ في كتابه ذكر الفقيه ونسبه، وبعدها شيوخه، ورحلته العلمية، وشهادات معاصريه في تركية علمه وفضله، أو القدر فيه، وماتركه من مؤلفات، وعلاقته بالسلطة السياسية، وقد استخدم كثيراً من التعليقات الذاتية مع إيراد الرواية ونقدها والإتيان بنقيضها، وقد أخذ كثيراً من أقوال المالكي، ويحيى بن سلام، وأبو العرب تميم.

ب) المصادر التاريخية.

-أخبار الأئمة الرسميين:

لإبن الصّغير الذي عاش خلال أواخر القرن الثالث الهجري، والمصنف التاريخي الهام كان موجوداً في إحدى خزائن وادي ميزاب في بداية القرن العشرين وأطلع عليه المستشرق البولوني موتيلانسكي، وطبعه لأول مرة سنة 1905م، وأعيد طبعه في تونس سنة 1975م، وفي سنة 1976م، وهذه الطبقات كانت كلها باللغة الفرنسية، وقام لاحقاً الأستاذان محمد ناصر، وإبراهيم بخاز بتحقيق نسخة موتيلانسكي بالإعتماد على نسخة مخطوطة للشيخ

أبو اليقظان إبراهيم من شيوخ وادي ميزاب، ووضع عناوين صغيرة للكتاب بجانب النص الأصلي لتقسيم مواضيعه مع إضافة تعليقات على آراء المستشرق البولوني.

وإبن الصّغير في نظر عدد من المتخصّصين يُعتبر مؤرّخ الدّولة الرستميّة، ولأُتعرّف سيرته الدّاتيّة إلّا من خلال ما ذكره عن نفسه، وهو شخصيّة مشرقية غير إباضية، وبالتالي يعتبر مانقله من معلومات إضافة هامّة لما نقلته المصادر الإباضية، وسيأتي التعريف بكتابه في القسم الخاص بالتّاريخ في هذه الدّراسة.

- البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب؛ الجزء الأوّل:

وهو موسوعة في تاريخ المغرب من تصنيف ابن عذاري المراكشي، والنّسخة المعتمدة في هذا البحث هي التي حقّقها وراجعها كولان، وليفي بروفنسال، واعتمد الكاتب على التعريف بالمغرب وذكر فضائله في السّنين والآثار، وشرع في ذكر أهمّ الأحداث التّاريخية فيه ابتداءً من فتح برقة سنة 21هـ/632م، مُعتمداً على التّاريخ بالحواليّات، وعلاوة على تفصيله للأحداث السّياسيّة والعسكريّة، إهتمّ ابن عذاري بالجانب العمراني والتّقافي والصّراع المذهبي، وتأثير بعض الفقهاء على الأحداث السّياسيّة وبخاصّة في المغرب الأقصى.

ج) المصادر الجغرافية:

- البلدان:

مؤلّفه أحمد بن أبي يعقوب إسحاق الشّهير باليعقوبي، والمتوفّى سنة 284هـ/797م، واستعنا بنسخة دار الكتب العلميّة ببيروت، واليعقوبي بخلاف البكري ألف كتابه بناء على مشاهداته الشّخصيّة، وكان يسأل أهل المدن والبلدان التي زارها عن غريب الأمور فيها، وعن أصل الأشياء، ورأيه فيها إن كانت قصص أو أساطير، والأهم وصفه لمظاهر الحياة الدّينيّة والثّقافيّة والإجتماعيّة؛ سيّما وأنّه زار المغرب بين 260 و270 هجرية /873-883 ميلاديّة.

- أحسن التّقاسيم في معرفة الأقاليم :

هذا الكتاب عبارة عن مصنّف جغرافي كتبه شمس الدّين أبوعبد الله محمّد البشاري المقدسي المتوفّى سنة 388هـ/998م، والذي سلك نفس أسلوب اليعقوبي والبكري، باتّباع الوصف الجغرافي الطّبيعي، وذكر الأقاليم والمدن، وخصائصها البشريّة، والإقتصاديّة، مع ذكر لبعض الأحداث السّياسيّة.

- المسالك والممالك، الجزء الثّاني:

مؤلّف هذا المصنّف الجغرافي هو الرّحالة الأندلسي أبوعبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمّد البكري المتوفّى سنة 487هـ/1094م، وكتبه بناء على مصادر جغرافيّة مختلفة وليس عن معاينة ميدانيّة، وتمّ تحقيق الكتاب من طرف جمال طلبية، وقد إستعنا بنسخة دارالكتب العلميّة، ببيروت.

في المسالك والممالك لا نجد ذكرًا لمدينة المغرب وإفريقيّة فحسب، بل ذكر الطرق التّجاريّة، ومظاهر الحياة الدّينيّة، والإقتصاديّة، والسّياسيّة، والعمرانيّة، والعلميّة، إضافة إلى بعض التّفصيل التّاريخيّة عن إمارات نكور، وبني مدرار، والأدارسة، وبرغواطة، ووصف للبلدان وعادات الشّعوب، وذكر لعدد من القصص التّاريخيّة.

(د) المصادر الإباضية.

- كتاب سير الأئمة وأخبارهم المعروف بتاريخ أبي زكرياء:

هو مؤلف لأبي زكريا يحيى بن أبي بكر المتوفى سنة 471هـ/1078م، وهو أهم مصدر في تاريخ الدولة الرستمية باعتباره الأغزر من ناحية المعلومات، وهو كتاب نادر مثلما ذكر محققه إسماعيل العربي، وهو كتاب ديني إباضي يُركز على سيرة العلماء وليس كتاباً تاريخياً، ويهتم كاتبه بالتطرق إلى النشاط الثقافي في مراكز الإباضية كتاهرت ووارجلان، وقنطرة وقفصة، ومميزها من تعليم وجدال وتأليف وإفتاء، وسير شيوخ الإباضية، وملاحع عنايتهم باتباع التعاليم الدينية، ومعاملاتهم مع أتباع المذاهب الإسلامية الأخرى.

يبقى الجانب السلبي في هذا المصدر إهماله التام للحديث عن علاقة أئمة تاهرت بالأغلبية، والأمويين في الأندلس، والأداسة، رغم ذكره لصراع الإباضية مع الشيعة العبيديين من البداية إلى مغادرتهم إلى مصر.

- طبقات المشائخ بالمغرب:

لأبي العباس أحمد بن سعيد بن سليمان بن علي بن يخلف الدرجيني المتوفى سنة 670هـ/1271م، تحقيق الأستاذ إبراهيم طلاي، وسبب تأليفه إنشاء موسوعة لمشائخ المغرب من الإباضية، ويقول بخاز أن هذا الكتاب تم تأليفه للمشاركة في عُمان أصحاب اللغة العربية فتميز بأسلوب قوي جداً، رغم أن مُصنّفه بربري اللسان، والكتاب لا يختلف كثيراً عن مُصنّف أبي زكرياء، فهو يختص بالنشاط الديني وما يرتبط به حضارياً بالنسبة لإباضية بلاد المغرب، والجزء الأول في هذا الكتاب هو إعادة صياغة لسير أبي زكرياء الوارجلاني، أما الثاني فهو اجتهاد شخصي للمؤلف بالإعتماد على ماورد من معلومات في مصدر آخر هو "السير" لأبي الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان الوسياني، المتوفى في النصف الثاني من القرن السادس الهجري، ويتميز في منهجه بالثبّت والتحقيق من صدق الرواية التاريخية.

كما إعتمدت في هذا البحث على عدد كبير من المراجع الحديثة تنوّعت بين الكتب التي تخصّصت في موضوع من مواضيع التاريخ الديني والثقافي لبلاد المغرب أو جزء منه، وبين الدراسات الأكاديمية المنشورة وغير المنشورة.

(أ) المراجع:

- ورقات عن الحضارة العربية الإسلامية بإفريقية التونسية:

من تأليف حسن حسني عبد الوهاب. ما يميّز هذا المصنّف طغيان الجانب الأدبي والديني على مضمونه رغم أهميته من ناحية الكمّ المعرفي الهائل حول عناية الأغلبية بالمعارف والآداب وعلاقتهم برعاياهم من "المثقفين"، وذكر الشيخ حسن حسني رواة اللغة والأدب والنحاة واللغويين في عهد الولاة، ونشاطهم الثقافي، وبخاصة منهم من نزح إلى إفريقية وترك بعضاً من علمه بين تلاميذه فيها.

كما أسهب صاحب المصنّف في وصف بيت الحكمة الإفريقي، وهو أول جامعة إفريقية للعلوم العقلية في بلاد المغرب، وذكر تنظيماتها، وجانب من نشاطات أعضائها من أهل العلم. كذلك تطرّق المؤلف إلى ظهور الطب في تونس في العهد الإسلامي، وبخاصة في العهد الأغلي، وتطرّق إلى مؤسسات الرعاية الصحية المعروفة ب"الدمنة".

-القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية:

ألّف هذا الكتاب محمد محمد زيتون أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية بجامعة الأزهر، وأمّ القرى، وبجامعة ابن سعود الإسلامية سابقاً، وموضوعه مشابه لدراسة يوسف حواله سابقة الذكر، ولكن بشكل أقلّ توسّعاً مع محاولة التركيز على الدور الحضاري لمدينة القيروان، وقد أفادنا من خلال حديثه في الفصل الخامس عن بداية الحياة الفكرية على يد الصحابة والتابعين، واعتمادهم في ذلك على العلوم الدينية من قرآن، وتفسير، وحديث، وفقه، وحديثه عن نماذج مبكرة للإنتاج الثقافي فيها، وفي الفصل السادس إستفدنا من ذكره لعلاقة القيروان بمراكز الثقافة في العالم الإسلامي في المشرق وفي المغرب، ثمّ تحليله لخصائص الإنتاج المعرفي للقيروان في الفصل الثامن وتأثيره على الجانب الحضاري للإنسان المغربي.

-الإتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي:

هو كتاب من تأليف بشير التليسي، حاول فيه دراسة التأثيرات المشرقية على الثقافة المغاربية، ومدى تحولها بالتدرج إلى إستقلالية وفق خاصية مغاربية في الفقه والعلوم الدينية الأخرى، وركز على محاولات تكوين الوعي السياسي والثقافي في بلاد المغرب إنطلاقاً من المرتكزات الدينية، إضافة إلى أنواع المعارف التي يتمحور حولها البناء الثقافي، وأيضاً تأثير الدعوات السرية من خوارج وشيعة في النشاط الثقافي المغربي. قد إستفدنا كثيراً من المعلومات الواردة في الفصل الأول من هذا الكتاب والتي تناولت القاعدة السياسية والثقافية في بلاد المغرب في أواخر عهد الدّول المستقلة.

-مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 9هـ/15م، الجزء الأول العلوم الإنسانية والعقلية:

يحاول مؤلف الكتاب إبراهيم حركات تقصّي أبعاد الحركة الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، من خلال أنّها لم تحظى "بمحاضرات متقدمة وثقافات خصبة" كما هو موجود في المشرق، ومع ذلك كان للمنطقة دور بارز في الإنتاج المعرفي طيلة المرحلة التالية لترسخ الثقافة الإسلامية، والتي يُسمّيها الكاتب بالفتح الحقيقي الذي نهض به الصحابة والتابعون الأتقياء، وهو ما يحاول من خلال هذه الدراسة العمل على تحليل تأثيراته ومؤثراته، وإيجاد بصمة مغاربية في الثقافة الإسلامية.

في كتاب إبراهيم حركات المتميز بالتحليل العميق والهادئ، كان البدء بالتطرق إلى ركائز العملية التعليمية في بلاد المغرب والعلاقة بين الثقافة والسلطة، وعملية التبادل الثقافي مع المشرق الإسلامي، ثمّ دراسة تطوّر العلوم من نحو ولغة، وأدب، وتاريخ، وجغرافيا ورحلات، والفكر التربوي، والفكر السياسي، وبعدها العلوم العقلية والتجريبية، والطب والطبيّيات، والعلوم الرياضيّة.

ما نأسف له أنّ هذه الدراسة تناولت فترة طويلة (ثمانية قرون) ممّا دفع الباحث إلى التركيز على فترات لاحقة عن المرحلة الزمنية لموضوع رسالتي لقلة النشاط العلمي فيها.

-الحياة العلمية في المغرب الأدنى منذ إتمام الفتح إلى منتصف القرن الخامس الهجري(90-450هـ):

الكتاب يتكوّن من جزئين، وهو في الأصل رسالة دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي ليوسف بن أحمد حواله،

قدّمها في جامعة أم القرى سنة 1998م، وتمّ طبعها سنة 2000م، وقد عنيّ حواله بالبحث عن التاريخ الحضاري لإفريقية، لأنّها كانت مركز النشاط السياسي والثقافي في فترتي الأمويين والعباسيين، ثمّثلة أساسًا بحاضرة القيروان، ويرتكز موضوع الرسالة على إفادتنا بدراسته لكثير من مظاهر الحياة العلميّة في عهد الحكم الأغلي (186-296هـ)، وهو جزء من موضوعنا، وقد تناول حواله بالدراسة عوامل إزدهار الحياة العلميّة في إفريقية، وبعدها المراكز العلميّة الرئيسيّة فيها، ثمّ وسائط الثقافة من مساجد، وكتاتيب، ورباطات، ومكتبات عامّة وخاصّة، وشرع في القسم الثاني من دراسته في معالجة النشاط العلمي في إفريقية فتناول الدّراسات الشرعيّة بدراسة مكانة المذهب المالكي في الفقه بالمغرب الأدنى، وبعدها إنتشار المذهب المالكي ومراحله، وانتشار المذاهب الأخرى في إفريقية وعلى رأسها المذهب الحنفي.

انطلق حواله في الفصل الثاني من القسم الثاني في ذكر مظاهر الحياة العلميّة في إفريقية في ما يتعلّق بالفقه، والحديث، وعلوم القرآن، ثمّ تطرّق في الفصل الثالث للتّنافس العلمي والجدل بين أتباع مختلف المذاهب في إفريقية، وفي الفصل الرابع أسهب الكاتب في رصد مظاهر الدّراسات اللّغويّة والأدبيّة، وأتبعه بفصل خامس حول الدّراسات الإنسانيّة من تاريخ، وفلسفة، وجغرافيا، وختتم العمل بفصل سادس حول الدّراسات الطّبيعيّة كالطب والصّيادلة، وعلم الفلك، والرياضيّات.

-الدّولة الرّسميّة (160-296هـ/777-909م)؛ دراسة في الأوضاع الإقتصاديّة والحياة الفكرية:

الكتاب من تأليف مؤرّخ إباضي هو إبراهيم بكير بخّاز، وهو في الأصل رسالة ماجستير، خصّص فيه القسم الثالث من البحث لرصد مظاهر الحياة الفكرية في الدّولة الرّسميّة والتي تميّزت بالتنوّع وطغيان الطّابع الدّيني والإهتمام بالجدل ومسائل الخلاف، وقد تتبّع بخّاز دور الأئمّة الرّسميّين في نشر الثقافة وشغفهم بالعلوم، وأخذ عينات من المؤسّسات التّعليميّة والدّراسات المتداولة بها، وحلقات العلم في المساجد ودورها في النشاط الفكري، ثمّ عزّج صاحب الدّراسة على البحث في أهم الدّراسات العلميّة من علوم نقلية كالتفسير والحديث والفقه، والعلوم العقلية من خلال المناظرات الكلاميّة، وعلاقة اللّغة العربيّة بالبربريّة، وعلوم اللّغة من نحو وأدب، وبعدها ما أطلق عليه إسم العلوم الدنيويّة من طب وفلك وحساب، كما خصّص الباحث قسمًا من بحثه للحديث عن دور المرأة الرّسميّة في الحياة الفكرية.

الملاحظ أنّ صاحب الدّراسة أعاد نشرها في طبعة ثانية -وهي التي إستخدمتها في بحثي- بعد حصوله على مصادر هامّة إستعان بها في تصحيح وإضافة بعض المعلومات الهامّة على الطّبعة الأولى للكتاب، ومن بين هذه المصادر: كتاب "مسائل نفوسة" للإمام عبد الوهّاب بن عبد الرّحمن بن رستم، وكتاب "تفسير كتاب الله" لهود بن محمّد الهوّاري من أهل القرن الثالث الهجري، وكتاب آخر لجنّاو بن فتى وعبد القهّار بن خلف (ق3هـ) بعنوان "أجوبة علماء قرّان"، وهي كتب لم يتسنّى لنا الحصول عليها ولكنّا إستفدنا منها من خلال هذه الدراسة الهامّة.

–الحياة العلمية في جبل نفوسة وتأثيراتها على بلاد السودان الغربي خلال القرون 2هـ/8م إلى 8هـ/14م:

كتاب من جزئين ألفه محمود حسين كوردي، وهو من منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية ضمن سلسلة دراسات تاريخية، والكتاب في الأصل رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير بجامعة محمد الفاتح، ورمت إلى الإحاطة بالنشاط الثقافي والتعليمي في منطقة جبل نفوسة باعتبارها مركز هام من مراكز الإباضية في بلاد المغرب، فنفوسة كانت مركز تأثير فكري على المناطق المجاورة لها في المغربين الأدنى والأوسط، والصّحراء، إلى منطقة السودان الغربي.

وركّز كوردي على العوامل المساهمة والأسباب المؤدية إلى الإهتمام بالعلوم في جبل نفوسة، وكيفية ظهور العدد الهام من الفقهاء، والمهتمين بالعلوم والمعارف، وكيفية الارتباط بالحركة العلمية في المشرق الإسلامي من خلال عملية التبادل الفكري مع مراكز النشاط الإباضي.

أهمية كتاب "الحياة العلمية في جبل نفوسة" تبرز من خلال اعتماد كاتبه على مصادر هامة لم يتسّح لنا الحصول عليها، مثل مخطوطة "سيرة أهل نفوسة" لمؤلفه مقر بن محمد البغطوري الذي فرغ من تأليفه سنة 599هـ/1202م، ويورد فيها عدداً هاماً من أحداث الجبل، وبعض الآراء الفقهية، ونشاط علماء نفوسة في نشر الإسلام في السودان الغربي، ومخطوطة "الألواح" لمؤلفها أحمد بن محمد بن بكر الفرستائي المتوفى سنة 504هـ/1111م، وهي تناول مواضيع في الفقه، وترجمة لعدد من الفقهاء وسيّهم العلمية والثقافية.

مخطوطة ثالثة جدّ هامة وهي: "أصول الديبونة الصّافية" لمؤلفها عمرو بن فتح المساكني، والذي عاش خلال القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، وهي في علم الكلام وتظهر المستوى الذي وصل إليه النفوسيون في هذا العلم، ومعها كتاب "الجواهر المنتقاة" لأبي القاسم بن إبراهيم البرّادي (ت 810هـ/1407م)، وهو مطبوع طبعة حجرية، واهتم بتاريخ وعلماء نفوسة، ومخطوط آخر هو "قصور جبل نفوسة" لإبراهيم سليمان الشماخي (ت 1310هـ/1892م)، ويهتم بجغرافية الجبل، والحياة الاجتماعية فيه، والمواضع ذات الإسهام الحضاري.

كما استعان محمود حسين كوردي في دراسته بمُصنّف هام في تاريخ الإباضية لم تُتّح لنا فرصة الإطلاع عليه، وهو كتاب "بدء الإسلام وشرائع الدين" للوّاب بن سلام التوزري المّرّاتي الإباضي (ت 273هـ/887م)، ترجمة وتحقيق: شفارتز وسالم يعقوب، وهو أقدم إنتاج تاريخي مغربي، وتطرّق فيه لسيرة علماء الجبل. وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار دراسة الكوردي ذات أهمية بالغة لأنها عوّضت مصادر كان يتعذّر الوصول إليها، وفي الوقت ذاته تناولت حيّزاً هاماً من موضوع البحث وهو المتعلّق بتطوّر العلوم في الدولة الرستميّة.

–المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي:

كاتبه نجم الدّين الهنتاتي من المتخصّصين في تاريخ المذهب المالكي، إنغمس في مؤلّفات مذهبيّة لاستخلاص دالاتها الاجتماعية، بهدف تحليل إرتباط الهوية المغاربيّة بالمذهب المالكي من خلال أسلوب تحليلي عميق متأثر إلى حد بعيد بمنهج المستشرقين، من أجل "إعادة دراسة المذهب المالكي على مستوى ثقافي جدّ خالص".

كتاب الهنتاتي في الأصل رسالة دكتوراه نوقشت في 1992م، حاول فيه الإجابة عن تساؤلات متعدّدة حول المذهب المالكي في بلاد المغرب؛ هل إنتصر المذهب المالكي بسرعة مثلما يُحاول أن يُظهره أنصاره من الفقهاء

المتأخرين؟ وما هو الجديد التي أتت به الحركة الفقهيّة المالكيّة في إفريقيّة وبلاد المغرب على مستوى الإجتهد المذهبي؟ وما هي ظروف دخول المذهب المالكي إلى إفريقيّة وبعدها المغرب، وما هي عوامل إنتشاره فيهما؟، ولماذا تعاضم دور هذا المذهب في المغرب في الحياة الدّينيّة مقابل تراجعها في المشرق؟.

لقد عمل هنتاتي على تحليل الظّاهرة المالكيّة في بلاد المغرب وتوضيح الدور الأساسي للإمام سحنون، وعلاقة المالكيّة بغيرهم من أتباع المذاهب وتعاملهم مع أهمّ الأحداث السياسيّة والدّينيّة، وفق أسلوب مميّز تضمّن الجرأة في الطّرح، وعدم التّسليم بكلّ ما تذكره المصادر المالكيّة باعتبارها تفتقر للموضوعيّة في المعلومة التّاريخيّة.

- العلاقات الخارجيّة للدّولة الرّسميّة:

هو كتاب لجودت عبد الكريم يوسف؛ وهو في الأصل رسالة ماجستير يعتبر أوّل دراسة حديثة عن تاريخ العلاقات السياسيّة للدّولة الرّسميّة .

أهمّ ما فيه من موضوعات تتعلّق بدراستنا هو تطرّقه للعلاقات المذهبيّة والتّبادل الثقافي بين تاهرت وغيرها من حواضر بلاد المغرب والأندلس، وكذلك علاقاتها مع إباضيّة المشرق ومع خلفاء بغداد بما لها من أهميّة ثقافيّة في القرن الثّالث الهجري، ومع بلاد السّودان الغربي من خلال الإحتكاك التجاري والثقافي.

ما يزيد من أهميّة المرجع اعتماد الباحث منهجيّة تاريخيّة في البحث والتّدقيق، واعتماده على مصادر إباضيّة لم نقف عليها مثل: "الجواهر المنتقاة" لأبوالقاسم بن إبراهيم البرزادي من أهل القرن الثّامن الهجري، وكتاب "مقدّمة التّوحيد وشروحها" لأبو العبّاس أحمد بن سعيد الشّماخي، المتوفّي سنة 928هجرية/1521م، وكتاب "أجوبة ابن خلفون" لأبي يعقوب يوسف بن خلفون المرّاتي من أهل القرن السّادس الهجري، وكتاب "الدّر الوقّاد من شعر بكر بن حمّاد التاهرتي" لمحمد بن رمضان شاوش، وكتاب "الدّليل والبرهان" لأبي يعقوب يوسف بن إبراهيم السّدراتي الورجلاني (ت570ه/1175م).

* ب) الأطروحات الجامعيّة:

- إنتاج وانتقال المعارف التّاريخيّة في المغرب الأوسط:

هي مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التّاريخ الوسيط من إعداد الطّالبة آسيا ساحلي، وإشراف الدكتور علاوة عمارة، وقُدّمت للمناقشة سنة 2008م بقسم التّاريخ بكلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة لجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميّة بقسنطينة.

الرّسالة تحتوي على بحث عن نشأة الكتابة التّاريخيّة في المغرب الأوسط من خلال دراسة المصادر التّاريخيّة، وإبراز تطوّر الإهتمام بالمادّة التّاريخيّة من خلال محاولات أوّليّة في الفترات المبكّرة، من خلال كتابات لؤاب بن سلام (ت بعد: 273ه/886م) في كتابه "بدء الإسلام وشرائع الدّين"، وابن الصّغير (عاش خلال القرن 3ه/9م) في كتابه "أخبار الأئمّة الرّسميّين"، وهما مؤرّخان ظهرا في فترة حكم الرّسميّين، وقد تناولت الطّالبة المصدرين التّاريخيّين بالتّحليل، وعملت على استقراء الآراء التي كُتبت حولهما، وفي نفس الوقت حاولت البحث عن سيرة الشّخصيّتين المذكورتين، والإحاطة بظروف كتابتهما للعلمين التّاريخيّين، وما أثار فيهما.

-أثر فقهاء المالكية الاجتماعي والثقافي بإفريقية من (ق2-5هـ/8-11م):

هي مذكّرة ماجستير في التاريخ الإسلامي للطالب حفيظ كعوان من قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة العقيد الحاج لخضر-باتنة، وإشراف الأستاذ الدكتور إسماعيل سامعي، و قدّمت للمناقشة في 2009م.

تظهر أهمية ما درسه الطالب تعمّقه في الحديث عن أثر فقهاء المالكية في التطوّر الفكري والحياة الثقافيّة، وعنايتهم بالتعليم، وعلاقتهم باتباع المدارس العقائدية والفقهية الأخرى، والآثار الثقافية التي نتجت عن هذه العلاقات ولاسيما ما تعلّق منها بقرب المذهب أو بعده عن دعم السلطة السياسيّة.

واجهتني أثناء تحضير هذه الرسالة العديد من الصعوبات الموضوعية ، اذكر منها بالخصوص ندرة وشح المادة الخيرية المتصلة بصلب الموضوع ، وذلك بسبب قلة المصادر الأولية لاعتبارات أهمها تقدم الفترة التاريخية ، القرنين الثاني والثالث الهجري ، إضافة إلى تركيز المصادر الموجودة على الجوانب السياسية والعسكرية ، أيضا فقدان وضياح أغلب ما صنف في الفروع العلمية المختلفة . كما يجدر التذكير بندرة المصادر الأولية في فروع العلوم العقلية وخاصة عند الادارة ودولة نكور وبني مدرار ، الشيء الذي نتج عنه قلة المادة العلمية ، ولقد حاولت جاهدا تجاوز هذا النقص بحسن استغلال ما توفر من مصادر ومراجع.

لقد حاولت في بحثي هذا الوقوف على تطوّر العلوم في بلاد المغرب خلال الفترة ما بين 140-296هـ/757-908م بالعمل على تقسيم البحث إلى مقدمة وعرض وخاتمة، والعرض تضمّن تمهيدا وثلاثة فصول، وانقسمت الفصول بدورها إلى عناصر رئيسيّة.

عملت في التمهيد على تتبّع العوامل المساعدة على ظهور الحركة العلميّة في بلاد المغرب، بدءًا بأهميّة عمليّة الفتح في ترسيخ القيم الإسلاميّة ومعها ثقافة جديدة ذات طابع مشرقي أساسها اللّغة العربيّة، وبعدها عامل هجرة المشاركة إلى المغرب واستقرار العنصرين العربي والفارسي في المراكز الحضريّة من مدن وقرى وحصون، ومساهماتهم في نشر ثقافتهم العربيّة الإسلاميّة بين البربر والأفارقة، ثمّ عامل آخريّاتي كنتيجة للعوامل السّابقة، وهوّ ظهور مراكز ثقافيّة رئيسيّة، ورافق ظهور هذه المراكز ظهور الوسائط الثقافيّة: مساجد وبخاصّة منها الجوامع الكبرى، والكتاتيب، والرباطات، والمكتبات العامّة والخاصّة.

يُضاف إلى العوامل السّابقة أنّ بلاد المغرب حظيت بسلطة سياسيّة تهمّ بالثقافة والمعرفة تأثّر بها بما كان سائدا في المشرق من عناية الخلافة بشتّى أنواع المعرفة والحرص على تطوير الحياة الثقافيّة، وهذا مايقودنا إلى ذكر عاملين آخرين وهما: ازدهار الحياة العلميّة في المشرق، وحرص المغاربة على أن يستفيدوا منها بقيامهم بالرحلات العلميّة نحو المراكز الثقافيّة الكبرى في المشرق كالكوفة، والبصرة، والحجاز، ومصر.

قد اعتنيت في هذا البحث برصد تطوّر الدّراسات الفقهية فأفردت لها **الفصل الأوّل** باعتبارها أهم ميدان من ميادين العلوم التي عمل أغلب المغاربة على الإستزادة منه لاهتمامهم بالتّفقه في الدّين، فبدأت ببداية الدّراسات الفقهية قبل العهد الأغلي، وهيّ مرحلة ما قبل التّمدّذ الفقهية، ثمّ ثانياً مرحلة التّمدّذ في العهد الأغلي

إنطلاقاً من المذهب الحنفي، وبعده المذهب المالكي، وجهود علماء المذهبين في نشره في إفريقية، والعلاقة الشائبة بين فقهاء المذهبين، وعملت في عنصر ثالث على دراسة الفقه الشافعي وانتقاله إلى المغرب في مرحلة متأخرة تغلب فيها المذهب المالكي، وحاولت تتبع مذاهب فقهية دخلت إلى القيروان ولم تعرف الانتشار.

في عنصر آخر تطرقت للفقه عند الرستميين، بداية بالفقه الإباضي ونشأته، وانتشاره في بلاد المغرب حتى 160هـ/776م تاريخ تأسيس دولة الرستميين في تاهرت، والتي اهتمت بتشجيع الحركة العلمية وبخاصة ما تعلق منها بالفقه الإباضي.

درست بعدها الفقه عند دول الأدارسة، وبني مدرار، وإمارة نكور، والتي لم تسهب المصادر في ذكر الحركة الثقافية فيها بالقدر الذي كان في المغربين الأوسط والأدنى.

أما في **الفصل الثاني** كان هدي تتبع تطورية العلوم العقلية الأخرى بداية بعلوم القرآن من قراءات وتفسير، ثم علم الحديث، وبعده علم الكلام، التصوف، علم أصول الفقه، علوم الأدب والوقوف على أهم المصنفين وما أنتجوه محاولاً تقييمه مقارنة بالحركة العلمية في المشرق.

تناولت في **الفصل الثالث** تطور العلوم العقلية، بداية بعلم التاريخ من خلال النشأة، ثم بروز دور الإخباريين ورواة السيرة والأنساب حتى القرن الرابع الهجري، ثم الطب والصيدلة، وأخيراً تطرقت إلى ذكر جانب من عناية المغاربة بعلوم عقلية أخرى تمثلت في علم التنجيم والفلك والحساب والفرائض، والفلسفة، والفكر التربوي.

تمهید

لقد تأثرت الحركة العلمية في بلاد المغرب في فترة الدّول المستقلّة بجملة من العوامل والمؤثّرات منها ما هو داخلي يخص بلاد المغرب، ومنها ما هو خارجي مرتبط بأوضاع المشرق الإسلامي، ويمكن الوقوف على أهم هذه العوامل من خلال الآتي:

1) أهمية نجاح عملية الفتح في تثبيت العربية والإسلام في بلاد المغرب:

عمل قادة الفتح الإسلامي على تثبيت الدّين بين أهل المغرب ابتداء من فترة ولاية عمرو بن العاص، حينما إنتشر الإسلام بين جزء من سكّان برقة وزويلة وما بينهما¹، فواكبت عملية نشر التّعاليم الإسلامية الانتصارات العسكرية وهو ما تكرّس في تزويد بلاد المغرب بالمرجعيات الدينيّة وهيئة الأرضيّة الملائمة لنشأة كيان إسلامي جديد، ومن هذا المنطلق عرفت المنطقة توافد عدد من الرّموز الإسلاميّة إبتداءً من البدايات الأولى للفتح ، ومن المرجّح أنّ الهدف من تواجدهم المحافظة على الرّوح القتاليّة للجند الفاتحين باعتبارهم في مهمّة دينيّة ذات بُعد روحي يستوجب الرّاد الأخرى، ويلاحظ أن من دخل بلاد المغرب غازيًا مجاهدًا من الصّحابة ثمانية وأربعون².

وفي تسجيلنا لمن وطفوا أديم بلاد المغرب من فقهاء الصّحابة: عبد الله بن عباس³ في حملة عبد الله بن سعد بن أبي سرح⁴، ورافقه فيها عبد الله بن عمر؛ والذي شارك أيضًا في حملة معاوية بن حُديج⁵، ويضاف لمن شارك في حملة ابن أبي سرح: عبد الله بن الزبير⁶، والمقداد بن الأسود⁷، وعبد الله بن عمرو بن العاص⁸؛ الذي كان كثير الرواية عن

¹ (حسين مؤنس، فتح العرب المغرب، مكتبة الثّقافة الدّينيّة، القاهرة، د.ت، ص282).

² (أحمد القطعاني، الإهابة في من دخل البلاد الليبيّة من الصّحابة، الطبعة الثّانيّة، مكتبة النجاح، طرابلس، 1998م، ص17-19).

³ (كان عبد الله بن عباس (ق3هـ-68هـ/619-687م) الحامل الأوّل للعلم الشرعي من فقه، وتفسير، وحديث، وُصف بالبحر، كان ملازمًا للنبي (ص) وكبار الصّحابة، وكان مدرسة قائمة بذاتها، فأخذ من علمه كثير من التابعين كعكرمة البربري، وعطاء بن أبي رباح، زوي عنه ألف وسُمّئة وستين حديثًا. أنظر: شمس الدين محمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثّالثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985، ج3: ص331-359).

⁴ (أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي، رياض النفوس، في طبقات علماء إفريقيّة وزهادهم ونسآكهم، وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق: زهير البكوش، الطبعة الثّانيّة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م، ج1: ص61).

⁵ (نفسه، ج1: ص62، وقائد الحملة هو الصّحابي أبونعيم معاوية بن حديج بن جفنة بن قتيبة السّكوني، له رواية قليلة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وله روايات عن عمر بن الخطّاب، وأبي ذرّ الغفاري، ومعاوية بن أبي سفيان، وهو ثقة عند أهل الحديث، كما كان من كبار القادة العسكريّين في الفتوحات، وشارك في معركة اليرموك ضدّ البيزنطيّين، وكان من وجهاء قبيلة كندة مُتعضّبًا لها، تُؤيّد سنة 52هـ/672م، وكان قد استقرّ في مصر واليًا لها ولما فُتح من بلاد المغرب، وترك فيها أحفاده من بعده. أنظر: الذهبي، المصدر السابق، ج2: ص37-40).

⁶ (المالكي، المصدر السابق، ج1: ص64).

⁷ (عبد الرحمان بن محمد الدبّاغ، معالم الإيمان في أهل القيروان، تحقيق وتعليق: محمد ماضور، الطبعة الثّانية، المكتبة العتيقة ومكتبة الخانجي، تونس والقاهرة، 1968م، ج1: ص74).

⁸ (أسلم قبل أبيه، ويُعدّ من أغزر الصّحابة علمًا لملازمته الدائمة للنبي (ص)، وروى عنه زهاء سبعة عشر حديث، وروى عن أبي بكر، وعمر، وعبد الرحمن بن عوف، وروى عن أبيه عمرو، وكان على اطلاع بأحكام الإنجيل و التّوراة، كما تتلمذ على يده كثير من التابعين، منهم: عكرمة البربري، وعبد الرحمن بن رافع قاضي إفريقيّة لاحقًا، ومجاهد، وكان من حزب الأمويّين، وشارك في معركة صفّين، توفيّ سنة 65هـ/684م، أنظر: الذهبي، المصدر السابق، ج3: ص79-94).

الرسول صلى الله عليه وسلم وأذن له في رواية الحديث عنه¹، وكان عالماً مجتهداً يستفتيه الصحابة²، والمسور بن مخزوم³؛ وكان راوية حديث وفقهه، والمحدث بلال بن حارث المزني، والمطلب بن أبي وداعة السهمي؛ وهو ممن روى الحديث، وهذين الأخيرين كانا ممن أخذ مالك بروايتهم في الموطأ⁴، وكان العمل الدعوي في إفريقية مرتبطاً بالسرايا التي تُرسل إلى مناطق مختلفة إنطلاقاً من معسكر الجيش⁵.

من الذين أقاموا بإفريقية من فقهاء الصحابة فترة طويلة دفين القيروان أبي زمعة البلوي، وهو ممن بايع النبي تحت الشجرة، وأبيض المصري⁶، وبسر بن أبي أرطاة⁷، ورويفع بن ثابت الأنصاري والذي مكث بدوره فترة طويلة في إفريقية بعد أن ولّاه معاوية الأول طرابلس سنة 46هـ/666م⁸، فتح أثناها جزيرة جربة سنة 47هـ/667م⁹، ويُقدّر جورج مارسيه¹⁰ مدة ولايته بخمس سنوات تميّزت بالضغط العسكري على البيزنطيين المجاورين، والعمل على نشر الإسلام بين البربر.

والأمر الظاهر من تواجد مجموعة من كبار فقهاء الصحابة في جيوش فتح بلاد المغرب هو وضع الأسس الصحيحة لنشر تعاليم الإسلام، فعملية الإقناع باعتناق هذا الدين ليست كافية ما لم يُتبع بتغيير في الأفكار ما يوجد شخصية مغربية مُسلمة لا تنقاد إلا لدينها الجديد، ولعل تبعات ذلك تجلّت في تحالف مجموعات بربرية مع الفاتحين في مقاومة المحتل البيزنطي، والبربري الآخر والذي صار عدواً كذلك، فأعوزجاً لهذه الظاهرة الناشئة نرى تحالف ألفين من البربر مع أربعة آلاف من العرب في القيروان بقيادة زهير بن قيس البلوي بعد مقتل عقبة بن نافع لقتال كُسيلة والبيزنطيين سنة 65هـ/684م¹¹.

¹ المالكي، المصدر السابق، ج1: ص66.

² الشيرازي، طبقات الفقهاء، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، 1970م، ص50.

³ من صغار الصحابة، قرشي زهري السبب، روى الحديث عن خاله عبد الرحمن بن عوف - وكان ملازماً له - وعن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعارض خلافة معاوية، ثم انضم إلى حزب الزبيريين في مكة وقتل فيها بالمنحنيق أثناء حصارها من طرف جيش يزيد الأول سنة 64هـ. أنظر: الذهبي، المصدر السابق، ج3: ص390-394.

⁴ المالكي، المصدر السابق، ج1: ص69 و75 و77-78.

⁵ عبد العزيز الثعالبي، تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، جمع وتحقيق: أحمد بن ميلاد ومحمد إدريس، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م، ص41.

⁶ المالكي، المصدر السابق، ج1: ص95.

⁷ نفسه، ج1: ص85.

⁸ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركلي مصطفى، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000م، ج14: ص105.

⁹ ابن أبي دينا محمد بن القاسم الرعيني، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، الطبعة الأولى، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1869م، ص25-26.

¹⁰ أنظر: بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة: محمود عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1991، ص34.

¹¹ الدباغ، المصدر السابق، ج1: ص57.

فصمود هذه المجموعة البربرية أمام خطورة الموقف يدلُّ بوضوح على ولاء للإسلام، وتشبَّث به، وهذا لا يتمُّ نتيجة عملية إقتناع سطحي، بل بعملية إفراغ للرواسب الفكرية القديمة وزرع مُنطلقات جديدة وذلك لم يكن ليتمُّ لولا قيام علماء الصحابة بهذا الدور.

الظاهر أنَّ عملية دعوة البربر السلمية للإسلام عن طريق أهل العلم سارت بالتوازي مع العمل العسكري، وأيضًا بين الحملات العسكرية القادمة من المشرق، ومثال ذلك النشاط الدعوي لعقبة بن نافع في برقة بين بربر لواته (23-27هـ/643-647م) وكان الهدف منه الاحتفاظ بها كقاعدة أمامية للمسلمين في بلاد المغرب¹، وكان لنمط معيشة هذه المجموعات البربرية من البئر من سُكَّان الأقاليم الجنوبية القائم على حياة البادية دور بالغ في الميل للعرب لتشابه نمط الحياة، ولعداوتهم للغنصر البيزنطي، فقبائل: لواته ونفوسة، وهوارة، ونفزاوة عرفت الإسلام مُبكرًا، وشارك أفراد منها في دعم الفاتحين عسكريًا لاحقًا²، ويرى عبد الله العروي³ أنَّ عامل معاداتهم لسُكَّان المُدُن من الأفارقة، والرُّومان، والبيزنطيين، واستقلالهم الفعلي عن أية سلطة أجنبية أدَّى إلى سرعة اعتناقهم للإسلام، فهذه القبائل الرافضة للنظام البيزنطي برمته كانت قريبة من العرب ثقافيًا (حياة البداوة)، وهو ما صبَّ في صالح جيوش الفاتحين.

من ثمة كانت هذه القبائل البدوية أساسًا للحركة الخارجية في بلاد المغرب لأنها عرفت المبادئ الإسلامية وتعاليمها على أيدي الصحابة والتابعين في فترة مُبكرة؛ فلمَّا ظهر انحراف السُّلطة الحاكمة عن ماعرفوه من عدالة وروح الإسلام، كانوا أوَّل من عبَّروا عن حالة "الرَّفْض"؛ عسكريًا.

يرى الهنتاتي⁴ أنَّ عملية فتح بلاد المغرب إرتبطت بفترة أصبحت روح الجهاد تقلُّ تدريجيًا عن مراحلها الأولى، وأصبحت مرادفة لعملية تحقيق عائد مادي (الحصول على الغنائم) سواء للجيش أو للسلطة الحاكمة ممثلة في ولاة مصر، وخلفاء دمشق، وكُرِّس هذا الاتجاه موسى بن نصير.

كان لتأسيس القيروان دور حاسم في استقرار المسلمين في بلاد المغرب إذ أخذ هذا المركز الإداري والسياسي على عاتقه أن يكون مركز إشعاع حضاري باعتباره "...مصرًا عربيًا أنشئ من لا شيء"⁵.

وهذا التقليد درج على أتباعه الفاتحون الذين قدموا بعد عقبة فحسان بن النعمان أسَّس مساجد كثيرة في المناطق التي فتحها، وموسى بن نصير الذي أسَّس مساجد في المغرب الأقصى كمسجد أغمات⁶، وتمَّ تحويل المعابد الوثنية

¹ موسى لقبال، المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتَّى إنتهاء ثورات الخوارج: سياسة ونظم، الطبعة الثالثة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص20.

² حسين مؤنس، المرجع السابق، ص284.

³ أنظر: مجمل تاريخ المغرب، الطبعة الخامسة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1996م، ص127.

⁴ أنظر: المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، دار تير الزمان، تونس، 2004م.

⁵ عبد الله العروي، المرجع السابق، ص128.

⁶ أغمات: مدينة في المغرب الأقصى بين جبل درن الكثيف الثلوج شتاءً وفُرعْغَمات، وأهلها من قبيلة هوار، ولهم تجارة مع السودان، ومن مزروعاتها الفواكه، أنظر: الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، نسخة إلكترونية مصوَّرة، ص103.

إلى القبلة، ووُضعت فيها المنابر كمسجد هيلانة¹.

على هذا الأساس يُقسّم بعض المؤرخين تاريخ الثقافة الإسلامية في بلاد المغرب إلى ثلاثة مراحل:
*مرحلة ازدواج الثقافة الإسلامية بالثقافة المحلية.

*مرحلة بداية الاندماج بفضل الترجمة من وإلى العربية، وهي في العصر الأموي.

*مرحلة الاندماج الكامل في العصر العباسي، حيث هيمنت الثقافة الإسلامية على كلّ مظاهر الحياة في بلاد المغرب، واحتوت الثقافات المحلية².

يُمكننا القول أنّ اللغة العربية حلّت محلّ اللاتينية كلغة التعاملات الإدارية، وكلغة ثقافة، وحافظت الأمازيغية على وضعها كلغة محكية في الأرياف والبادي، وبخاصّة منها البعيدة عن المدن وضواحيها، ولكنّ لغة البربر لم تكن بمعزل عن العربية، فقد عايشت وضعيّة الإزدواجيّة مع العربية، مثلما كان مع اللاتينية قبل عصر الولاة³.

من الجدير بالذكر أنّ حسان بن النعمان قد ترك أراضي البربر التي فتحت صلحاً بأيديهم، واعتبرهم أحراراً، متساوين مع العرب في الحقوق والواجبات، بينما اعتبر أراضي الروم والأفارقة فتحت عنوة فاعتبرها غنيمة، واعتبر أهلها ومن وجدوه فيها موالي لهم، وهذا ما أدّى إلى تضاؤل دور العنصر الإفريقي، ونحوض البربر من خلال الأخذ بأسباب الثقافة الإسلامية والعربية⁴، إضافة إلى تعريبه للدواوين، وهوّ ما ضاعف الإهتمام باللغة العربية⁵.

2) هجرة المشاركة إلى بلاد المغرب:

إنّه لا يُمكن تصور حالة بلاد المغرب بعد استكمال عمليّة الفتح إن غادرتها جيوش الفاتحين، وتركها لمن أسلم من أهلها، إذ كان من الضّروري أن يستقرّ جزء من الجيش العربي في البلاد المفتوحة، وهذا الإستقرار ترك نتائج اجتماعيّة وثقافيّة هامة، فإنشاء مدينتين جديدتين هما: القيروان، وتونس لإسكان العناصر الوافدة ولّد مظهرًا من مظاهر المركزية الثقافيّة فيهما مثلما سنُبينه لاحقًا، وقد استقرّ بالقيروان عدد غير مُحدّد من العرب من قبائل: تميم، والأوس، والخزرج، والأزد، وقيس، وتنوخ، وبنو جدير، وكندة، وكنانة⁶.

ذكر اليعقوبي⁷ (ت 284هـ/897م) تواجد العرب والعجم (الفرس) في قابس⁸، وفي سوسة، وشبه جزيرة

¹ مصطفى باديس أوكل، إنتشار الإسلام في المغرب، وآثاره على المجتمع خلال القرن الأوّل الهجري، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، 2006م، ص 70.

² نفسه، ص 85.

³ جورج مارسيه، المرجع السابق، 46-47.

⁴ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 278.

⁵ سامية مقرّي، التعليم عند الإباضية، من سقوط الدولة الرستميّة إلى تأسيس نظام العزّابة (296-409هـ/909-1018م) مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، تحت إشراف الأستاذة الدكتور بوبه مجاني، قسم التاريخ، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006م، ص 16.

⁶ محمد زيتون، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، الطبعة الأولى، دار المنار، القاهرة، 1988م، ص 168.

⁷ أنظر: البلدان، الطبعة الأولى، دار الكتب العلميّة، بيروت، 2002م، ص 185-192.

⁸ قابس: مدينة كبيرة هامة ذات ريف مزدهر زراعيًا، ولها سور منيع حوله خندق، ومن أهم غلاتها التمر والزيتون، أنظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص 125.

شريك، وسفوطرة¹ وأهلها من قريش وقضاة، وبني هاشم والفرس في باجة²، وفي الأريس³، والسناجرة من ربيعة في مجانة المعادن⁴، وقريش والجند العربي في نقاوس⁵ وطبنة⁶، وباغاية⁷ من مدن الزّاب، وبني أسد في سطيف⁸، وبني تميم في بلزمة⁹، والفرس وبني ضبة في مقرة¹⁰، وبني تميم في حصون حولها، والفرس والعرب في تاهرت، والأدارسة العلويين في مدن المغرب الأوسط؛ وهؤلاء كان كل فرد منهم مقيم ومتحصّن بمينة من مدنه، وعددهم كثير حتّى إنّ البلد يعرف بهم وينسب إليهم¹¹، وكانت القيروان هيّ المستقر الأول للعرب، غير أنّهم كثيراً ما يغادرونها بحثاً عن ظروف معيشية أحسن في المدن والحصون الأخرى بإفريقية، وهرباً من الإضطرابات والفتن الكثيرة في عاصمة إفريقية¹². كما حلّ بالمنطقة الجنوبية لإفريقية وبخاصة في جبل نفوسة عدد مختلف فيه من الإباضية المشاركة بعدما تعرّضوا لملاحقات الأمويين والعباسيين في المشرق¹³.

قد ازداد عدد العرب بشكل تدريجي نتيجة قيام كلّ والٍ باستقدام أفراد قبيلته إلى إفريقية، وتكثيرهم للعنصر العربي بهدف إيجاد توازن بينهم وبين البربر والأفارقة من الناحية العددية، وهذا ما يمثّله قول هشام بن عبد الملك ردّاً على انتصارات الخوارج البربر على جيوشه: "والله لأغضبّن للعرب غصبة مضرية، ولأبعثنّ إليهم جيشاً أوله عندهم وآخره عندي، ثمّ لا تركت حصن بربري إلّا جعلت إلى جانبه خيمة قيسي أو يمني"¹⁴.

¹ سفوطرة: أو سفطورة؛ إقليم جليل غرب مدينة تونس به ثلاثة مدن: بنزرت، وتينجة، وأشلونة، أنظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص 130.

² باجة: مدينة سهليّة داخلية غرب سفوطرة، أهم زروعها القمح والشعير، وهي معتدلة المناخ، أنظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص 131.

³ الأريس: مدينة سهليّة مسوّرة، كثيرة المياه، معتدلة المناخ، أهم مزروعاتها القمح والشعير، وهي بين باجة والقيروان، أنظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص 132.

⁴ مجانة المعادن: مدينة صغيرة، بين قسنطينة والأريس، تعرف كذلك باسم مجانة المطاحن، وهي بين وادٍ غزير المياه، وجبل شاهق، أنظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص 132.

⁵ نقاوس: مدينة صغيرة كثيرة الشجر والبساتين، وفيها سوق قائمة، وبينها وبين طبنة مرحلتان، أنظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص 118.

⁶ طبنة: عاصمة إقليم الزّاب وأكبر مدنه، أنظر: اليعقوبي، المصدر السابق، ص 190.

⁷ باغاي: مدينة كبيرة عليها سوران، ولها رضى وأسواق وعمارات، وهي بين وادٍ مأؤه عذب وجبال الأوراس، أنظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص 124.

⁸ سطيف: مدينة كبيرة بين تاهرت والقيروان، وهي حصينة وتشتمل على قرى كثيرة وعمارات متّصلة، وقبيلتها كتامة من البربر. أنظر: الإصطخري، المسالك والممالك، نسخة إلكترونية مصوّرة، ص 20.

⁹ بلزمة: يبعد عن قسنطينة مسيرة يومين، وهو حصن لطيف في أهلّة عزّة ومنعة، ولها رضى وسوق، أنظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص 121.

¹⁰ مقرة: مدينة صغيرة بhamزارع وحبوب، بينها وبين طبنة مرحلة، أنظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص 118.

¹¹ اليعقوبي، المصدر السابق، 192.

¹² صورة مديانة، بلاد الزّاب من الفتح إلى غاية إنتقال الفاطميين إلى مصر (21-362هـ/642-972م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، باتنة، 2010م، ص 106.

¹³ سامية مقري، المرجع السابق، ص 21.

¹⁴ أحمد مختار عمر، النشاط الثقافي في ليبيا من الفتح الإسلامي حتّى بداية العصر التركي، طبعة مؤسسة تاوالت الثقافية، منشورات الجامعة الليبية، 1971م، ص 75-76.

3) نشأة مراكز ثقافية هامة في بلاد المغرب:

هي مدن كانت في البداية مراكز للحاميات العسكرية من الجند الفاتحين، وتدرجياً سكنها الفقهاء والأدباء والقراء والعُباد، والمحدثين، ناهيك عن مُثلي الإدارة الأموية والعباسية¹، فالمدن إستقبلت القادمين من المشرق، الذين شكّلوا قسماً هاماً من الجهاز الإداري، وأصبحت بذلك المدينة المغربية مركزاً لنشر حضارة جديدة قائمة على الإسلام، ثمّ التعريب لاحقاً، وهذه المدن شكّلت محور اتصال بين المسلمين الوافدين من المشرق، والعنصر المحلي من بربر وأفارقة، ولاسيما أنّ المدن الجديدة ساهم البربر في تأسيسها، فكانت منذ البداية مدن مزدوجة الثقافة: بربرية-عربية²، ومن هذه المدن:

أ) المغرب الأدنى:

(*) القيروان:

أصبحت القيروان بعد تأسيسها سنة 50هـ/670م، على يد عقبة بن نافع الفهري مركز نشر الدين الإسلامي والثقافة العربية في ربوع إفريقيا والمغرب ككل، وقد إكتسبت القيروان مكانة معنوية رفيعة في نفوس مسلمي إفريقيا؛ لكونها من بناء الصحابة (رضي)، ومحط رحال التابعين القادمين إلى المغرب³، وسكنها إضافة إلى البربر والأفارقة - أهل البلاد الأصليين - قبائل عربية مختلفة وعدد هام من الفرس⁴.

كما كانت القيروان رابع حاضرة أسستها الجيوش الإسلامية لتكون مركزاً لعملية الفتح في الإقليم الذي تأسست فيه: الكوفة في العراق، البصرة في مدخل الخليج الفارسي، الفسطاط في مصر، والقيروان في المغرب الأدنى، والتي قامت بدور ديني وسياسي وإجتماعي وثقافي هام في البلاد المفتوحة، ولكن دور القيروان كان أعمق وأشمل، ورغم فقدانها لدورها السياسي في المغربين الأدنى والأوسط بتأسيس عواصم جديدة، إلا أنّها حافظت على أهميتها الثقافية وتأثيرها العلمي على غرب العالم الإسلامي بأسره⁵.

(*) العباسية (القصر القديم):

كانت تعتبر إمتداداً وضاحية للقيروان، وكانت تبعد عنها بثلاثة أميال، وشكّلت مع المدينة الأم القيروان الكبرى، وهي مدينة إدارية، فالعباسية بناها إبراهيم بن الأغلب سنة 184هـ/800م للإحتماء بها من أية ثورة يقوم بها الجند العربي في القيروان، وبعد أن أتمّ بنائها نقل إليها حرسه الخاص، وأهله، وجهازه الإداري، وأصبحت العاصمة

¹ سامية مقري، المرجع السابق، ص16.

² عبد العزيز غوردو، الفتح الإسلامي للمغرب: جدلية التمددين والسلطة، الطبعة الثانية، دار ناشري للنشر الإلكتروني، الكويت، 2011م، ص69-70.

³ يوسف بن أحمد حوالة، الحياة العلمية في إفريقيا (المغرب الأدنى) منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري: 90-450هـ، الطبعة الأولى، منشورات جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2000م، ج1: ص145-146.

⁴ يعقوبي، المصدر السابق، ص187.

⁵ حوالة، المرجع السابق، ج1: ص148-149.

الإداريّة لإفريقيّة حتى 263هـ/876م¹، وبنى بها المسجد الجامع، والحمامات والأسواق والفنادق، وخزانات المياه، وكانت تزود القيروان في أوقات الجفاف، كما هيأ في وسطها ساحة واسعة سمّاها "الميدان"².

(*)رّقادة:

حاضرة بناها إبراهيم بن أحمد (261-289هـ/874-901م) في سنة 263هـ/876م، وتقع على مسافة ثمانية أميال جنوب غرب القيروان³، وبنى فيها الأسواق والحمامات والقصور والمسجد الجامع⁴، وقد انتقل إليها الجهاز الإداري للدولة الأغلبية فور الإنتهاء من بنائها، وبخلاف العبّاسيّة فإنّ رّقادة عرفت توافد عدد كبير من أهل العلم والثّقافة للإقامة فيها فأصبحت مركزاً ثقافياً هاماً حتّى سقوط الدولة الأغلبية سنة 296هـ/909م، وفيها تمّ إنشاء مؤسّسة بيت الحكمة الإفريقي على نمط بيت الحكمة في بغداد لشدّة اهتمام إبراهيم الثاني بالعلوم التجريبيّة كالرياضيّات والعلوم العقليّة كالفلسفة، فأراد بتأسيس هذا الصّرح العلمي الإهتمام بالدراسات العلميّة العقليّة بمعزل عن القيروان أو تونس حيث يكون الإهتمام مُنصبّاً على العلوم الثّقليّة وحدها⁵.

(*)تونس:

أسّسها حسان بن نعمان الغساني كبديل لمدينة قرطاجنة القديمة، وكان الغرض من إنشائها اتّخاذ قاعدة بحريّة إسلاميّة تؤدّي دور قرطاجنة في العهد البيزنطي من النّاحيّة الإستراتيجيّة، وسكنها عدد كبير من الفقهاء الذين سئموا من مظاهر الحياة المعقّدة في القيروان، وعُدّت ثاني مدينة في إفريقيّة من حيث الأهميّة بعد القيروان، ولكنها عانت من كونها مدينة مغلقة فلم تحظى بشهرتها⁶.

(*)سوسة:

مدينة ساحليّة تقع جنوب مدينة تونس، وشرق القيروان، حيث تبعد عنها بست وثلاثين ميلاً، وقد اعتنى بتعميرها الأغلبة، فأنشئوا كثيرًا من المؤسّسات العسكريّة والإداريّة والدينيّة بها باعتبارها مرفأ مدينة القيروان⁷، وسكنها الأفرقة والبربر والعرب والفرس⁸.

ما يميّز سوسة هو قيامها بدور الجهاد البحري باتجاه صقلية وغيرها من الموانئ البيزنطيّة في البحر المتوسّط، فهاجر إليها عدد كبير من العباد والزهاد الذين أقاموا في الرّباطات بقصد التّعبّد والمشاركة في المجهود الحربي،

¹ (حوالة، المرجع السابق، ج 1: ص 155.

² (البكري، المصدر السابق، ج 2: ص 201.

³ (حوالة، المرجع السابق، ج 1: ص 159.

⁴ (البكري، المصدر السابق، ص 200.

⁵ (حوالة، المرجع السابق، ج 1: ص 160-161.

⁶ (نفسه، ج 1: ص 166-167.

⁷ (نفسه، ج 1: ص 178-179.

⁸ (اليقوبي، المصدر السابق، ص 187.

والإنشغال بتدريس الأدب والعلوم الدينية في ما بينهم، وقد كان لهم دور كبير في النهوض بالدراسات الشرعية¹.

(* قسطنطينية - بلاد الجريد:

إقليم يقع في الجنوب التونسي الحالي، ويضم حواضر قديمة مثل: نفطة²، توزر³، نفزاوة⁴، الحامة⁵، قفصة⁶، وقنطرة... إلخ⁷، وتدرج هذا الإقليم في تبعيته السياسية والإدارية إلى أن يكون طوراً ولاية أغلبية، وطوراً آخر يخضع لإباضية تاهرت، وكان أغلب سكان هذا الإقليم على المذهب السني المالكي، وبالأخص في عاصمة الإقليم "توزر" وهي مركز الدراسات الدينية، وهو ما ساهم في ظهور عدد هام من الفقهاء، وكانت ملجأ لمن عانى منهم من مضايقات السلطة الأغلبية بالمدن الرئيسية في إفريقية⁸.

كانت مدينة نفطة أهم مركز لإباضية قسطنطينية، وتواجد بها مجموعات مالكية وشيعية، ونفس الأمر يقال عن قنطرة غير أنّ هذه الأخيرة تبدو إباضية خالصة⁹.

(* طرابلس:

يشمل إقليم طرابلس المدينة الأم، ولادة¹⁰، وسرت¹¹، وصبراتة، وزويلة¹²، وجبل نفوسة¹³، فمدينة طرابلس الأغلبية ظهرت أهميتها العلمية من خلال تواجدها في منتصف طريق الرحلة نحو المشرق بالنسبة للمغاربة والأندلسيين، فمكث بعضهم فيها لإلقاء دروس العلم على رواد مساجدها، وبخاصة منهم من كانت شهرته العلمية تسبقه

¹ (حوالة، المرجع السابق، ج 1: ص 180).

² (نفطة: مدينة متحضرة بينها وبين قفصة مرحلتان صغيرتان، وهي ذات أسواق، وزراعات، ومياه جارية، أنظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص 125).

³ (توزر: هي عاصمة إقليم قسطنطينية، كثير التخليل، ولها سور حصين، وقرها يُباع في كامل أنحاء إفريقية، وبها فواكه وبقول، وحبوب قليلة، وماؤها غير مستساغ، أنظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص 124).

⁴ (نفزاوة: إقليم يتكوّن من عدّة مدن، يبعد عن قسطنطينية بثلاث مراحل، وسكانه من الأفارقة والبربر، أنظر: اليعقوبي، المصدر السابق، ص 189).

⁵ (الحامة: تقع جنوب شرق توزر، كثيرة التخليل، وماؤها غير مستساغ، أنظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص 124).

⁶ (قفصة: مدينة حسنة لها سور ونهر جارٍ، وبها زراعات، وصناعات، وأسواق جيّدة، وأهلها يتكلمون باللسان اللاتيني - الإفريقي، أنظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص 124-125).

⁷ (حوالة، المرجع السابق، ج 1: ص 182).

⁸ (نفسه، ج 1: ص 185 و 186).

⁹ (نفسه، ج 1: ص 190-191).

¹⁰ (لبدة: مدينة قديمة بين برقة وإفريقية من إقليم طرابلس، أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م، ج 5: ص 10).

¹¹ (سرت: مدينة على ساحل البحر المتوسط، بينها وبين أجدابية خمس مراحل، وأهلها من لواتة، ويريفها من مزاتة الإباضية، ويسكنها أيضاً من البربر: منداسة، ومحنّا وفطناس، أنظر: اليعقوبي، المصدر السابق، ص 182).

¹² (زويلة: مدينة صحراوية صغيرة تبعد عن سرت بخمس مراحل إلى الجنوب، يعمل أهلها في زراعة التخليل ولها آبار مياه عذبة، ونشاط تجاري كبير مع مدن السودان، أنظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص 142).

¹³ (حوالة، المرجع السابق، ج 1: ص 192، وجبل نفوسة: جبل عالٍ يبعد عن قفصة مسيرة ستة أيام جنوباً، وطوله مسيرة ثلاثة أيام، ومركزه مدينة شروس، وهي ذات مياه كثيرة، وثروة زراعية من الكروم، والتين، والشعير، أنظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص 125).

إليها¹، كما أنّ طرابلس عرفت تواجد الصّحابة والتّابعين في فترة مبكّرة وتأسيس المساجد أيضًا التي غدت مراكز لتدريس التّعاليم الإسلاميّة واللّغة العربيّة، وكانت تحظى بأهميّة خاصّة لدى الأغلبية فكانوا يعيّنون أميرًا منهم واليًا عليها، فكانوا يعتقدون مجالس الأدب والعلم في قصورهم تشبّهاً بمجالس رقّادة، ومن هؤلاء الأمير محمّد بن زيادة الله والي طرابلس في عهد إبراهيم الثّاني²، والذي كان شاعرًا خطيبًا لا يُنادم إلّا أهل الأدب، وألّف فيه ، وله في التّاريخ مؤلّفات عديدة، منها كتاب "تاريخ بني الأغلب" المفقود³.

أمّا جبل نفوسة فقد كان مركزًا هامًا في نشر المذهب الإباضي ببلاد المغرب، من خلال كثير من المصنّفات التي وضعها أتباع الإباضية، وبرز عدد كبير من علمائها في الحياة السياسيّة للدولة الرستميّة، أمّا بقيّة مدن الإقليم فيُستدلّ على مكانتها الثقافيّة من خلال نسبة الأفراد إليها فيقال الفقيه السريّ أو اللّبيدي وغيرها⁴. يمكن الإشارة الى مراكز أخرى إرتبطت بمؤسّسة المسجد الجامع، فمدينة باغاية كان لها جامع⁵، هي ومدن: بجّانة المعادن، وقابس⁶، وصفاقس⁷ التي كان بها مساجد كثيرة⁸، ومرماجنة⁹، وسبيبة¹⁰، وساقية ممّس¹¹، ومنستير عثمان، وباجة¹²، وبنزرت¹³، وجوامع مدن بنطيسوس الثلاثة¹⁴، وتهودا¹⁵، وبادس¹⁶، وطبنة¹⁷.

¹(حوالة، المرجع السابق، ج1: ص195.

²(التليسي، الإتجاهات الثقافيّة في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، الطبعة الأولى، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2003م، ص86-88.

³(حسن حسني عبد الوهاب، ورفات عن الحضارة العربيّة بإفريقيّة التّونسيّة، مكتبة المنار، تونس، 1964م، ص86.

⁴(حوالة، المرجع السابق، ج1: ص196-197.

⁵(البكري، المصدر السابق، ج2: ص328.

⁶(نفسه، ج2: ص189.

⁷صفاقس: مدينة قديمة عامرة لها أسواق كثيرة، وهي محكمة التحصين كثيرة الرّباطات، النشاط الأساسي لسكّانها الصّيد البحري، أنظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص126.

⁸(البكري، المصدر السابق، ج2: ص191.

⁹(نفسه، ج2: ص329.

¹⁰(نفسه، ج2: ص330، ويصفها بأنّها مدينة قديمة مبنية بالحجارة، بها بساتين، ومطاحن، وحمامات، وتشتهر بإنتاج الزّعفران، ويحيط بها قبائل من العرب والبربر.

¹¹(نفسه، ج2: ص331، ويصفها بأنّها قرية عامرة بها فندق، وتقع بين القيروان وسبيبة.

¹²(نفسه، ج2: ص235، ويصف منستير عثمان بأنّها قرية كبيرة بها فنادق كثيرة وأسواق وحمامات، وأهلها عرب وبربر وأفارقة، وبينها وبين باجة ثلاث مراحل، وباجة مدينة كبيرة حصينة كثيرة المياه لها روض كبير وسور، وخمس حمامات وفنادق كثيرة.

¹³(نفسه، ج2: ص237، ويصف بنزرت بأنّها مدينة على البحر، عليها سور صخري، وبها أسواق وحمامات، وبساتين، وهي بين طبرقة وتونس.

¹⁴(نفسه، ج2: ص254.

¹⁵(نفسه، ج2: ص255.

¹⁶(نفسه، ج2: ص257.

¹⁷(نفسه، ج2: ص228.

وبسكرة¹.

ب) المغرب الأوسط:

(*) تاهرت:

عندما أسس الإباضية مدينة تاهرت² كان أول بانيان فيها المسجد الجامع، والذي كان نواة الحياة الثقافية في دولة قامت على أسس مذهبية، وعُرف جامع تاهرت بحلقات الجدل والمناظرة بين الإباضية وغيرهم من أصحاب المذاهب المختلفة التي كان معتنقوها يعيشون حياة ظاهرها التسامح وحرية الرأي في عاصمة الرستميين، وقد عمل أئمة تاهرت على استجلاب المصنّفات العلمية من المشرق سيما منها ما تعلّق بالمذهب الإباضي، فقد أرسل عبد الوهّاب بن عبد الرحمن بن رستم بألف دينار إلى البصرة لشراء كتب، وساهموا في نشر الثقافة بين رعاياهم من خلال

¹ البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 230.

² تأسست أول دولة إباضية في بلاد المغرب على يد عبد الله بن مسعود التجيبي، وكانت تمتد من سرت إلى قابس، وسرعان ما قضى عليها والي القيروان عبد الرحمان بن حبيب، والذي تغلب أيضًا على محاولة ثانية لتأسيس إمامة إباضية بقيادة عبد الجبار بن قيس المرادي، وبمساعدة الحارث بن قيس، وتكررت محاولة إنشاء إمامة إباضية مرّة ثالثة من طرف إسماعيل بن زياد النفوسي، الذي غزا قابس، ولكنه فشل في الصمود أمام عبد الرحمن بن حبيب، فتوقّف النشاط العسكري الإباضي حتى 140هـ/757م حينما اختار الإباضيون أبو الخطّاب عبد الأعلى بن السّمح المعافري إمامًا، واحتلّوا طرابلس، والقيروان في 140هـ/758م، وعقد الولاية لعبد الرحمن بن رستم وعاد إلى طرابلس لقتال العباسيين. بقي ابن رستم في القيروان يستعمل صلاحيات الوالي فعين العمال على التواحي، ولكنه تراجع أمام هزيمة الإباضية في تاورغا على يد العباسيين ومقتل أبو الخطّاب في المعركة سنة 144هـ/761م، وترك إفريقية بأسرها إلى المغرب الأوسط، وأقام وسط قبيلة لماية الإباضية، فبايعوه إمامًا عليها، لكونه من حملة العلم، ورأس المذهب الإباضي في بلاد المغرب، ووفدت على عبد الرحمان مجموعات من نفوسة وهوارة، وبايعوه إمام الظهور في 160هـ/777م، وبنوا مدينة تاهرت كعاصمة للإمامة، وكانت تتمتع بموقع هام، فهي بعيدة عن هجمات البيزنطيين في السواحل، وبعيدة عن القيروان ووجود موانع طبيعية تفصلها عنها هي جبال الأوراس، وتقع في منطقة معتدلة المناخ تتوسط التل والصحراء، ولها خزان مينا وناتش، إضافة إلى تواجد قبائل إباضية كثير في الترف والبادية المحيطين بها. كان أقصى امتداد للدولة الرستمية من سرت إلى تلمسان، وتخلّلتها جيوب مستقلة تمثّلت في دويلات خاضعة للمعتزلة من زناتة، وإمارات أخرى تابعة للأدارسة، وامتدّت دولة تاهرت إلى وارجلان جنوبًا، ولكنها لم تخضع مدينة طرابلس التي بقيت سنية أغلبية. والإمام الثاني لهذه الدولة كان عبد الوهّاب بن عبد الرحمن، وكان مصاهرًا لقبيلة زناتة فاستقوى بها على خصومه، وفي مقدّمهم النّكار الذين أنكروا إمامته وتزعّمهم يزيد بن فندين، وانتصر عليهم، وتوفي في 180هـ/796م، وخلفه ابنه أفلح الذي عرف الدولة في عهدها ذروة الإزدهار الاقتصادي، وتلاه في الإمامة ابنه أبو بكر (230-241هـ/844-851م) والذي صاهر العرب، واهتمّ بالعلم، وبفنون الترف، وبالتجارة، وكان ضعيفًا سياسيًا، فقتل صهره ابن عرفة رغم نفوذه الواسع، وأثار بذلك فتنة في تاهرت، كما انتشر الفساد الأخلاقي والاقتصادي في عهده، وخلفه في الحكم أخاه أبو اليقظان (241-281هـ/855-894م) وكان عكس أبابكر مهتمًا بالدين والثقافة، وجاهدًا في ملذّات الحياة، كما سجن في فترة حكم والده من قبل العباسيين أثناء أدائه فريضة الحج، وهو ما أثر في أدائه السياسي فأصلح ما أفسده سلفه.

وبعد وفاته وقع صراع على الحكم بين أبوحاتم يوسف بن أبي اليقظان وعمّه يعقوب بن أفلح، وأخاه اليقظان، ودارت الحروب بينهم باستعمال الفئات الموالية للدولة من قبائل البربر والعرب والفرس، وانتصروا في الصراع أبو اليقظان سنة 294هـ/907م، وذلك في ظروف صعبة ميّزتها صعود أنصار الفاطميين الشيعة وانتصاراتهم العسكرية، فتمكّنوا من القضاء على الأسرة الرستمية سنة 296هـ/909م. أنظر: جودت عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص 26-32 و 58-70.

حلقات الدّروس الّتي كانوا يعقدونها في جامع تاهرت، فقد كان الإمام عبد الوهّاب يجلس إلى أربع حلقات وهو صغير، أمّا الإمام أبو اليقظان فعقد مجالس للمناظرة وحلقات تحت إشرافه¹.

(*) وارجلان:

عرفت وارجلان (ورقلة) نشاطاً ثقافياً لافتاً باعتبارها بؤابة الصّحراء، ومحطّة عبور القوافل التجاريّة²، وكانت مركزاً هاماً من مراكز الإباضيّة، وامتدّ إشعاعها الثقافي إلى ما يحيط بها من واحات، مثل: تجديت الّتي كثر بها العلماء والطلّبة من الإباضيّة³.

(*) تلمسان:

كان في تلمسان مساجد كثيرة ومسجد جامع، وهي مدينة هامة بالنّسبة لقبيلة زناتة في القرن الثّالث الهجري، وللأدّراسة أيضاً فقد جدّدها الأمير الإدريسي محمّد بن سليمان بن عبد الله⁴. كما أمكننا تتبع إنتشار الجوامع والمساجد من قياس مدى انتشار الثقافة العربيّة الإسلاميّة في المغرب الأوسط، باعتبار أنّ التّعليم ومعرفة أحكام الدّين تركّزا في دروس المساجد وحلقاتها، ومن المدن الّتي عرفت تواجد الجوامع: مدينة ميلة في إقليم كتامة الّتي كانت عاصمة المغرب الإسلامي على عهد أبي المهاجر دينار (55-60هـ/675-681م) وذلك لثلاث سنوات (59-61هـ/678-680م)⁵. إضافة إلى جوامع: يّلل⁶، والغدير⁷، وتنس⁸، وتيجس⁹، ومرسى الدّجاج¹⁰، وجزائر بني مزغني¹¹، وتاجنة¹²، وأرشقول¹³.

¹ (التليسي، المرجع السابق، ص 90-91).

² (إبراهيم بخاز، التّعليم في المغرب الأوسط خلال القرون الثلاثة الهجريّة الأولى (7-9م)، مقال منشور بتاريخ 20 جويلية 2009م، ص 1).

³ (مسعود مزهودي، الإباضيّة في المغرب الأوسط: منذ سقوط الدّولة الرستميّة إلى هجرة بني هلال إلى المغرب (296-442هـ/909-1058م)، منشورات جمعية التراث، القرارة، 1996م، ص 27-28).

⁴ (البكري، المصدر السابق، ج 2: ص 259-260).

⁵ (إبراهيم بخاز، المرجع السابق، ص 1).

⁶ (البكري، المصدر السابق، ج 2: ص 328، ويّلل: مدينة بها عيون ومياه كثيرة وفواكه وزروع وبلادها جيّدة للفلاحة، أنظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص 112).

⁷ (نفسه، ج 2: ص 240).

⁸ (نفسه، ج 2: ص 242، وتنس: مدينة على ساحل البحر المتوسّط، بين جبل ووادي كثير المياه، وهي خصيبة ذات فواكه وزراعات، ولها سور حصين ومينائها يُستغلّ في نقل البضائع إلى الأندلس، أنظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص 112).

⁹ (نفسه، ج 2: ص 244).

¹⁰ (نفسه، ج 2: ص 246، ومرسى الدّجاج: مرسى بحري مأمون من الرّيح وحصين، يبعد عن جزائر بني مزغني شرقاً بثمانية وثلاثون ميلاً، ويرفها مزدهر زراعياً، أنظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص 115).

¹¹ (جزائر بني مزغني: مدينة تجارية على ضفّة البحر، لها بادية كبيرة وجبال يسكنها البربر، وهي مزدهرة زراعياً، أنظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص 115).

¹² (البكري، المصدر السابق، ج 2: ص 247).

¹³ (نفسه، ج 2: ص 260).

وندرومة¹.

من المرجح أنّ العلويين الأدارسة كانوا شيوخ علم وتعليم، فعملوا على تأسيس الجوامع والتدريس فيها، وذلك في المدن التي سيطروا عليها؛ كمدينة هاز وأحوازها وكانت دارإمارة الحسن بن سليمان، ومتيجة وأحوازها لبني محمد بن جعفر، ومدن الخضراء²، وسوق إبراهيم³.

ج) المغرب الأقصى:

(*) فاس:

حظيت مدينة فاس منذ تأسيسها بتوافد مجموعة من الفقهاء والأدباء من القيروان والأندلس، والذين ساهموا في إثراء الحياة الثقافية في عهد مؤسسها إدريس الثاني، فأهل إفريقية حملوا معهم ثقافة القيروان السنية، والأندلسيين الذين فروا إلى عاصمة الأدارسة سنة 189هـ/805م حملوا معهم ثقافة أهل الأندلس⁴.

(*) سجلماسة⁵:

تأسست بهذه المدينة أول إمارة مستقلة ببلاد المغرب الإسلامي سنة 140هـ/757م، وهي إمارة بني مدرار المكناسيين أتباع المذهب الصفري الخارجي⁶، وتمتعت بموقع سهلي ملائم للنشاط الزراعي، فكثر فيها بساتين الفواكه والتمور، وكانت بها جالية يهودية⁷، وكان أهم مورد إقتصادي لها التجارة مع السودان الغربي⁸. مسجدها الجامع بناه اليسع بن مدرار⁹، مما يعني وجود ثقافة إسلامية بين السكان، وإلقاء دروس وعقد حلقات علمية فيه تتمحور بلا شك حول المذهب الصفري¹⁰.

¹ البكري، المصدر السابق، ج2: ص263.

² الخضراء: مدينة صغيرة حصينة على نهر صغير عليه عمارات متصلة وسوق وحمام، وهي بين تنس ومليانة، أنظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص113.

³ سوق إبراهيم: مدينة صغيرة على ضفة نهر الشلف، أنظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص112.

⁴ التليسي، المرجع السابق، ص95. وللتعرف بالتفصيل على تاريخ مدينة فاس، أنظر: السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ط2، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1982، ص401-438.

⁵ سجلماسة: مدينة متوسطة ماثلة لاهرت، وهي منقطعة لا يُعبر إليها إلا وسط القفار والرمال، وهي على طريق الذهب،

ومنها يعبر إلى السودان لجلبه عبر مسالك صعبة وشاقة، أنظر: الإصطخري، المصدر السابق، ص20.

⁶ ينسب بناء سجلماسة إلى أبو القاسم سمغون بن واسول الذي كان يمتحن تجارة الماشية في وادي درعة، وكان موقع المدينة سوقاً لتجارة السودان، ولجأ إلى موضع المدينة أربعون رجلاً من أتباع الثائر الصفري ميسرة المطغري، وعينوا أحدهم وهو عبد سوداني اسمه عيسى بن يزيد إماماً عليهم في 40هـ/758م، وشرعوا في بناء المدينة، والتي كانت في حقيقتها قرية صحراوية، وسرعان ما تم اغتيال عيسى الأسود، وتولّى الحكم سمغون بن واسول (155-168هـ/772-784م)، وخلفه ابنه إلياس (168-174هـ/784-791م).

وعرفت سجلماسة التوسع والقوة في عهد اليسع بن سمغون (174-208هـ/790-823م)، فاتخذت شكلاً مقارباً لاهرت الرسمية، ووسّع اليسع نفوذه إلى القبائل المجاورة، ونشر بينهم المذهب الصفري، وسيطر على مناجم درعة، ولجأ إليها مجموعة من الأندلسيين سنة 208هـ/824م.

أنظر: سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1979م، ج2: ص409-417.

⁷ البكري، المصدر السابق، ج2: ص332-333.

⁸ اليعقوبي، المصدر السابق، ص199.

⁹ البكري، المصدر السابق، ج2: ص332-333.

¹⁰ التليسي، المرجع السابق، ص98-99.

يُمكن الحكم على تواجد الثقافة العربيّة الإسلاميّة في مدينة أو قرية أو منطقة ما من خلال تواجد المساجد، فهي ليست أمكنة عبادة فقط بل هي مكان للتعليم عبر الكتاتيب ونشر المعرفة الدينيّة عبر حلقات التدريس، ومن المدن التي كان بها مسجد جامع: مدينة نكور¹، وبقرها مسجد على النمط العمراني لمسجد الإسكندريّة، بناه سعيد بن صالح الحميري على نهر غيس²، ومدينة ماسة والتي كان بها مسجد ورباط بهلول³، وسبتة وهي "دار علم" حسب وصف البكري⁴، وجامع جبل تارمليل وسط بلاد مسمودة⁵، وجوامع: طنجة، وسوق كتامة⁶، والبصرة⁷، وأصيلة⁸، ومدينة يوجاجين⁹، تسول، قلعة جرماط¹⁰، جراوة¹¹.

¹ أسّس هذه الإمارة صالح بن منصور الذي كان في الأصل داعية إسلامي قدم إلى المغرب الأقصى، واستوطن في أراضي بني تسمان في فترة حكم الوليد بن عبد الملك (85-95هـ/705-715م)، فأسلم على يده مجموعة من بربر صنهاجة وغمارة، وتزوَّج امرأة من صنهاجة وأنجب منها: المعتمصم وإدريس، ومن امرأة أخرى أنجب عبد الصّمد، وتولّى الأوّل الزّعامة الدينيّة بعد وفاة والده، وخلفه بعدها الإبن الثاني إدريس، وبعد وفاته خلفه ابنه سعيد فبنى مدينة نكور، وتمتعت بموقع هام فقد كانت بين نحرين: نكور، وغيس، وتبعد عن البحر خمسة أميال، ولكن كان لها ثمانيّة مرافئ للسفن، واتّصل مباشر بالبر الأندلسي عبر مدينة مالقة، وتحيط بها غابات الأرز، فازدهرت المدينة، وكثرت أسواقها وحماماتها، ووُجدت بها جاليّة يهوديّة، واستمرت فترة حكم سعيد سبعة وثلاثين سنة.

وتعرّضت الإمارة الصّغيرة لغزو النورمان سنة 244هـ/858م، كما تعرّضت لثورات القبائل البربريّة المجاورة بشكل متكرّر، ثمّ خلف صالح والده سعيد بن إدريس بعد وفاته، وحكم لعشرين سنة تمكّن فيه من قمع تمرد بعض إخوته وتحالفهم مع بربر مكناسة، وبعد وفاته خلفه ابنه سعيد الثاني والذي تعرّض بدوره لتمرّد من خدم قصره من الصّقالبة بمساعدة أخيه عبيد الله، وعمّه الرّضّي أبو علي، وبعض القبائل البربريّة.

وخلال فترة حكم سعيد الثاني تعرّضت نكور لغزو الفاطميّين سنة 297هـ/910م، فقتلوا رجالها، وسبوا النّساء والأطفال، ولجأ بنو صالح الحميري إلى ميناء مالقة في الأندلس، وحاولوا الإستعانة بدعم الأمويّين لاسترجاع ملكهم، وهو ما حدث بعودة أبناء سعيد إلى نكور حتّى 317هـ/929م، حينما هزمهم موسى بن أبي العافية ودّمّر المدينة، وما لبث الأمير أيّوب إسماعيل بن عبد الملك الحميري أن أعاد بناء المدينة إلى 323هـ/934م حينما غزاها مرة أخرى الفاطميّون، ثمّ تولّى أمورها سنة 336هـ/947م أمير من أسرة بني صالح إسمه جرثم بدعم من البربر والأمويّين واستمرّت الإمارة في نسله إلى 460هـ/1068م، كما كانت لهم علاقات حسنة بالأدراسة وصاهروهم.

أنظر: البكري، المصدر السابق، ج2: ص273-283، وابن عذاري، البيان المغرب في أخبار المغرب، تحقيق: ج.س. كولان وليفني برونسال، الطبعة الثالثة، دار الثقافة، بيروت، 1983م، ج3: ص176-180.

² البكري، المصدر السابق، ج2: ص273.

³ اليعقوبي، المصدر السابق، ص199.

⁴ المسالك والممالك، ج2: ص285.

⁵ نفسه، ج2: ص291.

⁶ نفسه، ج2: ص292.

⁷ نفسه، ج2: ص293.

⁸ نفسه، ج2: ص294.

⁹ نفسه، ج2: ص297.

¹⁰ نفسه، ج2: ص325.

¹¹ نفسه، ج2: ص326.

وجامع حصن يّزارة¹، وجامع مطماطة أمسكور، وجامع مغيلة، سوق لميس²، تيومتين عاصمة إقليم وادي درعة³.

4) وسائط الثقافة:

أ) المساجد:

تميّزت الدّراسة بالمساجد بحريّة إختيَار الطّالِب لحلقات الدّرس وشيوخه وأنواع المعارف والمصنّفات الّتي يرغب في دراستها، وكان يتنقّل بذلك من حلقة إلى أخرى، بدون أن يكون له سقف مُحدّد زمنياً، ولم يكن هناك تفرّغ لطلب العلم في المساجد إلّا من أقلّيّة من الأفراد؛ فالأغلبيّة كانت تحضر الدّروس والحلقات المسجديّة من العصر إلى العشاء أي بعد انتهاء أوقات العمل لمن كان يتكسّب بمهنة معيّنة⁴، وكان كثير من الفقهاء مثل أسد بن الفرات وسحنون في القيروان يتكسّبون من مصدر رزق دائم، ويبحثون على الإستقلاليّة في الكسب، وتفاذي التّكسّب بطلب العلم أو ترك العمل لأجله⁵، وكان أهمّ الجوامع:

(*) جامع عقبة بن نافع:

كرّست ظروف بناء المسجد الجامع بالقيروان وجود علاقة روحيّة عميقة بين مسلمي إفريقيّة وهذا الصّرح الديني والثقافي الّذي لعب دوراً سياسياً واجتماعياً هاماً منذ بنائه⁶، والبناء الأوّل له كان بتأسيس المدينة على يد عقبة بن نافع، ثمّ جدّد الجامع حسان بن النّعمان، وبعدها تمّت توسعته في خلافة هشام بن عبد الملك، فبنيت صومعة المسجد، وتمّ هدم الجامع — عدا المحراب — وإعادة بنائه سنة 155هـ/771م على يد الوالي يزيد بن حاتم المهلّبي، وأعيد بنائه مرّة أخرى في عهد زيّادة الله الأوّل الأغلي ولكن بجماليّة أكبر، وهو التقليد الّذي اتّبعه إبراهيم الثّاني الّذي زيّنه بإثنان وثلاثون سارية من الرّحام وكثير من الزّخارف، وتمّ فرش أرضيّته بالبلاط⁷، ولقد أمّه عدد هام من التّابعين الّذين دخلوا إفريقيّة وألقوا فيه دروسهم، وغيرهم من طلبة العلم في المشرق والمغرب طيلة فترة حكم الولاة والعهد الأغلي⁸.

(*) جامع الزّيتونة بتونس:

يأتي جامع الزّيتونة في المرتبة الثّانيّة من حيث الأهميّة بعد نظيره في القيروان، وهذا الصّرح الثقافي أسّسه

¹ (البكري المصدر السابق، ج2: ص331).

² (نفسه، ج2: ص332).

³ (نفسه، ج2: ص341).

⁴ إبراهيم حركات، مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتّى القرن 9هـ/15م، الجزء الأوّل، الطبعة الأولى، دار الرّشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000م، ص22-23.

⁵ (حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص91-93).

⁶ (حوالة، المرجع السابق، ج1: ص202).

⁷ (البكري، المصدر السابق، ج2: ص195-196).

⁸ (حوالة، المرجع السابق، ج1: ص203-204).

الوالي الأموي عبيد الله بن الحبحاب (116-122هـ/734-741م)¹، وقد استقرّ في مدينة تونس عدد من التابعين والعلماء، ودرّسوا بجامعها الأعظم².

كان إلى جانب الجامعين الأعظمين في القيروان وتونس، مساجد كثيرة في مختلف مدن المغرب الأدنى، فكان كثير من التابعين قد درج على تأسيس مسجده الخاص به، حينما يستقرّ في القيروان أو تونس، وقد اتّبع هذا التقليد فقهاء المغرب، وكانوا يدرّسون في هذه المساجد مختلف العلوم الدّينية مجّاناً أي أنّها كانت مراكز علميّة مصعّرة³.

ب) بيت الحكمة الأغلي:

إنّ دراسة العلوم التجريبيّة أمر لم يكن للجامع أن يقوم به كما يقوم بالعلوم الدّينية أو الإنسانيّة، لذلك تمّ إنشاء مؤسسة تجمع بين ترجمة كتب الأمم القديمة، والدّراسة والبحث في هذا الصّنف من العلوم، وجمع الكتب المؤلّفة في المشرق والمغرب، والتّعليم العالي في العلوم العقليّة، وهذه المؤسسة هي بيت الحكمة التي أنشأها الأمير إبراهيم بن الأغلب في مدينة رقّادة⁴، قال عنها حسن حسني عبد الوهّاب: "هي الحدث الأعظم لانبعاث العلوم الرّياضيّة الذي لم يسبق له نظير في الأقطار المغربيّة الأخرى"⁵.

عمل الأمراء الأغالبة على جلب نسخ من كتب دار الحكمة في بغداد، وعقدوا مجالس للمناظرة والجدل⁶، ولقد أسند إبراهيم الثاني إدارة شؤون بيت الحكمة إلى علماء جلبهم من بلاد الشّام ومصر، وجلب معهم مصنّفات كثيرة في: الفلسفة، والمنطق، والجغرافيا، والفلك، والطّب، والهندسة، والحساب، والنبات، وقد بذل الأمير الأغلي مجهودات كبيرة في تحديد محتويات المكتبة من خلال إرسال سفارتين إلى بغداد مرّة أو مرّتين في العام، لتحديد ولائه للخليفة، ولاقتناء الجديد من الكتب، واستقدام علماء من العراق أو مصر، وهوّ ذات المجهود الذي قام به آخر أمير أغلي؛ زيّادة الله الثالث (290-296هـ/903-909م) الذي جلب علماء من صقلية، وبلاد اليونان، وكان يتقن اللّاتينية كسابقه: عبد الله الثاني⁷، وإبراهيم الثاني الذي كان يتكلّم بها مع غلمانته وجواريه من الصّقالبة حتّى أتقنها، وكان يهتم بعلم الفلك والحساب والتّنجيم⁸.

¹ (حوالة المرجع السابق، ج1: ص211-212).

² (نفسه، ج1: ص219).

³ (نفسه، ج1: ص222-223).

⁴ (التليسي، المرجع السابق، ص81).

⁵ (أنظر: ورقات، ص73).

⁶ (التليسي، المرجع السابق، ص81).

⁷ (نفسه، ص84).

⁸ (حسن حسني عبد الوهّاب، المرجع السابق، ص85).

ج) الكتاتيب:

تعتبر الكتاتيب نواة الثقافة والمعرفة عند المسلمين في تلك المرحلة، فتواجدت في كل شارع، وحي من الأحياء، وفي كل قرية، وفي كل مسجد وجامع، وارتبط ظهورها في بلاد المغرب باعتماد الإسلام¹، وقد بلغ عددها في بالرمو عاصمة صقلية مثلاً ثلاثمائة كتاب، ومن المحتمل أن يكون عددها في القيروان أكبر بكثير لأنها أعظم مكانة وأكثر سكاناً².

وقوام الكتاب: مكان، ومعلم، وصبيان، وهو في حقيقته مدرسة ابتدائية بشكل مبسط وفق روح ذلك العصر، فكان برنامج التدريس يحتوي على قواعد القراءة والكتابة، وبعض المبادئ الدينية حول أساسيات الإسلام، ومبادئ أولية في الحساب، والنحو، واللغة، إضافة إلى الدور الأساسي وهو تحفيظ القرآن³، وذلك بأسلوب متشابه في كثير من بلاد المغرب الإسلامي من خلال حفظ القرآن فردياً وجماعياً وكتابته على ألواح خشبية، وتعليم الخط، وحفظ متون فقهية، ويُعاب على منهج الكتاتيب الاعتماد على الحفظ بشكل أساسي، إلا أن ميزتها إمكانية تخريج أطفال يحفظون القرآن وهم دون العاشرة⁴. وحظي المؤدّب (معلم الكتاب) بمكانة هامة وتقدير عظيم من سكان بلاد المغرب، باعتباره من حفظة كتاب الله ومرتلّيه، وهذا هو الشرط الجوهرى في قيامه بهذا العمل⁵.

والكتاب يكون في البادية ملحفاً بالمسجد دائماً، أما في المدينة فيكون في المسجد أو الجامع وأحياناً يستقل في مكان خاص، وهي الكتاتيب العامة، أما الكتاتيب الخاصة فهي الملحقة بقصور الوجهاء⁶، والذين يختارون لأبنائهم مؤدّبين من الذين امتلكوا سمعة حسنة في العلم والأدب، وعُرف الأغلبة باختيار مؤدّبين اثنين لأبنائهم أحدهما للقرآن، والآخر للعربية والشعر، فقلّدتهم في ذلك الأسر المترفة⁷، كما أنهم اعتنوا بتدريس بناتهم في قصورهم، فكان لهنّ مؤدّبين لتلقين القراءة والكتابة، وحفظ القرآن، وأشعار القدامى⁸.

د) الرّباطات:

الرّباط هو ثكنة عسكرية في الثّغور تكون بمثابة مركز دفاعي متقدّم في وجه العدو، تميّز بالحصانة، وبساكنيها من المتطوّعة، والرّهّاد، والعبّاد الذين يرابطون فيها بغية الجهاد⁹، وكان أوّل رباط بُني في بلاد المغرب من طرف التّابعي شاعر من مرافقي عقبة بن نافع في حملته على إقليم آسفي حيث يوجد ضريحه حتى الآن، وكان هذا الرّباط مركزاً

¹ (حوالة، المرجع السابق، ج 1: ص 226).

² (حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 90).

³ (حوالة، المرجع السابق، ج 1: ص 227).

⁴ (إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 15).

⁵ (حوالة، المرجع السابق، ج 1: ص 228).

⁶ (نفسه، ج 1: ص 228).

⁷ (إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 17).

⁸ (حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 86).

⁹ (حوالة، المرجع السابق، ج 1: ص 236-238).

لتعليم القرآن، ومبادئ الإسلام¹، وانتقل الرّباط في بلاد المغرب من القيام بدور عسكري إلى بناء مركز ديني بجانبه لبثّ الدّعوة الإسلاميّة، ونشر الثقافة الدّينيّة بين المتطوّعة²، وقد تزايدت الرّباطات خلال القرن الثّاني الهجري/السّابع الميلادي بسبب إزدياد عدد معتنقي الإسلام من البربر والأفارقة، وإقبالهم على معرفة تعاليمه³، فامتدّت بشكل منتظم على طول السّاحل المتوسّطي بين صفاقس وبنزرت⁴، وانتشرت في كافّة الثّغور السّاحليّة للمغربين الأوسط والأقصى مثل رباط أرزاو⁵، ورباط ساحل ندرومة⁶، ورباط ماسّة⁷.

لم تكن في إفريقيّة رباطات بحريّة على السّواحل المتوسّطيّة لحمايتها من الرّوم فحسب، بل كانت هناك رباطات صحراويّة في المناطق المتاخمة للسّودان الغربي، وهي منطقة لم ينتشر الإسلام فيها بشكل كبير آنذاك⁸.

كان يحيط بالرّباطات المحارس والقصور، وهي أماكن إقامة كما هوّ واضح من إسمها، فالقصور هي عبارة عن تجمّع سكني من طابقين أو أكثر، محمي بأسوار وأبراج، ويتوقّف على مخازن جماعيّة، ويعود إنشاء أوّلها إلى فترة ولاية حسان بن النّعمان حينما أنشأ سبعين قصرًا في الصّحراء الفاصلة بين طرابلس وإفريقيّة⁹.

من أهمّ الرّباطات البحريّة: المنستير، وسوسة، ولمطة¹⁰، وقلاع بنزرت وهي مجموعة من الرّباطات المتقاربة، يسكنها الصّالحون، و"ياوي إليها أهل تلك النّاحيّة إذا خرج الرّوم غزاة إلى بلادهم، فهيّ مفرّجٌ لهم وغوث"¹¹.

هـ) المكتبات:

حظيت عمليّة الكتابة والتّأليف بعناية واهتمام المغاربة مبكرًا، وبخاصّة في المغربين الأدنى والأوسط، حيث كان تفسير عكرمة البربري أوّل مصنّف مغربي، وذلك في مطلع القرن الثّاني الهجري¹²، وانبرى لتصنيف المعارف الدّينيّة والأدبيّة رواد المراكز الدّينيّة الكبرى كالقيروان، وسوسة، وتونس، وطرابلس، فنتج عن ذلك مجموعات ضخمة، قدّرت بعشرات الأجزاء من المؤلّف الواحد، وهوّ ما تطلّب إيجاد مكتبات ضخمة، وقدّأمرأ إفريقيّة نظرائهم في المشرق الذين اتّخذوا مكتبات عامّة وخاصّة، إضافة إلى ميلهم للعناية بالعلوم والمعارف، فقد أنشأ الأغلبية مكتبة في المسجد

¹ إبراهيم حرّكات، المرجع السابق، ص15.

² حوالة، المرجع السابق، ج1: ص239.

³ حفيف كعوان، أثر فقهاء المالكيّة الإجماعي والثقافي إفريقيّة من القرن (2-5هـ/8-11م) رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ

الإسلامي، جامعة باتنة، 2009م، ص74.

⁴ يعقوبي، المصدر السابق، ص189.

⁵ البكري، المصدر السابق، ج2: ص252.

⁶ نفسه، ج2: ص263.

⁷ يعقوبي، المصدر السابق، ص199.

⁸ حوالة، المرجع السابق، ج1: ص240.

⁹ إبراهيم حرّكات، المرجع السابق، ص24.

¹⁰ حوالة، المرجع السابق، ص241.

¹¹ البكري، المصدر السابق، ج2: ص237.

¹² إبراهيم حرّكات، المرجع السابق، ص56.

الجامع بالقيروان، ضُمَّت أمّهات الكتب النفيسة، وقام كثير من الوجهاء بتحبيس كتبهم فيها، وهذه المكتبة كانت تعرف ببيت الكتب، وكانت في الجزء المجاور للمحراب¹، وفيها كثير من المصاحف المكتوبة بالخط المشرقي القديم، ومنها مصحف عثمان بخط عبد الله بن عمر (رضي)².

حظي جامع الزيتونة بمكتبة كبيرة عجت بمصنّفات ومصاحف قيّمة، وكتب في الحديث والتفسير وغيرها³. أمّا أشهر مكتبة في المغرب الأدنى في العهد الأغلي فهي مكتبة بيت الحكمة برقّادة، حيث ضُمَّت مجموعة كبيرة من المجلّدات في أصناف مختلفة من المعارف، سيّما منها العلوم التجريبيّة والعلوم الدّينيّة⁴، إضافة إلى تواجد مكنتات في الأريطة⁵، فقد كانت الكتب تُحبس عليها ليستفيد منها المرابطون في ثقافتهم الدّينيّة⁶.

اشتهرت في تاهرت مكتبة "المعصومة"، وكان يجلب إليها الكتب النفيسة من الإنتاج العلمي للمشاركة، وبلغ عدد مجلّداتها ثلاثمئة ألف من مختلف أنواع العلوم والفنون، ولقد أحرّقها الفاطميّون سنة 296هـ/908م⁷. أمّا عن المكتبات الخاصّة فنذكر مكتبة عبد الله بن قاسم بن مسرور المشهور بابن الحجاج (273-346هـ/886-957م) التي كان فيها سبعة قناطير من الكتب⁸. كما أنّ قرى ومدن جبل نفوسة كانت تزخر بالعشرات من الخزائن العامرة بالمصنّفات، والتي أتت النيران عليها في كثير من الفتن التي ألمت بالجبل، ومن أشهرها "خزانة نفوسة"، وكان مقرّها في مدينة شروس عاصمة الجبل، وكانت تحتوي على آلاف الكتب في عهد الإمام الرستمي أفلح بن عبد الوهاب⁹.

5) ثقافة الطبقة الحاكمة:

عمل حكام الدّول المستقلّة على الإهتمام بالجانب الثقافي، وهو ما يظهر بوضوح على مجهودات الأمراء الأغالبة في تشجيع الإهتمام بالعلوم، والذي هو نتاج حياة أمراء رقّادة والعباسيّة على مقدرات ضخمة، وسيطرهم على أهم حاضرة في بلاد المغرب (القيروان) وهي المركز الأساسي للمعارف والعلوم في تلك المرحلة¹⁰. حاول الاغالبه أن يمثّلوا السّلطة العباسيّة قدر استطاعتهم، فأنشأوا بيت الحكمة برقّادة، وهو نموذج مصغّر لنظيره في بغداد، وأطلقوا الحرّيّة لمذهبي العباسيّين الرّسميّين: الحنفي والإعتزال، وكان أغلب بني الأغلب على درجة

¹ (حوالة، المرجع السابق، ج 1: ص 250-252).

² (أحمد مختار عمر، المرجع السابق، ص 106-107).

³ (حوالة، المرجع السابق، ج 1: ص 253).

⁴ (نفسه، ص 253).

⁵ (حفيظ كعوان، المرجع السابق، ص 75).

⁶ (إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 63-64).

⁷ (أحمد مختار عمر، المرجع السابق، ص 107).

⁸ (حفيظ كعوان، المرجع السابق، ص 75).

⁹ (حوالة، المرجع السابق، ج 1: ص 255).

¹⁰ (إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 69).

رفيعة من الثقافة¹، إذ قيل فيهم: "ولا نعرف واحداً منهم لم يقرض الشعر الجيد في سائر أغراض القريض من حماس ونسيب، إلى وصف حال، إلى تسجيل حكمة"². فالأمير إبراهيم الثاني (261-289هـ/874-902م) أتيقن العلوم الدينية، واللغوية، واعتنى بالأدب شعراً ونثراً، واهتم بمعرفة العلوم الرياضية، واهتم عبد الله الثاني باللغة والأدب والجدل، وبالنشاط العلمي في بيت الحكمة، أما زيادة الله الثالث فلقد حرص على جلب متخصصين في الطب والفلسفة والأدب من العراق، ومصر، وبلاد اليونان، وتسخيرهم للتدريس في بيت الحكمة³.

6) ازدهار الحركة العلمية في المشرق:

إنّ أهم ما شجّع المسلمين على العناية بالعلوم هوّ الباعث الديني وحثّ الإسلام على طلب العلم، ولعبت المساجد دوراً هاماً من خلال حلقات الدروس على تيسير سبل التحصيل للطلبة، وكذلك تشجيع الخلفاء للنهضة العلمية، فقد كانوا يرسلون بعثات للتنقيب عن الكتب في الكنائس القديمة، وأرسل الخلفاء العباسيون بعثات إلى الهند والقسطنطينية لشراء الكتب الهامة، وترجمتها من الفارسية والهندية واليونانية إلى العربية⁴.

لم يكد ينتصف القرن الثاني الهجري ، حتّى نمت العلوم والمعارف بالمشرق الإسلامي نتيجة الإحتكاك بشعوب وحضارات البلدان المفتوحة، وقد عرف وقتها نشاطاً علمياً لافتاً وبخاصّة في ميدان الفقه حيث بدأت تتشكّل إرهابات نشأة المدارس الفقهية⁵.

انقسمت مراكز النشاط الثقافي في المشرق إلى قسمين هامين: الحجاز، وقد كان مركز العناية بالعلوم التقليدية من فقه، وحديث، وقرآيات، وتفسير، وتحلّي ذلك في نشوء مذهب حجازي خالص في الفقه وهوّ المذهب المالكي على يد الإمام مالك بن أنس الأصبحي (ت 179هـ/795م)، والعراق، والذي كان مركز الإختلاط بالشعوب المختلفة ديناً وثقافة، فسيطرت العلوم العقلية على الحياة الثقافية فيه أكثر من العلوم التقليدية، إضافة إلى مصر، والشّام⁶.

7) دور الرحلة:

إرتبط المغاربة منذ إعتناق الإسلام بمكة والمدينة باعتبارهما منشأ الرسالة المحمدية، وموطن الصحابة والتابعين، وقد إستفادت إفريقية بتواجدهم فيها ونشرهم لتعاليم الإسلام⁷، ولما أدرك أهل إفريقية أنّ العلم الشرعي يؤخذ من الصحابة والتابعين شدّوا الرّحال إليهم إبتداءً من القرن الثاني للهجرة، وتتابع بعد ذلك الرحلات إلى الحجاز، وسارت

¹ إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 70.

² حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 85.

³ نفسه، ص 222-228.

⁴ إبراهيم محمّد القباني، دور العلماء المسلمين في تطوير العلوم، إصدارات مؤسسة الرعاية العامة للشباب، الرياض، 1994م، ص 15-16.

⁵ حوالة، المرجع السابق، ج 1: ص 115.

⁶ نفسه، ج 1: ص 118-119.

⁷ محمد زيتون، المرجع السابق، ص 419.

بعدها تقليدًا لدى المغاربة¹.

إنّ رحلة المغاربة إلى المشرق كان لها دافع ديني قوي وهو الحج باعتباره من أركان الإسلام، وخلال رحلة المغاربة إلى الحجاز كانوا يتوقّفون بمصر، وهي مركز هام للمعارف الدّينية، والمغرب كان مرتبطًا بها سياسيًا في عهد الولاة، وكان الحجاج المغاربة يستقرون لفترة في المدينة المنورة، باعتبار أنّ زيارة قبر الرّسول صلّى الله عليه وسلّم واجبة، ومن ثمّة كان حضور المغاربة للدّروس والحلقات التي كانت تعقد فيه أمرًا معقولًا، كما أنّ موسم الحج كان سنويًا فكان المغاربة يمكنون لأشهر أو لسنوات في الحجاز في انتظار العودة إلى بلادهم، وهو أمر لم يكن متوقّفًا في العراق مثلاً². ويعود سبب اهتمام المغاربة بالرحلة نحو المشرق هو توقّف نزوح التّابعين نحو إفريقيّة وبقائهم في بلادهم، نتيجة الإضطرابات السّياسيّة في المغرب خلال القرن الثّاني الهجري، إضافة إلى أنّ من تعلّم على يد التّابعين في إفريقيّة لم يملأ الفراغ الذي تركه غياب المشاركة³.

¹ محمد زيتون، المرجع السّابق، ص 421.

² الهنتاتي، المرجع السّابق، ص 68-70.

³ حواله، المرجع السّابق، ج 1: ص 115.

الفصل الأول:

تطور الدراسات الفقهيّة في عهد الدّول المستقلّة.

أولاً: بداية الدراسات الفقهيّة في بلاد المغرب قبل العهد الأغلبي.

ثانياً: تطوّر الدراسات الفقهيّة في إفريقيّة الأغلبيّة.

ثالثاً: الحركة الفقهيّة عند الرستميين.

رابعاً: الفقه في بقيّة الدّول المستقلّة.

أولاً: بداية الدراسات الفقهية في بلاد المغرب قبل العهد الأغلبي.

1) مرحلة ما قبل التمدد الفقهية:

بعد مرحلة كبار فقهاء الصحابة ممن مكث في إفريقية فترة لا يُظنُّ معها أنه لم يترك ولو اليسير من التعاليم الشرعية بين أهلها، تأتي المرحلة الثانية من تطور الدراسات الفقهية في إفريقية وعموم المغرب، وهي مرحلة علماء التابعين، وهم ورثة الصحابة في العلم الشرعي، ويُعزى للتابعي موسى بن نصير إبتكار أسلوب متميز في تعليم البربر الأحكام الشرعية؛ وهو أسلوب المخالطة والإحتكاك، إذ قام سنة 88هـ/706م باتخاذ طنجة قاعدة عسكرية جمع فيها بين سبعة وعشرين ألف جندي عربي واثنًا عشر ألف بربري، وأمر العرب بتعليم نظرائهم البربر القرآن والفقه¹، ومن غير المستبعد أن يكون موسى بن نصير قد جلس لتعليم الفقه في القيروان أو طنجة -ولو لِمأما- فهو في ما يُذكر من حملة العلم الشرعي؛ إذ أخذه عن الصحابي تميم بن أوس الداري².

تمت عملية إرسال علماء التابعين إلى المنطقة في المراحل الأخيرة للفتوحات، والهدف: إستيعاب العنصر البربري في الكيان الإسلامي العام بعد السيطرة عليه عسكرياً، حيث قام الخليفة عمر بن عبد العزيز بإرسال بعثة دينية هدفها نشر تعاليم الإسلام الصحيحة في إفريقية؛ وتكوّنت من عشرة تابعين³، وهم:

- أبو عبد الرحمن الحُبلي: (ت 100هـ/718م) واسمه عبد الله بن يزيد المعافري، وروى الحديث عن جُملة من الصحابة كأبي أيوب الأنصاري، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن عمر، وعقبة بن عامر، وفضالة بن عُبيد، تُوفي بالقيروان، ودُفن بباب تونس⁴، وبني بها مسجداً للتدريس ونشر الإسلام الصحيح⁵.

- أبو مسعود سعد بن مسعود البُجلي⁶: وقيل اسمه سعيد التّجيجي⁷، أخذ العلم عن مجموعة من الصحابة أبرزهم أبو الدرداء، وكان يُدرّس في جامع الفسطاط قبل انتقاله إلى إفريقية⁸.

- إسماعيل بن عبيد الأنصاري ولأء: (ت 107هـ/725م)؛ عُرف بلقب تاجر الله، وكان ذو علم وفقه وزهد، درّس بالحجاز ومصر، وروى عن كبار علماء الصحابة كعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس⁹، وسكن القيروان حيث بنى مسجداً؛ سَمَّاهُ "الزيتونة" يقوم فيه بإمامة الناس وتدرّسهم العلوم الشرعية¹⁰، واتّخذ بجانبه

¹ (السلاوي الناصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، طبعة حجرية، ج 1: ص 44.

² (إبن أبي دينار، المرجع السابق، ص 35.

³ (أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي القيرواني، طبقات علماء إفريقية وتونس، دار الكتاب اللبناني، د.ت، ص 20.

⁴ (المالكي، المصدر السابق، ج 1: ص 99-100.

⁵ (أبو العرب، المصدر السابق، ص 21.

⁶ (المالكي، المصدر السابق، ج 1: ص 102-106.

⁷ (أبو العرب، المصدر السابق، ص 21.

⁸ (المالكي، المصدر السابق، ج 1: ص 102-106.

⁹ (الدبّاغ، المصدر السابق، ج 1: ص 191.

¹⁰ (المالكي، المصدر السابق، ج 1: ص 106-109.

سوقاً كوقف لتوفير التّفقات الماليّة - إسمه: "سوق إسماعيل"¹، ومات مُجاهداً في البحر².

- أبو الجهم عبد الرّحمان بن رافع التّنوخي: (ت 113هـ/731م)؛ وكان أوّل من تولّى منصب القضاء في إفريقيّة بتعيين من موسى بن نصير سنة 80هـ/699م³، وكان من أهل العدل والثّقة⁴.

- موهب بن حيّ المعافري: وكان من تلاميذ عبد الله بن عبّاس، سكن القيروان، ودرّس ومات بها⁵، "...وبثّ فيها علماً كثيراً"⁶.

- أبوسعيد جعثل بن هاعان بن عُمر الرّعيني: (ت 115هـ/733م)؛ وليّ قضاء الجند بإفريقيّة لهشام بن عبد الملك، عُرف إلى جانب معارفه الفقهيّة، بتمرّسه بالقراءات⁷.

- حبّان بن أبي جبلة القرشي⁸: (ت 125هـ/742م)؛ من الموالي، وكان ممّن روى عن ابن عبّاس، وعمرو بن العاص وإبنه عبد الله⁹.

- أبو ثمامة بكر بن سودة الجذامي: (ت 128هـ/745م)؛ كان من صلحاء التّابعين وفقهائهم¹⁰، درس العلوم الشرعيّة على يد عدد كبير من الصّحابة؛ مثل: عقبة بن عامر الجهني، وسهل بن سعد الساعدي، وسفيان بن وهب الخولاني، وأبو ثور الفهمي، ومن التّابعين: سعيد بن المسيّب، وابن شهاب الزّهري، واستقرّ بالقيروان للدّرس والإفتاء¹¹.

- إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر القرشي المخزومي ولاء: (ت 132هـ/749م)؛ وأخذ العلم عن الصحابيّن فضالة بن عبيد وعبد الله بن عمرو بن العاص¹²، إلى جانب تعليمه أهل إفريقيّة تعاليم الإسلام، كان وائياً عليها أيّام عمر بن عبد العزيز سنة 100هـ/718م؛ "...فأسلم عاتمة البربر في ولايته"¹³، فسار في أهلها سيرة من ولّاه، حتّى قُورن بالخليفة الأموي في زهده وورعه¹⁴.

¹ (أبوالعرب، المصدر السابق، ص 20).

² (المالكي، المصدر السابق، ج 1: ص 106-109).

³ (نفسه، ج 1: ص 110).

⁴ (الدبّاغ، المصدر السابق، ج 1: ص 198).

⁵ (المالكي، المصدر السابق، ج 1: ص 110-111).

⁶ (الدبّاغ، المصدر السابق، ج 1: ص 213).

⁷ (المالكي، المصدر السابق، ج 1: ص 114).

⁸ (السّلاوي النّاصري، المرجع السابق، ج 1: ص 46).

⁹ (المالكي، المرجع السابق، ج 1: ص 111-112).

¹⁰ (الدبّاغ، المصدر السابق، ج 1: ص 211).

¹¹ (المالكي، المرجع السابق، ج 1: ص 112).

¹² (نفسه، ج 1: ص 116).

¹³ (خليفة بن خياط العصفري، التّاريخ، تحقيق: أكرم ضياء العمري، الطبعة الثّانية، دار طيبة، الرّياض، 1985م، ص 323).

¹⁴ (المالكي، المرجع السابق، ج 1: ص 115-116).

-طلق بن جابان الفارسي: وكان فقيهاً عالماً¹، أخذ علمه عن التابعين، ودرّسه في مصر². ويبرز دور هؤلاء الفقهاء من خلال رواية أبو العرب³ أنّ الخمر كانت حلالاً لدى البربر عن جهل منهم، حتّى أرسل عمر بن عبد العزيز الفقهاء العشرة؛ فبينوا للعامة تفصيل حكمها، ثمّ نشر الجند ذلك في ربوع المغرب. وهناك من التابعين الذين نشروا العلم الشرعي في إفريقية وبلاد المغرب عامّة من غير الذين أرسلهم عُمر، وهم:

-أبو عبد الله علي بن رباح بن القصير اللّخمي: وسمع الحديث والفقّه من الصّحابة: أبوهريّة، والسّيدة عائشة، وعقبة بن عامر الجهني، وعمرو بن العاص وابنه عبد الله⁴، وفضالة بن عبيد⁵، وعبد الله بن عبّاس⁶. أرسله والي مصر عبد العزيز بن مروان إلى إفريقية مكلّفاً بإدارة شؤونها العسكريّة والسياسيّة⁷، فسكن القيروان، وبني مسجداً عند باب نافع لتدريس العلوم الدّينيّة؛ "...فتفقه على يديه أهل القيروان"⁸.

-حنش بن عبد الله الصنعاني: (ت100هـ/718م): تفقه على يد الخليفة علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عبّاس، ورويفع بن ثابت، وأبوهريّة، وأبوسعيد الحُدري، كان من أنصار الإمام علي في الكوفة وغادرها إلى مصر بعد مقتله، دخل المغرب غازياً مع رويفع بن ثابت⁹، ففتح شبه جزيرة شريك¹⁰، وكان أوّل من تولّى عشور إفريقية، كما شارك في جيش ابن نصير الفاتح للأندلس¹¹، ثمّ استقرّ في القيروان وبني بها مسجداً في "باب الرّيح"، وله بإفريقية آثار ومقامات¹²، وقبل قدومه إليها كان قد اشتهر في مصر بالعلم والتّدوين، وهوّ من رجال صحيح مسلم والصّحاح الأربعة¹³.

-كيسان: وهوّ أبو سعيد المقبري مولى بني الليث (ت100هـ/718م) روى الحديث عن عمر بن الخطّاب¹⁴، وابنه عبد الله وأبو هريّة، وهوّ من رجال الموطّأ، استقرّ في القيروان إلى أن مات ودفن بها¹⁵.

¹ الدبّاغ، المصدر السّليق، ج1: ص215.

² المالكي، المصدر السّابق، ج1: ص117-118.

³ أنظر: طبقات علماء إفريقية، ص21.

⁴ المالكي، المصدر السّابق، ج1: ص119.

⁵ الدبّاغ، المصدر السّابق، ج1: ص199.

⁶ المالكي، المصدر السّابق، ج1: ص120.

⁷ الدبّاغ، المصدر السّابق، ج1: ص199.

⁸ المالكي، المصدر السّابق، ج1: ص119.

⁹ الصّفدي، المصدر السّابق، ج13: ص125.

¹⁰ الدبّاغ، المصدر السّابق، ج1: ص188.

¹¹ الصّفدي، المصدر السّابق، ج13: ص125.

¹² المالكي، المصدر السّابق، ج1: ص121.

¹³ الصّفدي، المصدر السّابق، ج13: ص125.

¹⁴ الدبّاغ، المصدر السّابق، ج1: ص178-179.

¹⁵ المالكي، المصدر السّابق، ج1: ص123.

- محمد بن أوس الأنصاري: (ت 102هـ/720م): من فقهاء التابعين¹، سمع الحديث من أبي هريرة، وجاهد في المغرب والأندلس في جيش موسى بن نصير سنة 93هـ/711م².

- أبو غطف الهذلي جندب بن بشر: تابعي؛ أخذ العلم عن عبد الله بن عمر، واستقر في القيروان³.

- عبد الله بن المغيرة بن أبي بردة الكنانى: تابعي روى الحديث عن أبي هريرة، و سفيان بن وهب الخولاني، هو من رجال الموطأ، تم ترشيحه من طرف أهل إفريقية ليتولى أمورها بعد اغتيال يزيد بن أبي مسلم، ولكنه رفض الأمر بعد أن عُرض عليه⁴، وتولى القضاء في القيروان من طرف عمر بن عبد العزيز سنة 99هـ/717م لدينه وورعه وعلمه⁵، وبنى "قصر مغيرة" و"قرية المغيرين" في إفريقية⁶.

- عمارة بن غراب التجيبي: وهو تابعي، كانت أكثر مروياته عن عائشة أم المؤمنين، استقر بالقيروان⁷.

- زياد بن أنعم الشَّعْبَانِي: كان يروي الحديث عن عبد الله بن عمر وأبي أيوب الأنصاري وهو من مواليد إفريقية، وانتقل إلى المشرق لطلب العلم⁸، بنى مسجدًا بالقيروان، في باب نافع⁹.

2) إنتشار المذهب المالكي وارتباطه ببلاد المغرب:

إنَّ ما ما ميَّز المذهب المالكي إنتشاره أساسًا غرب الحجاز أولًا؛ لاستقرار كثير من تلاميذ الإمام مالك في مصر، وإفريقية؛ فصارتا مركزين هامين لنشر آرائه الفقهية¹⁰، وهذا الإنتشار أطلق عليه "مرحلة تفريع المذهب المالكي" والتي تُحدّد زمنيًا بنهاية القرن الثاني الهجري إلى منتصف القرن الثالث، وتتميّز بظهور مُنظِّرين للمذهب يُفرِّعون المسائل الجزئية، ويؤدِّونونها بالإعتماد على الأحكام العملية التي أفتى بها مالك، واستخدام منهجه في الإفتاء¹¹، ويرى محمد المامي¹² أنَّ مدارس الفقه المالكي هي أربع مدارس كبرى تتفاوت في التأثير وغزارة النشاط العلمي لاعتبارات مُتعدّدة، كما تختلف من ناحية تأثير البيئة إلى درجة الاستقلالية ولو أنَّها تشترك في الارتكاز على مُنطلقات أصولية مشتركة.

¹ (أبو العرب، المصدر السابق، ص 18).

² (الدبّاغ، المصدر السابق، ج 1: ص 189).

³ (المالكي، المصدر السابق، ج 1: ص 122).

⁴ (نفسه، ج 1: ص 124-125).

⁵ (الدبّاغ، المصدر السابق، ج 1: ص 210).

⁶ (المالكي، المصدر السابق، ج 1: ص 126-127).

⁷ (نفسه، ج 1: ص 128).

⁸ (أبو العرب، المصدر السابق، ص 21).

⁹ (المالكي، المصدر السابق، ج 1: ص 129).

¹⁰ (محمد أبوزهرة، محاضرات في تاريخ المذاهب الفقهية، مطبعة المدني، القاهرة، د.ت، ص 242).

¹¹ (عمر الجدي، مباحث في المذهب المالكي في المغرب، الطبعة الأولى، دار الهلال العربية، الرباط، 1993م، ص 47).

¹² (أنظر: المذهب المالكي: مدارسه ومؤلفاته، الطبعة الأولى، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، 2002م، ص 45).

وهذه المدارس هي: مدرسة الحجاز، وبرزمنها: القرّاز (ت198هـ/813)، والصّائغ (ت186هـ/802م) والأعمش (ت202هـ/817م)، وعبد العزيز بن الماجشون (ت212هـ/827م) ومنه أخذ سحنون الفقه، ومدرسة العراق؛ وأشهر فقهاءها: أبو أيّوب البغدادي (ت176هـ/792م)، وعبد الله بن المبارك المروزي (ت118-181هـ/736-797م)، وأبوسعيد البصري (ت135-198هـ/752-813م)، ومدرسة مصر؛ وأشهر فقهاءها: عبد الرحمن بن القاسم (ت128-191هـ/745-806م) الذي لازم الإمام مالك عشرين سنة، وعبد الله بن وهب القرشي (ت125-197هـ/742-812م) وهو أستاذ سحنون، وأشهب (ت140-204هـ/757-819م)، وعبد الله بن عبد الحكم (ت155-214هـ/771-829م)، والزّابعة مدرسة إفريقية¹.

لقد شكل المذهب المالكي في بلاد المغرب الطّابع العام للدراسات الدّينية والحدود الرئيس في حركة فقهاءها²، وارتبط بملازمة فكر أهل السنّة والجماعة في مواجهة التّيارات الدّينية الأخرى فكان التّأثير المالكي في العقيدة³، كذلك باعتبار أنّ صاحب المذهب تشدّد في الإقتصار على الكتاب والسنّة في مسائلها⁴، إلى درجة أنّه عُرف بمذهب أهل الحديث⁵، ويعود سبب الإعتماد على الحديث بيئة مالك الحجازيّة وما فيها من تواجد عدد كبير من العلماء والمحدّثين الذين تلقّوا الحديث بشكل مباشر من الصّحابة، وكان لهم من السنّة ما لم يكن لأهل العراق والشّام وغيرهما⁶، كما أنّ أهل المغرب فهموا أنّ إقامة مالك في مدينة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم يجعله أقرب لروح الإسلام من أهل الكوفة والبصرة ودمشق⁷، سيّما أنّ المسائل الدّينية كانت "الشّغل الشّاغل" لأهل إفريقية وقتها⁸، وربط المغاربة بين قدسيّة المكان (المدينة النّبويّة) وترجيح آراء علمائها في المسائل الدّينية، فلقد ورد في

¹ محمد بن محمد مخلوف، شجرة الأنوار الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة، ص55-60.

² حوالة، المرجع السابق، ج1: ص261.

³ بخصوص مسائل العقيدة رأى الإمام مالك أنّ الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، وبعضه أفضل من بعض، وأنّ الله خلق كلّ شيء خيراً والشرّ والطّاعة والمعصية، وخلق للإنسان عقلاً وإرادة يختار بهما ما يشاء، وأمره بأوامر فيها فائدة للإنسان فرداً وجماعة، ومخالفتها فيها فساد للفرد وللجماعة، فإن اختار الخير والطّاعة نجح، وإن اختار العصيان والسّوء هلك، كما كفر مالك القدريّة. وبخصوص القرآن قال مالك بأنّه كلام الله، وبأنّه قلم لأنّه صفة من صفاته، وصفاته كذاته، وكلام الله من الله، وليس من الله شيء مخلوق، وعدم تأويل آيات المتشابهة وبالأخص في الصّفات والإيمان بما كما جاءت، كما رأى مالك أنّ رؤية الله في الآخرة أمر مسلّم به للمؤمنين في الجنّة بحاسة البصر، ورأى أيضاً أنّ الله في السّماء وعلمه في كلّ مكان لا يخلو منه شيء، أنظر: عبد الغني الدقر، الإمام مالك بن أنس، إمام دار الهجرة، الطبعة الثالثة، دار لقلم، دمشق، 1989م، ص285-294.

⁴ إبراهيم علي التهامي، أهل السنّة والجماعة في المغرب وجهودهم في مقاومة الانحرافات العقديّة من الفتح إلى القرن الخامس الهجري رسالة لنيل شهادة الدكتوراه بإشراف الدكتور سيد عبد العزيز السيلي في قسم العقيدة كلّية أصول الدّين جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1992م، ص50-51.

⁵ أحمد تيمور، المذاهب الفقهيّة الأربعة الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي وانتشارها عند جمهور المسلمين، الطبعة الأولى، دار الآفاق العربيّة، 1421هـ/2001م، ص64.

⁶ حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج2: ص333.

⁷ إبراهيم علي التهامي، المرجع السابق، ص50-51.

⁸ سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ج2: ص514.

الأحاديث النبوية دُعاء النبي (ص) لأهلها، وفي فضلها آثار الصحابة والتابعين، فالصحابي الجليل زيد بن ثابت روي عنه أنه قال: "...إذا رأيت أهل المدينة على شيء فاعلم أنه السنة"¹.

فهو "السنة" إذن؛ من خلال العدد الكبير من الصحابة والتابعين الذين سَخروا حياتهم لخدمة العلم الشرعي وروّاه من الأصقاع؛ في المسجد النبوي، كسعيد بن المسيب² (ت 94هـ/712م)، والذي احتكّ فكريًا بكبار فقهاء الصحابة - رضي الله عنهم - كعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وصهيب بن سنان³، ومحمد بن مسلمة، وزيد بن ثابت، وسعد بن أبي وقاص، وأمّهات المؤمنين؛ السيّدتين: عائشة، وأمّ سلمة، ولُقّب بفقيه المدينة⁴.

ممن درّسوا في المسجد النبوي عُمر بن عبد العزيز⁵، (ت 101هـ/719م)، وقيل فيه: "...أتيناها نُعلّمه فما برحنا حتّى تعلّمنا منه..."⁶، والمحدث عطاء بن أبي رباح النوبي الجمحي (ت 114هـ/732م)، وكان أفقه أهل الحرم المكي في زمانه، وأحد كبار التابعين⁷.

كما أنّ المغاربة رأوا الإمام مالك ولا حظوا شدة تمسّكه بالسّير على نمط حياة الصحابة والتابعين، والتزامه الصّارم بالنّص الدّيني، والإقتصاد في الإجتهد، ومراعاة أعراف النّاس وعاداتهم⁸، إلّا ما يُخالف فيها نصًّا صريحًا من الكتاب والسّنة، وهو ما انسجم مع طبائع أهل المغرب التي تميل إلى البساطة والوضوح، والتّفور من الآراء الغربية والمتضاربة⁹.

حقيقة الأمر أنّ المذهب المالكي ليس مُتشدّدًا في الإقتصار على النّصوص الشرعيّة في استنباط الأحكام بل وجد صيغ مُتعدّدة لاستعمال الرّأي، أو بمعنى أدقّ قيّد حقّ العقل في التّشريع، فابتكر المالكيّة مُصطلحًا

¹ القاضي عياض بن موسى اليحصبي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك، الطبعة الثانية، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1403هـ/1983م، ج 1: ص 18-19.

² نفسه، ج 1: ص 19-20.

³ هو أبو يحيى التّرمي التّرمي (ت 38هـ/658م) من مواليد نينوى قرب الموصل في بلاد الجزيرة، شبي صغيرًا في الجاهليّة ولجّ إلى مكّة، كان رواية للحديث، وأخذ عنه عبد الرحمن بن أبي ليلى، وسعيد بن المسيب، وكعب الأحبار، أنظر: الدّهلي، المصدر السابق، ج 2: ص 17-18.

⁴ الشيرازي، المصدر السابق، ص 57-58.

⁵ القاضي عياض، المصدر السابق، ج 1: ص 19-20، ولعمر بن عبد العزيز فقه مُدوّن، وقد أخذ العلم عن عبيد الله بن عبد الله، وسالم بن عبد الله بن عمرين الخطّاب، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصّدّيق، وسعيد بن المسيب، وعروة بن الرّيز بن العوّام، وآخرون من أبناء الصحابة، وسمع الحديث من عدد من الصحابة كعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وأنس بن مالك، وخاله عبد الله بن عمر، ولقد جمع الباغندي كتابًا باسم مُسنّد عُمر بن عبد العزيز، يحتوي على جميع مروياته في الحديث، ويحتج بفتاويه الأئمة الأربعة، والليث بن سعد المصري، أنظر: محمد بن سعد بن شقير، فقه عمر بن عبد العزيز: أول تدوين لفقه مؤيّدًا بالدليل، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد، الرياض، 2003م، ص 103-107.

⁶ الشيرازي، المصدر السابق، ص 64.

⁷ القاضي عياض، المصدر السابق، ج 1: ص 19-20، والشيرازي، المصدر السابق، ص 69، والدّهلي، المصدر السابق، ج 5: ص 78-88.

⁸ الغرر: هو الأمر الذي تتفق عليه مجموعة من النّاس في مجاري حياتهم، أمّا العادات فهي العمل المتكرّر من الآحاد والجماعات، وإذا اعتادت المجموعة البشرية أمرًا صار عُرفًا، والفقه المالكي يتفق مع نظيره الحنفي في الأخذ بالعرف، بل ويعتبره أصلًا من أصوله الفقهيّة، إذا لم يعارض نصًّا قطعياً، فيخصّص العام، ويُقيّد المطلق، ويعتبر نوعاً من أنواع المصلحة وجب الأخذ به. أنظر: محمد أبو زهرة، الإمام مالك: حياته وعصره، آرائه وفقهه، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ت، ص 447-448.

⁹ عمر الجديدي، المرجع السابق، ص 35-36.

الاستحسان ، وهو تقدير المسألة الشرعية بميزان العدالة إذا لم يوجد فيها نص¹، وهو عامل مشترك مع الفقه الحنفي، والاستصلاح (المصالح المرسله)²، القول في مسألة شرعية برأي لا يؤدي إلى مفسدة في الدين أو في النفس، أو في العقل، أو في النفس، أو في المال³، وهو بذلك تفادى "توغل" أهل العراق في استخدام الرأي، ووضع مسائل غريبة والإجابة عنها، والمغالاة في الخيال، وكان يرى في ذلك مخالفة لمنهج الصحابة في الفتيا⁴.

هناك سبب آخر هو الفترة الطويلة التي عاشها الإمام مالك والبالغة سنًا وثمانين عامًا، وهو ما أدى إلى كثرة تلاميذه من أهل المغرب والأندلس، وتقدمه على الشافعي وابن حنبل اللذان برزا في العلم الشرعي بعد انتشار المذهبين الحنفي والمالكي في أصقاع البلاد الإسلامية⁵، وكان مالك قد بدأ في التدريس بالمسجد النبوي وهو في سن السابعة عشرة، واحتاج إليه شيوخه، وتلقى دروسه الكثيرون، وروى عنه العلم عدد كبير؛ كان أشهرهم ألف وثلاثمئة ألف في إحصائهم كتب كثيرة عُنوانت بالطبقات، منهم الشافعي الذي يُعتبر في الأصل من تلاميذ مالك⁶، ولم يكن مالك ليجلس للتدريس والحديث والفتيا لولا حصوله على تزكية سبعين شيخًا من أهل العلم والصلاح⁷.

من علماء إفريقية الذين نالوا من الشهرة في المشرق والمغرب الزاهد البهلول بن راشد الرعيني (128-183هـ/745-799م)، الذي درس الفقه على يد مالك وسفيان الثوري، والليث بن سعد، وأخذ منه الفقه الإمام سحنون، وسمع عنه الحديث مسلم بن الحجاج القشيري وذكره من جملة رواة الأحاديث في صحيحه، وألف كتابًا في الفقه غلب عليه آراء الإمام مالك وبعض آراء سفيان الثوري، وكان شديد التمسك بالسنة، شديدًا على أهل الأهواء والبدع، وقال عنه سحنون: "لم يكن عنده من الفقه ما عند غيره"⁸، وعبد الله بن فروخ الفارسي (115-176هـ/733-762م)، من تلاميذ الإمام مالك الذي قال عنه: "هذا فقيه أهل المغرب"، ولد بالأندلس، وعاش في القيروان، ورحل إلى الحجاز، ثم عاد إلى إفريقية، واستقر في مصر بعد عودته من الحج وبها كانت وفاته، بعد أن تبوأ

¹ الإستحسان: هو أن يعدل المجتهد عن الحكم في مسألة مماثلة لمسألة سابقة، برأي أقوى من الرأي الأول، يدعمه دليل شرعي أقوى من الدليل في المسألة الأولى، ويتفرع إلى إستحسان الإجماع، وإستحسان السنة، وإستحسان الضرورة، وإستحسان العربي، وإستحسان القياسي، وإستحسان المصلحة، وإستحسان النص، أنظر: قطب مصطفى سانو، معجم مصطلحات أصول الفقه، دار الفكر، دمشق، 2000م، ص 52-53.

² الإستصلاح: هو تشريع الحكم في واقعة لانتص فيها ولا إجماع، بناء على مراعاة مصلحة مرسله، وتعبير آخر يراد بها: بناء الأحكام الشرعية على مقتضى المصالح المرسله، أنظر: قطب مصطفى سانو، المرجع السابق، ص 58.

³ أحمد أمين، ضحى الإسلام، الطبعة السابعة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت. ج 2: ص 56.

⁴ عبد الحليم الجندي، مالك بن أنس إمام دار الهجرة، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة، 1993م، ص 82-83.

⁵ نذير حمادو، المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، سطيف، 2008م، ص 20-21.

⁶ مخلوف، المرجع السابق، ج 1: ص 54.

⁷ عبد الحليم الجندي، المرجع السابق، ص 78.

⁸ المالكي، المصدر السابق، ج 1: ص 200-203.

فيها مكانة علمية رفيعة حتى نعتة أهلها بخليفة الليث بن سعد¹، عُرف بمناظراته مع تلاميذ أبي حنيفة النعمان وانتصاره عليهم².

ويعتبر ابن فروخ أول من أدخل فقه الإمام مالك إلى القيروان³، ولم يكن مقتصرًا عليه في الفتوى بل أخذ العلم من أبي حنيفة كذلك⁴، وكان يفتي بمذهب أهل العراق ويميل إلى "النظر والإستدلال"⁵.

ومن الذين سمعوا عن مالك أيضًا صقلاب بن زياد الهمداني (ت 193هـ/808م)⁶، ويحيى بن زكرياء التّجّبي⁷، ومعاوية بن الفضل الصمادحي أستاذ سحنون⁸، وحاتم بن عثمان المعافري⁹، والعبّاس بن أشرس الأنصاري، وعمر بن سمك بن حميد، وأبوطالب الأبراري¹⁰.

أمّا علي بن زياد الفارسي الطرابلسي التونسي (ت 198هـ/813م) فقد أدخل موطأ الإمام مالك إلى إفريقية بعد عودته من رحلة طلب العلم في العراق والحجاز¹¹، واعتبره سحنون أفقه أهل إفريقية في زمانه¹²، كما روى عن مالك فتاوى منفصلة في كتب عن الطّلاق، والبيع، والنكاح، وجلس لسماع دروسه سحنون، وأسد بن الفرات، والبهلول بن راشد¹³.

¹ (المالكي، المصدر السابق، ج 1: ص 177).

² (مخلوف، المرجع السابق، ص 60).

³ (حسن حسني عبد الوهاب، الإمام المازري، دار الكتب الشرقية، تونس، ص 23).

⁴ (الدباغ، المصدر السابق، ج 1: ص 242).

⁵ (القاضي عياض، تراجم أغلبية مستخرجة من كتاب ترتيب المدارك، تحقيق: محمد الطالبي، منشورات الجامعة التونسية، 1968م، ص 40).

⁶ (المالكي، المصدر السابق، ج 1: ص 230).

⁷ (الدباغ، المصدر السابق، ج 1: ص 321).

⁸ (المالكي، المصدر السابق، ج 1: ص 232).

⁹ (نفسه، ج 1: ص 233).

¹⁰ (نفسه، ج 1: ص 252-253).

¹¹ (القاضي عياض، تراجم أغلبية، ص 22).

¹² (المالكي، المصدر السابق، ج 1: ص 234).

¹³ (مخلوف، المرجع السابق، ص 60).

ثانيًا: تطوّر الدّراسات الفقهيّة في إفريقيّة الأغليّة:

1) المذهب الحنفي:

أ) نبذة عن المذهب:

(*) مؤسّسه:

ينتسب المذهب الحنفي للإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت التّيمي ولأهله، من أهل الكوفة، توفيّ سنة 150هـ/767م، ترك من المصنّفات: الفقه الأكبر، العالم والمتعلّم، الردّ على القدريّة، والعلم برًّا وبحرًّا وشرقًا وغربًا وبُعْدًا وقُرْبًا¹. وكان حافظًا للحديث متقنًا فيه، وحافظًا للآثار، وأقوال الصّحابة والتّابعين واختلافاتهم، ومعرفة النّاسخ والمنسوخ من القرآن²، وعُرف بمنهجه في الجرح والتّعديل في ما يصله من روايات وأحاديث وآثار³، يُعدُّ مؤسس أوّل مذهب فقهي سنيّ من المذاهب الإسلاميّة، وقد أثّرت نشأته في الكوفة، وما تعجّج به من اتّجاهات سياسيّة وثقافيّة ودينيّة مُتضاربة ومُتباينة على البنية الأصوليّة لهذا المذهب⁴، عُرف بتمكّنه من الجدل وقوّة الحجّة، قال فيه الإمام مالك: "رأيتُ رجلًا لو كلّمك في هذه السّارية أن يجعلها ذهبًا لقام بحجّته"⁵.

(*) أبرز تلاميذه:

أخذ عن أبي حنيفة عدد كبير من الفقهاء عُرفوا بأصحاب الرّأي، ومن أشهرهم: زفر بن الهذيل العنبري البصري (ت158هـ/774م)⁶، وكان قد جمع بين العمل والعبادة، مُحدثًا ثمّ من أصحاب الرّأي⁷، وأبويوسف يعقوب بن إبراهيم (ت182هـ/898م)، وهو أوّل من تسمّى بقاضي القضاة، وأوّل من ألّف في أصول الفقه⁸، من أهل الحديث، قبل أن يلزم أبي حنيفة فيصبح من أصحاب الرّأي، تولّى القضاء في بغداد أثناء حكم هارون الرّشيد (170-193هـ/876-809م)، له من الكتب: كتاب الصّلاة، وكتاب الزّكاة، وكتاب الصّيّام، وكتاب الفرائض، وكتاب البيوع، وكتاب الحدود، وكتاب الوكالة، وكتاب الوصايا، وكتاب الصّيد والدّبائح، وكتاب الغصب والإستبراء، واختلاف الأمصار، والرّدّ على مالك بن أنس، ورسالة في الخراج ألّفها هارون الرّشيد، وكتاب الجوامع في الفقه المقارن، وبشر بن الوليد الكندي ولي القضاء للمأمون، ومحمد بن الحسن الشيباني (ت189هـ/804م) تولّى

¹ أبو الفرج إبن التّدعم، الفهرست، تحقيق: رضا تجدد المازندراني، طهران، 1971م، ص255-256.

² حبيب الكيرانوي، أبوحنيفة وأصحابه، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، بيروت، 1989م، ص21-22.

³ أبو محمد محيي الدّين عبد القادر بن محمد بن أبي الوفاء القرشي، الجواهر المضّيّة في طبقات الحنفيّة، تحقيق: عبد الفتّاح محمّد الحلّو، الطبعة الثّانيّة، دار هجر، إمبابة، 1993م، ص59.

⁴ عبد الحميد العابد، علاقة فقهاء السّنة بالدّولة العبّاسيّة في عصرها الأوّل، مشروع مذكرة ليل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، باتنة، 2009م، ص54.

⁵ الشيرازي، المصدر السابق، ص86.

⁶ إبن التّدعم، المصدر السابق، ص256.

⁷ الشيرازي، المصدر السابق، ص135.

⁸ حبيب الكيرانوي، المرجع السابق، ص95.

القضاء لفترة في عهد هارون الرشيد، وأخذ العلم عن الأوزاعي، والثوري، وكان من أصحاب الحديث، ثم لازم أباحيفة فأصبح من أصحاب الرأي، ترك من التصانيف: أصول الفقه، والجامع الكبير، والرّد على أهل المدينة، وكتاب إجتهد الرأي، وستّ وستين كتابًا في مسائل فقهية مختلفة¹، وكان كذلك عالماً بالعربية والنحو والحساب².

يأخذ المذهب الحنفي بالكتاب أولاً، وبالسنة ثانياً، ثم بأقوال الصحابة، ثم بالقياس، والإستحسان، والعرف إذا لم يجد أصلاً للمسألة الفقهية يقيس عليه³، وإذا صحّ عنده الحديث ترك غيره من الأقوال⁴.

ب) إنتشاره في بلاد المغرب في عهد الولاة:

كانت الدراسات الفقهية الحنفية في عصر الولاة أقل نشاطاً من نظيرتها المالكية لجدة علم الفقه من جهة، ولاتجاه المغاربة نحو التّمدد بالمذهب المالكي من جهة أخرى⁵، وكان عبد الله بن فروخ من الذين نشروا الفقه الحنفي في إفريقية رغم تمذهبه بالمذهب المالكي، إذ لازم أبوحنيفة وأخذ منه عشرة آلاف مسألة قبل أن يُدَوّن إمام الكوفة كتابه في الفقه⁶، وسبق له أن ناظر زفر بن الهذيل العنبري في مجلس أبي حنيفة وأقام عليه الحجّة⁷.

أمّا عبد الله بن غانم الرّعيني فرغم قيامه بمجهودات لنشر الفقه المالكي، إلّا أنّه كان لا يرى مانعاً من أن يدرّس الأحكام الفقهية على رأي أبي حنيفة النعمان وأصحابه على طلبته كلّ يوم جمعة، وكان أبو يوسف القاضي قد أوصى روح بن حاتم حينما خرج والياً إلى إفريقية بتولية ابن غانم القضاء لسعة فقهه⁸.

ج) المذهب الحنفي في دولة الأغالبة:

يُعتبر سليمان بن عمران ثالث أهم شخصيّة في مذهب الكوفيين في إفريقية والذي كان ملازماً لأسد بن الفرات، ولما ولّاه سحنون قضاء باجة - وكان كاتباً له - وافق على الإلتزام بالمذهب المالكي في أحكامه، إلى أن توفّي سحنون فخلفه في منصب قاضي القيروان، فانتقل إلى التنوّع والتّوسّع في أحكامه القضائية بين المذهبين، وساهم تكوينه الفقهي المعتمد على الرأي في حلّ قضايا شائكة تطلّبت جرأة وإقداماً⁹.

¹ (إبن التّدعم، المصدر السابق، ص 256-257).

² (حبيب الكيرانوي، المرجع السابق، ص 102).

³ (أحمد سعيد حوّي، المدخل إلى مذهب الإمام أبوحنيفة النّعمان، دار الأندلس الخضراء، الطبعة الأولى، جدّة، 2002م، ص 63).

⁴ (إبن أبي الوفاء القرشي، المصدر السابق، ص 55).

⁵ (حوالة، المرجع السابق، ج 2: ص 325).

⁶ (الدباغ، المصدر السابق، ج 1: ص 240).

⁷ (نفسه، ج 1: ص 241).

⁸ (أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، الطبعة الأولى، دارالفرجاني للنشر والتوزيع، د.م، 1994م، ص 138..).

⁹ (محمد بن حارث الحشني، قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، تصحيح ومراجعة: عزّت العطّار الحسني، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1994م، ص 236).

اعتبر الدبّاغ¹ أبا محرز القاضي حنفي المذهب، رغم سماعه للإمام مالك، وبخاصة أنّه إشتهر باعتماد بعض فتاوى الحنفية في مسائل طُرحت عليه مثل: شرب التّبِيد، فرأى أسد بن الفرات أنّه غير جائز، وخالفه في ذلك أبو محرز²، وذلك في مناظرة بمجلس زيادة الله الأوّل بن الأغلب حضرها الفقيه المالكي ابن أبي حسان اليحصبي، وانتصر فيها لرأي ابن الفرات بالتّحريم³، وتوبة الزنديق رأى فيها أسد أنّها جائزة ووافق أبو محرز، وهو خلاف رأي المالكية⁴، وهذه المناظرات تدلّ على اهتمام الأمراء الأغلبة بالبحث عن الآراء الأصوب والأكثر عمليّة من أقوال الفقهاء في المسائل الخلافية⁵.

من أتباع أبي حنيفة في إفريقية كذلك القاضي أبو العباس بن عبدون الذي تولّى القضاء بأمر من إبراهيم بن أحمد الأغلي - وكان شديد الإنبهار بعلمه - ثمّ عزله، وكانت مهنته الأصليّة التوثيق⁶، ويبدو من رواية الحشني⁷ أنّه كان محلّ ثناء وفخر من فقهاء الحنفية، وذمّ، وتقليل شأن من نظرائهم المالكية في إفريقية، إذ أخذوا عليه استغلاله لنفوذه في تسوية خلافاته الفكرية معهم فضرب بعضهم، ولاحق آخرين⁸.

من فقهاء مذهب الكوفيّين نجد محمد بن زرز⁹، من أصل فارسي، عُرف بحفظه لكتب المذهب الحنفي، وأقوال رجاله، حتّى أنّه كان يُكرّر الكتاب خمسمائة مرّة للإحاطة بمافيّه من مسائل¹⁰، وهشام بن العراقي¹¹، وأبو المنهال، وكان من شيوخ المذهب في إفريقية وكان حافظاً، يتفادى الجدل والمناظرة مع المالكية¹²، وسعيد بن الأشج (ت 286هـ/899م)، وكان بارعاً في المناظرة على مذهب العراقيّين¹³، وإسحاق والقاسم ابنا أبي المنهال، والأوّل دخل في خدمة الفاطميّين¹⁴.

¹ أنظر: معالم الإيمان، ج 2: ص 29.

² نفسه، ج 2: ص 36.

³ المالكي، المصدر السابق، ج 1: ص 288.

⁴ الدبّاغ، المصدر السابق، ج 2: ص 36.

⁵ محمد زيتون، المرجع السابق، ص 244.

⁶ كانت مهنة التوثيق في تلك الفترة فرعاً من فروع الفقه تتمحور حول العقود المدنيّة من كراء وبيع أراضي زراعيّة وما فيها من أملاك منقولة وثابتة، وعقود الإستدانة، وشروط التّوابع من غير أركانه الشّرعيّة، وعرفت هذه المهنة أوج ازدهارها في القرنين الثاني والثالث الهجريين، وصار لها علمائها المجتهدون في مسائلها، وبخاصّة الأحناف، أنظر: محمد بن الحسن الحجويّ الثّعالبي، الفكر السّامي في الفقه الإسلامي، مطبعة إدارة المعارف، الرباط، 1922م، ج 3: ص 144-148.

⁷ الحشني، المصدر السابق، ص 242.

⁸ نفسه، ص 242.

⁹ نفسه، ص 245-246.

¹⁰ الدبّاغ، المصدر السابق، ج 2: ص 248.

¹¹ الحشني، المصدر السابق، ص 246-247.

¹² نفسه، ص 247.

¹³ الدبّاغ، المصدر السابق، ج 2: ص 237.

¹⁴ الحشني، المصدر السابق، ص 248.

هناك فقهاء حنفيين أقلّ شأنًا من النّاحيّة العلميّة؛ مثل: قاضي مدينة تونس هيثم القيسي وإبنه محمّد (ت307هـ / 919م) وأبو عقّال بن جرجر، وقاضي تونس عبد الله بن هارون الكوفي السّوداني¹، وأبو يحيى أحمد بن قادم (ت247هـ/861م) والذي كان من تلاميذ ابن الفرات وله معرفة بالمذهب المالكي أيضًا²، ومحمّد بن أسود الصّديني قاضي القيروان، وأحمد بن وهب قاضي طرابلس، وإبنه جعفر³.

يعتبر علاوة عمارة⁴ تواجد المذهب الحنفي تكريس للتّبعيّة للخلافة العبّاسيّة لدى رجال السّلطة الأغلبيّة، لذلك إنّهار "البيان الفقهي الحنفي" بزوال سلطة المذهب في العهد الفاطمي، واعتناق كثير من الفقهاء الأحناف للعقيدة الفاطميّة الإسماعيليّة.

2) الفقه المالكي:

من المنطقي أن يأخذ المغاربة العلم الشرعي عن أهل المشرق، ويتّضح ذلك من خلال رحلاتهم المتكرّرة في طلب العلم، وغالبًا ما تكون هذه الغاية مرتبطة بأداء فريضة الحج، ولما كان أهل المغرب يستقرون في المدينة كمحطّة أخيرة قبل استئناف رحلة العودة فإنّ دروس المسجد النبوي تُصبح المصدر الرئيس للإستزادة المعرفيّة بما تحمله من جانب معنوي أساسًا، وهذا ما تكرّس في الجيل الثّاني من المالكيّة في بلاد المغرب، والذي واكب ميلاد الدّولة الأغلبيّة، وكان جُلُّ إهتمامه ينصبُّ على جمع أقوال وآراء الأئمّة المجتهدين، والتّأليف في موضوعاتها، وتبويب مسائلها، بعد الإحاطة بالقرآن وتفسيره، والسّنّة وتصحيحها⁵.

أ) أسد بن الفرات بين مدرستي الحديث والرّأي:

أسد بن الفرات من أبناء الجند الخراساني حيث قدم مع أبيه إلى إفريقيّة وعمره سنتان مع جيش محمّد بن الأشعث سنة144هـ/761م⁶، درس الفقه بتونس على يد علي بن زيّاد ولازمه وتفقه بفقهه -وهو مالكي المذهب كما ذكرنا، ورحل إلى المشرق في 172هـ/788م فسمع من مالك الموطّأ، ثمّ اتّجه إلى العراق؛ وفيها درس الفقه الحنفي من أبي يوسف، ومحمّد بن الحسن الشّيباني صاحب أبي حنيفة وغيرهما، وأخذ عنه أبو يوسف الموطّأ⁷. وأقام في المدينة ثلاث سنوات يتلقّى فيها دروسه من مالك، وسمع منه أكثر من سبعمائة حديث، ويبدو أنّ مالك تضايق

¹ (الخشني، المصدر السابق، ص249.

² (الدبّاغ، المصدر السابق، ج2، ص111.

³ (الخشني، المصدر السابق، ص251.

⁴ (أنظر : دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والمغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 2008م، ص129.

⁵ (حسن حسني عبد الوهاب، الإمام المازري، ص18.

⁶ (نفسه، ص18.

⁷ (القاضي عيّاض، ترتيب المدارك، ج3، ص291.

من كثرة أسئلة أسد¹، وصارحه بقوله: "حسبك يا مغربي! إن أحببت الرأي فعليك بالعراق"²، وكان منهج الإمام مالك الإطالة في إملاء الموطأ، فطلب منه أسد أن يزيده، فأبى مالك أن يُفضّله عن بقيّة تلاميذه، فرحل إلى الكوفة، والتقى بأبي يوسف، ومحمد بن الحسن؛ الذي رأى شدة إلحاحه في معرفة الجديد فأشار عليه بأن يزوره ليلاً بعد أن يحضر دروسه نهاراً³.

يبدو أنّ أسد أعجب بشخصيّة محمد بن الحسن الشيباني لاسيّما أنّه أحسن إليه وسدّ حاجيّاته الماديّة والمعنويّة، وتأثّر مع تلاميذه بموت الإمام مالك تأثّرًا شديدًا⁴، وذكر لابن الفرات أنّه لم يوجد مثله في العناية بالتّصوُّص⁵.

ندم ابن الفرات على ما فاتته من علم مالك بعد أن "ارتجّت العراق بموته"؛ فاستهدف تعويض ذلك بتلاميذه في مصر فرحل إليها⁶، وهناك التقى بعبد الله بن وهب، وأشهب، وابن عبد الحكم، ولكنّه لم يجد ضالّته في مجالسهم، بل توتّرت العلاقة بينه وبينهم إلى حدّ إساءته لأشهب في إحدى حلقاته والتّقليل من قيمة دروسه⁷. وهو أمر يعود في حقيقته إلى استقلاليّة أشهب، وانتقاده لمالك أحيانًا، والميل إلى القول برأيه في مسائل⁸، وعبر أشهب عن إمتعاضه من ابن الفرات لاحقًا بقوله: "سحنون أفقه من أسد تسعًا وتسعين مرّة"⁹، حينما سُئل عن علمه، وقال: "ما قدم إلينا من المغرب مثله"، وإليه كذلك لمح ابن القاسم حينما قال: "ما قدم إلينا من إفريقيّة مثل سحنون"¹⁰، والواقع أنّ أشهب كان معروفًا بطيّشه مع سعة وجرأة في العلم؛ فاق بهما ابن القاسم، وأنكر عليه معاداته للشّافعي، إذ كان يدعو عليه بالموّت في سجوده تعصّبًا لفقه أستاذهما مالك، وترك كتابًا في الفقه اسمه "المدوّنة" وهيّ خلاف التي كتبها سحنون¹¹.

لم يجد أسد ضالّته سوى في عبد الرحمن بن القاسم، فرأى زهده وتواضعه، وسعة صدره، فعرض عليه ما في كتبه من فتاوى أبي حنيفة، وطلب منه الإجابة عنها وفق أقوال مالك، فأجابه في أكثرها، وأشكل عليه في مسائل أخرى

¹ (القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج3: ص292).

² (الدّبّاغ، المصدر السابق، ج2: ص5).

³ (القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج3: ص293).

⁴ (الدّبّاغ، المصدر السابق، ج2: ص7-8).

⁵ (القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج3: ص294-295).

⁶ (الشيرازي، المصدر السابق، ص155-156).

⁷ (الدّبّاغ، المصدر السابق، ج2: ص11-12).

⁸ (الهنّاتّي، المرجع السابق، ص48).

⁹ (المالكي، المصدر السابق، ج1: ص351).

¹⁰ (إبراهيم بن نور الدين ابن فرحون المالكي، الدّيباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، الطبعة الأولى، تحقيق: مأمون بن محيي الدّين الجّنان، دار

الكتب العلميّة، بيروت، ص264).

¹¹ (عبد العزيز الدقر، المرجع السابق، ص268-269).

فاكتفى بعبارات الظن أو باجتهاداته الشخصية، وهذا هو كتاب الأسدية¹، ورفض ابن الفرات أن يُنسخ منه في مصر إلا بعد أن أجبره قاضيه على قبول ذلك².

ب) دور سحنون في التأسيس لمدرسة مالكية في القيروان:

من أبرز الفقهاء من هذا الجيل "سحنون" عبد السلام بن سعيد التنوخي (160-240هـ / 776-854م)؛ دَعَا المذهب المالكي في بلاد المغرب، والذي جعل القيروان مهذاً ثانياً له³، وقبل دخول المذهب المالكي كان المذهب السائد في المغرب والأندلس مذهب الإمام الأوزاعي فقيه أهل الشام⁴، ونشأة سحنون المالكية نستشفها من خلال شيوخه في مرحلتي النشأة والتحصيل العلميين كعلي بن زياد، والعبّاس بن أشرس، والبهلول بن راشد، وعبد الله بن غانم، ومعاوية الصمادحي في القيروان، وابن القاسم، وأشهب، وعبد الله بن وهب، وابن عبد الحكم في مصر، وعبد العزيز بن الماجشون في المدينة، وسفيان بن عُيينة، ووكيعة في مكة، وآخرين غيرهم في الشام، وعاد إلى القيروان في 191هـ/806م⁵، ومكث سحنون في المشرق بين سنتي 186 و191هـ/802-806م، وكان هدفه الرئيس في رحلته تصحيح الأسدية⁶، وبلغ من العلم أن قيل فيه ليس بعد مالك أفقه من سحنون⁷، وكان الفقه المالكي يُشكّل نوعاً من الارتباط الفكري بشخصية سحنون، فقد رحل نحو المشرق بحثاً عن الفقه المالكي النقي الذي يختلف عن فقه ابن زياد، وابن الفرات، وبحثاً كذلك عن الفقه المالكي في شقّه العملي من خلال معيشة أهل المدينة، فمالك اتخذ عمل أهل المدينة أصلاً من أصول مذهبه⁸.

تميّزت شخصية سحنون بحُب العلم والرغبة الدائمة في الاستزادة منه، والزهد في الدنيا، والشدة على أهل البدع، والصلابة في الرأي إذا رأى صحته، والتعقّف عن أموال الحُكّام، وترك التصنّع لهم، ومجاهرتهم بالحق⁹. ومع غزارة علمه كان لا يتعجّل الفتوى، وقال في ذلك: "إني لأسأل عن المسألة فأعرفها وأعرف أيّ كتاب هيّ فيه، وفي أي ورقة، وأي صفحة، وعلى كم هيّ من سطر، فما يمنعني من الجواب فيها إلا كراهية الجرأة بعدي على الفتوى"¹⁰.

ألحّ أحمد بن الأغلب على سحنون في قبول تعيينه قاضياً على القيروان، فقابلته بالرفض، وبقيّ الأمير الأغلب يكرّر محاولاته لسنة كاملة، فواجهه سحنون بشروط كثيرة؛ كانت كلّها تهدف إلى تحقيق العدالة التي يُنشدّها رعايا الدولة الأغلبية في تطبيق أحكام الشرع الإسلامي، من جملة شروط سحنون أخذ حقوق العامة من الأسرة الأغلبية

¹ (القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج3: ص296).

² (الدّباغ، المصدر السابق، ج2: ص13).

³ (سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ج2: ص515-516).

⁴ (محمد زينه محمد عزب، الإمام سحنون، دار الفرجاني، القاهرة، 1992م، ص69-70).

⁵ (الدّباغ، المصدر السابق، ج2: ص78).

⁶ (الهنّاتي، المرجع السابق، ص48).

⁷ (المالكي، المصدر السابق، ج1: ص353).

⁸ (الهنّاتي، المرجع السابق، ص49).

⁹ (الدّباغ، المصدر السابق، ج2: ص81).

¹⁰ (المالكي، المصدر السابق، ج1: ص354).

وأعوانها، وأن لا يأخذ أجرًا لمنصبه، وتولّى القضاء سنة 234هـ/848م، وعمره أربعة وسبعون عامًا، وبقي قاضيًا ستّة أعوام إلى أن مات¹، وكان يأخذ أجره كتابه وأعوانه وقضاته من جزية أهل الكتاب تعقّفًا عن أموال السلطان²، والتّعقّف عن مودّة السلطان أمر تحاول دائمًا كتب المالكية تصويره عن فقهاء المذهب، وتعمل على إظهار إنقسام المجتمع في المغرب الأدنى إلى قسمين: الحكّام وفقهاؤهم من أتباع المذهب الحنفي، وبقية أهل إفريقية وفقهاؤهم من المالكية، فهم "لسان حال العامة الذين يبذلون أرواحهم للدّفاع عنهم"³.

مهما يكن فإنّ ما اشترطه سحنون من عدم تلقّيه لعائد مادّي مقابل تولّيه القضاء، كان تقليدًا اتّبعه من تولّى بعده هذا المنصب من المالكية كعيسى بن مسكين، وحماس بن مروان، وذلك من أجل تحقيق هدفين: الأول؛ إستقلالية القاضي في إصدار أحكامه بعيدًا عن أي نوع من الضغوطات، والثاني أن يحافظ القاضي على صورة الفقيه العفيف الموثوق التي كانت في أعين النّاس، وبالتالي إيجاد نوع من القبول المعنوي لما يُصدره من أحكام⁴.

كان أكثر القضاة في الدولة الأغلبية من الكوفيّين (أتباع المذهب الحنفي) فرشّح سحنون أحدهم لهذا المنصب وهو سُلَيْمان بن عمران، والذي أشار بتعيين الأوّل⁵، من المستجدات التي طرأت على مسؤوليات القاضي في عهد سحنون حيّزة صلاحية تعيين أمناء الحسبة؛ فكانت أوّل مهمّة كلّفهم بها سحنون طرد من سَمّاهم "أهل البدع" من جامع القيروان، ومنعهم من عقد حلقات العلم فيه، وكانوا من الصّفرية، والإباضية، والمعتزلة، وأدّب بعضهم حينما تحدّوه⁶، وهذا الإجراء وضع حدًّا للحرية الفقهية والفكرية التي سادت إفريقية في الثّلاث الأوّل من القرن 3هـ/9م، وبالتالي كرّس سحنون مرحلة أصبح الفقه المالكي فيها يضغط بثقله على المشهد الفكري-الديني في إفريقية⁷.

كان سحنون يؤدّب المتقاضين بالضّرب بلطم القفا إذا لزم الأمر⁸، خصوصًا إذا تبين إستعمال أحدهما لليمين الكاذبة، أو حلف بغير الله⁹، أو هدّد أحد الخصمين أحد الشهود، ويقول: "إذا تُعْرض للشّهود كيف يشهدون"¹⁰،

¹ الدّباغ، المصدر السابق، ج2: ص85.

² ابن فرحون، المصدر السابق، ص265.

³ الهنتاتي، المرجع السابق، ص151.

⁴ بشير التليسي، المرجع السابق، ص74.

⁵ الدّباغ، المصدر السابق، ج2: ص85.

⁶ نفسه، ج2: ص87-88.

⁷ الهنتاتي، المرجع السابق، ص52.

⁸ ابن فرحون، المصدر السابق، ص265.

⁹ وهبة الزحيلي، تاريخ القضاء في الإسلام، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، 1995م، ص377.

¹⁰ ابن فرحون، المصدر السابق، ص265.

و اهتمّ بشكل خاص بالمساهلين في مسائل العتق والطلاق، وكان يؤدّبهم في اللباس والمنظر المخالفين للشرع، ويأمرهم بتحسين سلوكهم في حضرته¹.

كذلك حاز سحنون على صلاحية تعيين إمام الجامع الذي يُصلي بالناس من الأمراء الأغلبية، وأنشأ غرفة في الجامع للتقاضي لا يدخلها إلا الخصوم والشهود و القاضي وأعوانه، وابتكر نظام الأمناء لحفظ ودائع المتقاضين بعيداً عن بيت القاضي²، فهي إذا كثرت أصبحت عبئاً على القاضي، ويصعب عليه حفظها، وقد تشغله عن عمله الرئيسي، ومن الناحية الشرعية يجب حمايتها من التلّف والفساد والنّفاذ عند أشخاص ثقة عدول³، ونظّم دخول المتخاصمين إليه عن طريق الكتابة ومناداتهم بأسمائهم واحداً بعد آخر، إلا في الحالات الطّارئة⁴. إضافة إلى ما قام به من عمل ميداني في المجال القضائي بالقيروان، فإنّه اهتمّ بالجانب النظري كذلك، فألف "دستور أحكام السّوق" حول مهام المحتسب، وكتاب "نظام قضاة الآفاق"، و"كشف الشهود"، و"سنن التّعليم الإبتدائي"⁵.

غير أنّ سحنون تعرّض لموقف جدّ عويص مع سلفه ابن أبي الجواد، وذلك لخصومة قديمة بينهما تتعلّق أساساً بموقفه من الفقهاء العراقيين الموالين للسلطة الأغلبية بسبب مسألة خلق القرآن⁶، فكان سحنون يهتم بهذه المسألة، ويعتبرها من أهمّ مسائل العقيدة ولا أدلّ على ذلك تلقينه لأحد أصحابه في احتضاره أن يقول أنّه يشهد أنّ كلام الله غير مخلوق بعد إيمانه بالرسول والبعث والحساب والجنّة والنّار، وأفضليّة أبوبكر وعمر على غيرهم من

¹ أبو الحسن بن عبد الله النباهي المالقي الأندلسي، تاريخ القضاة في الأندلس، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي بدار الآفاق الجديدة، الطبعة الخامسة،

دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983م، ص29

² الدّباغ، المصدر السابق، ج2: ص88.

³ وهبة الزحيلي، المرجع السابق، ص368.

⁴ ابن فرحون، المصدر السابق، ص266.

⁵ حسن حسني عبد الوهاب، الإمام المازري، ص25-26.

⁶ مسألة خلق القرآن: من المسائل الشّهيرة في التاريخ الإسلامي، طُرحت أوّل مرّة من طرف المتكلّم الجعد بن درهم خلال حكم هشام بن عبد الملك (105-125هـ/724-743م)، فأقام عليه الحد وأرسله إلى خالد القسري والي العراق، فأعدمه، واستمرّ القول بها في السّر خَوْفاً من مصير ثُمّائل لمصير الجعد حتّى إنّتصر لها المأمون العباسي (198-218هـ/813-833م) بسبب تكوينه العلمي القائم على حريّة الفكر وتحمّسه لمذهب المعتزلة وبخاصّة منهم أستاذه: يحيى بن المبارك الرّيدي، وثمانية بن أشرس، وآخرين من شيوخ مذهبهم كأبي الهذيل العلاف وإبراهيم بن سيّار، وابن أبي دؤاد، ويحيى بن أكثم قاضي البصرة، وشغفه بالفلسفة، وتشجيعه للمناقشات العلميّة، ثمّ أعلن القول بحريّة الاختيار لا الجبر، وأنّ القرآن مخلوق رغم كونه وحياً، كبديل للعقيدة القائلة بأنّ القرآن أزلّي غير مخلوق، وأعلن أنّه توجد مصادر أخرى غير القرآن والسنة يُمكن الإسترشاد بها في مسائل الدّين، وفسّر القرآن تفسيراً لا يتقيّد فيه بلفظه، ثمّ أعلن أنّ هذا الرّأي ملزم لجميع رعاياه من المسلمين، وأنّها "عقيدة الدّولة الرسميّة" سنة 218هـ/833م، وامتحن كبار علماء وفقهاء بغداد في هذه المسألة الخطيرة من خلال مجالس مناظرة هيّ أشبه ماتكون بمحاكم التفتيش، فرفض أكثرهم، وبقيّ البعض صلباً في رأيه كأحمد بن حنبل، وأوصى المأمون أحاه المعتصم بالتمسك بكيبر القضاة ابن أبي دؤاد، والقول بخلق القرآن، واستمرّ ذلك في عهد الواثق، إلى خلافة المتوكل، الذي أمر في 234هـ/848م بترك الجدال والمناقشة بخلق القرآن، وإعادة الإعتبار لرأي الفقهاء في هذه المسألة، وإطلاق سراح أحمد بن حنبل.

أنظر: كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلاميّة، ترجمة: نبية أمين فارس ومنير البعلبكي، الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين، بيروت، 1968م، ص206-207، وأحمد فريد الرّفاعي، عصر المأمون، دار الكتب المصريّة، القاهرة، 1927م، ج1: ص395-399، وجمال الدّين القاسمي، تاريخ الجهميّة والمعتزلة، الطبعة الأولى، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، 1979م، صص64 و69.

الصَّحابة؛ كي يموت كامل الإيمان¹. وكان القاضي ابن أبي الجواد يرى أنّ القرآن مخلوق، فرفض سحنون الصَّلَاة خلفه على إحدى الجنائز، وبلغ ذلك زيادة الله الأوّل فأمر عامله على القيروان أن يضرب سحنون خمسمائة سوط، ويخلق رأسه ولحيته، ولكنّه لم يُنفذ الأمر خوفاً من شعبية الفقيه المالكي، ووساطة الوزير الأغلي علي بن حميد².

تجدّد الصّراع الحنفي بين ابن أبي الجواد وسحنون في عهد أحمد بن الأغلب، حينما إمتحنه في مسألة خلق القرآن في حضور قاضيه، فأقرّ سحنون بأنّ القرآن كلام الله غير مخلوق، وأنّ هذا القول أخذه عن شيوخه من علماء السلف، وهو ما أسخط ابن أبي الجواد ومن كان معه من الفقهاء، فأفتوا بكفره وحرّضوا على إعدامه، واستقرّ الرّأي بوضعه تحت الإقامة الجبريّة في بيته مع مراقبة عشرة من الحرس، ومنعه من الفتوى والتّدرّيس والحديث إلى النّاس³. الحقيقة أنّ فقهاء المالكيّة في بلاد المغرب -ومنهم سحنون- لم يتعرّضوا لما حدث لفقهاء المشرق في مسألة خلق القرآن، رغم تعدّد كتب الطبقات تضخيم معاناتهم؛ بل إنّ إفريقيّة أصبحت ملجأً يحتمي به الفقهاء المشاركة من محنة قاسوها في بلادهم نتيجة هذه المسألة العقائديّة، فزيد بن بشر (ت242هـ/856م) فرّ من مصر هروّباً من اضطهاد السلطة العبّاسيّة⁴. وحدث أن عزل محمد بن الأغلب ابن أبي الجواد، وعيّن مكانه سحنون، وتمّ التحقيق في الدّمة الماليّة للقاضي الحنفي المعزول، وتبيّن وجود أموال أخذها بغير حق، وعمل سحنون على استردادها بالتّعذيب، فضُرب ابن أبي الجواد بالسّوط⁵، حتّى مات تحت التّعذيب، إذ كان يخرج سحنون كلّ جمعة ويضربه، وقيل فعل به ذلك عقاباً على قوله بالبدعة في مسألة خلق القرآن، وهو الأرجح لأنّ أسماء بنت أسد بن الفرات وزوجة ابن أبي الجواد صرّت على أن تدفع مغارم زوجها فرفض سحنون⁶.

ج) الفقه المالكي بين الأسديّة والمدونة:

يُمكن أن تكون الأسديّة تتكوّن أساساً من مناقشات أسد العلميّة مع محمّد بن الحسن الحنفي، مع بعض آرائه التي رأى أنّها الصّواب، ثمّ زاد عليها أقوال ابن القاسم وتصحيحاته فأصبحت ستّين كتاباً⁷، وأدخل أسد مُصنّفه في الفقه إلى القيروان سنة 181هـ/797م، ونال به مكانة علميّة رفيعة، وأنكر عليه بعض المالكيّة ما فيه من إجابات غير جازمة وآراء غير مسبّقة، ومنهم سحنون الذي سعى للحصول عليها، ورحل بها إلى ابن القاسم، وبعد إطلاعه عليها رأى أنّ فيها ما يجب تغييره، فأجاب عن ما كان يشكّ فيه، واستدرك ما

¹ (المالكي، المصدر السابق، ج1: ص367-368).

² (الدّباغ، المصدر السابق، ج2: ص93).

³ (نفسه، ج2: ص95).

⁴ (الهنّاتي، المصدر السابق، ص99).

⁵ (أبو العرب، المصدر السابق، ص236).

⁶ (القاضي عياض، تراجم أغلبية، ص106-107).

⁷ (القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج3: ص296-297).

نسيته¹، وكان أسد يرفض أن يطلع سحنون على أخطاء ونقائص الأسديّة لغزارة علمه، فتحايل في الحصول عليها إلى حدّ إرساله الوسطاء واستعمالهم للأيمان الكاذبة².

أصبحت مدوّنة سحنون بديلاً عن الأسديّة، ورفض الفقهاء الأخذ بأحكامها بعد أن قال فيها ابن القاسم بعد رفض أسد لتصحيحها: "اللّهم لا تُبارك في الأسديّة"³، ويذكر الدبّاغ⁴ أنّ ابن الفرات كان ينوي العمل بما أرسله له ابن القاسم، إلّا أنّ بعض تلاميذه ذكره بأنّه تلميذ لملك، وأحاط بالفقه الحنفي من تلميذ أبي حنيفة محمّد بن الحسن، وأبو يوسف القاضي، وأنّه أعلى منزلة من سحنون وأنّه إن أخذ بأقوال كتابه إهتزّت مكانته العلميّة، فنزل صاحب الأسديّة عند قولهم، والأقرب إلى التصديق هو أنّه اعتبر الأسديّة تكريساً لمنهجه الإجهادي الذي أخذه عن أستاذه علي بن زياد، وأنّ تحليّه عنها بمثابة إقرار بخطأ أفكاره القائمة علي النظر في التّفرّعات⁵.

أثّرت حادثة ابن القاسم في نفسيّة أسد بن الفرات إلى درجة ضربه لشيخ من شيوخ الحديث في القيروان حينما أصبح قاضياً، بعد أن ذكره بالحادثة تعريضاً به⁶، ولم يقل أسد بخلق القرآن، وكان يقول كلام الله غير مخلوق، وبهذا الرّأي كان يقول الحنفيّة في القيروان على زمانه لرئاسته الدّينيّة لهم⁷، واستقرّ أسد على الإفتاء بمذهب الكوفيّين رغم علمه الواسع بمذهب أهل المدينة، في غير ما تعصّب⁸، فأتباع المذهب الحنفي في تلك الفترة كانوا أكثر عدداً من المالكيّة في بلاد المغرب قاطبة، فهوّ مذهب الأغلبية والعبّاسيّين الرسمي⁹. ثمّ ولّاه زيادة الله الأوّل الإمارة في غـزو صقلية¹⁰، وبينّ له أنّها أفضل من القضاء لأنّها إمارة جهاد في أرض

¹ القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج3: ص298.

² الدبّاغ، المصدر السابق، ج2: ص14.

³ القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج3: ص299.

⁴ الدبّاغ، المصدر السابق، ج2: ص15.

⁵ الهنتاتي، المرجع السابق، ص40.

⁶ الدبّاغ، المصدر السابق، ج2: ص16.

⁷ نفسه، ج2: ص18.

⁸ القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج3: ص301.

⁹ حسن حسني عبد الوهاب، الإمام المازري، ص20.

¹⁰ كانت صقلية ولاية بيزنطية خلال عملية فتح بلاد المغرب، وكانت ملجأ للروم الفارين من المدن المفتوحة في إفريقية، وكانت فكرة غزو هذه الجزيرة تراود أمراء إفريقية، وهوّ ما تمّ تكريسه في سنة 32هـ/652م حينما أرسل معاوية بن أبي سفيان معاوية بن حديج للقيام بعمليات عسكرية فيها إلّا أنّه لم يتغلّب على قوّة التحصينات البيزنطية، وعاد الجيش العربي بالغنائم والأسرى فقط، وفي 47هـ/667م قاد عبد الله بن قيس حملة بحريّة لم تظفر إلّا بالكثير من الغنائم، وقد عمل البيزنطيّون بعد هذه الحملة على الإهتمام البالغ بتحصين الجزيرة واتّخاذها جبهة دفاع أماميّة لحماية البر اليوناني من غزوات العرب، وفي نفس الوقت شرّ هجمات على المدن الساحليّة الإفريقية إنطلاقاً من موانئها، في سنوات 63هـ/682م، و75هـ/694م، وردّ العرب بغزو الجزيرة بشكل متكرّر طيلة عصر الولاة للإستيلاء على الغنائم وتدمير الدّفاعات العسكريّة البيزنطية في موانئها.

وفي سنة 197هـ/812م اكتمل إنشاء الأسطول الأعلي، وفي نفس الوقت شهدت الجزيرة اضطرابات وصراعات نتيجة محاولة القائد البيزنطي "فيمي" الانفصال عن القسطنطينية، ولجأ بعد فشله إلى إفريقية أين عرض الأمير زيادة الله الأوّل منح الجزيرة للأغلبة إن قدّموا له الدّعم العسكري، مع تعهده بمنح الجزيرة لأمراء إفريقية على أن يُصبح والياً للأغلبة، فاستشار الأمير القاضيين أبو عمرز وأسد بن الفرات، فتحسّس الثاني لإعلان الجهاد، فولّاه

النّصارى¹، فقرّر ابن الفرات ترك التدريس والعلم إلى فريضة أخرى وهيّ الجهاد، فغزا صقلية، أين قُتل ودُفن سنة 212هـ/827م².

الفرق بين سحنون وابن الفرات هو أنّ الأوّل كان حريصًا على الإلتزام بالمذهب المالكي، فشخصيّة مالك سيطرت على تفكير سحنون، وشغلته الإحاطة بفقهه، وإدراك كلّ علمه³، بخلاف الثّاني الذي كان يحاول إلى إرساء قواعد مدرسة فقهية قيروانيّة، لا تنتسب لمذهب معيّن بل تتعامل مع اجتهادات الأئمّة بحياديّة، وهذا ما اتّضح من خلال تدريسه في القيروان لفقه الحجازيّين والعراقيّين بالتساوي⁴.

إهتمّ سحنون بالمدوّنة وحضّ تلاميذه على الرجوع إليها في ما يُطرح عليهم من مسائل فقهية، فقال عنها: "عليكم بالمدوّنة فإنّها كلام رجل صالح وروايته"، وأيضًا: "إن المدوّنة من العلم بمثابة أم القرآن من القرآن، تُجزئ في الصلاة عن غيرها، ولا يجزئ غيرها عنها، أفرغ فيها الرّجال عقولهم، وشرحوها، وبيّنها، فما اعتكف أحد على المدوّنة ودراستها، إلّا عُرف ذلك في ورعه وزهده، وما عداها إلى غيرها إلّا عُرف ذلك فيه، ولو عاش عبد الرحمان أبدًا، ما رأيتموني أبدًا"⁵.

في المدوّنة نجد حضورًا لافتًا لفقهاء مصر والحجاز لاسيّما من أتباع مالك كعبد الله بن وهب (ت 197هـ/ 812م)، إلّا أنّ مُصنّفًا حرص بشدّة على تضمينها لأقوال مالك في جلّ

زيادة الله على رأس الحملة التي تكوّنت من خمسة عشر ألف جندي، ومائة وسبعين مركب، وتألّف الجيش من العرب والفرس والبربر والأندلسيّين، وعدد من العلماء، وأنصار "فيمي" الذين لجئوا إلى إفريقية.

وانطلقت الحملة في ربيع الأوّل 212هـ/جوان 827م، واستولى المسلمون على مدن هامة من الساحل الصقلّي، ولكنهم تعرّضوا لحيّانة من فيمي، وتمرّد داخل الجيش، وقلة في المؤونة، وكذلك تحصّل البيزنطيّون على دعم عسكري ومادي من دولة البندقيّة، وتعزّزت القوّات الإسلاميّة بمحاربين من إمارة جزيرة كريت الإسلاميّة، وبعد عام تفشّى الوباء في معسكر المسلمين ومات الكثيرون؛ منهم ابن الفرات نفسه، ولم يتمكّن المسلمون من الإنسحاب إلّا بعد أن تعرّضوا لخسائر كبيرة، وتراجعوا إلى مدينتي ميناو ومازر فقط في نهاية 214هـ/829م.

وفي 215هـ/830م أعدّ زيادة الله حملة ثانية على الجزيرة فيها الكثير من الأندلسيّين، من جيش قوامه ثلاثون ألف مقاتل، وكثير من الخيل، وثلاثمائة مركب، ونجح الجيش في ضم جزء كبير من الجزيرة، وفتح بالرمو، وفي 217هـ/832م عيّن زيادة الله ابن عمّه أبوفهر محمّد بن عبد الله واليًا للأغالبية عليها، وضمّها إلى دولته، ولكنّ الجزيرة تمتّعت بنوع من الإستقلال الدّائي في إدارة شؤونها، واستقرّ بها مزيج من سكّان إفريقية والأندلسيّين، وكان توجيه المقدرات العسكريّة للأغالبية للقيام بعملية فتح جديدة، يهدف إلى التخلّص من الفئات المشاغبة من الجند، وشغل الرّاي العام في إفريقية لفترة طويلة بأخبار الجهاد ضدّ النّصارى في صقلية، وهو ما أدّى إلى نوع من الهدوء والإستقرار في إفريقية، وفي نفس الوقت تجديد دماء الجيش الأغلبي بالاعتماد على عنصرين جديدين: العبيد الصّقاليّة، والسودان. أ. نظر: عزيز أحمد، تاريخ صقلية الإسلاميّة، ترجمة: أحمد توفيق الطيّبي، الدار العربيّة الكتاب، د.م.ن، 1980م، ص 8-17، وبشير التليسي، المرجع السابق، ص 37.

¹ (الدبّاغ، المصدر السابق، ج 2، ص 22.

² (الشيرازي، المصدر السابق، ص 156.

³ (الهنّاتي، المرجع السابق، ص 28-29.

⁴ (حسن حسني عبد الوهاب، الإمام المازري، ص 19.

⁵ (القاضي عيّاض، ترتيب المدارك، ج 3، ص 300.

صفحةً—انفتح أغلب الفقرات بسؤال مُتكرّر: "ما قول مالك؟"، فيجيبه ابن القاسم بهذا رأي مالك أو هذا ما أراه¹.

قام سحنون بعملية تبويب، وترتيب، وتنظيم للمادة العلمية الموجودة في المدونة، بعد أن كانت الأسدية مختلطة المسائل والأبواب، وأضاف إليها الأحاديث النبوية والآثار، وأضاف إليها ما انتقاه من المذهب المالكي، فصارت بذلك أهم مراجعه²، كما امتازت بسهولة الأسلوب، وحسن تنسيق الألفاظ، ورصانة العبارات³. واعتمد سحنون على الاستدلال كثيراً في مدونته ولكن بمنهج خاص، فبعد أن يذكر المسائل المتعلقة بالباب يُذيلها بالآيات، والأحاديث، والآثار التي بنى عليها رأيه في المسألة، ومن حيث استيعابها لآراء المالكية، فقد احتوت على آراء الأسدية، وآراء أهم علماء المالكية، وبالأخص رواية ابن وهب للموطأ، وأخيراً أضاف كثيراً من إجهاداته وآرائه الفقهية⁴.

لقد تضمنت "المدونة الكبرى" فتاوى المالكية في الوضوء والصلاة، والجنائز، والصوم، والحج، والجهاد، والصيد، والذبائح، والأضحيات، والعقيقة، والتدوير في الكتاب الأول، وما يتعلق بالأسرة في الكتاب الثاني من الطلاق، والرضاع، والظهار، وأحكام النكاح، وما يتعلق بالعتق والمواثيق، والكتاب الثالث حول المعاملات التجارية، والعقود، والكتاب الرابع حول الحدود، والوصايا، والجرائم، والديات، والدماء، والأموال⁵.

أصبحت المدونة كتاب الفقه المالكي الأساسي في إفريقية والمغرب والأندلس، وأصبحت في حكم موطأ الإمام مالك، تُدرّس في المجالس، والمساجد، والحلقات العلمية، وظهرت لها اختصارات منها مختصر البرقي في مصر، والذي صحّحه مرة أخرى ابن القاسم⁶، كما كتب مجموعة من الأندلسيين المدونة وسعوا إلى سحنون ليُسمعها لهم في بيته بإفريقية فأعاد إملائها عليهم⁷.

(د) تأثير سحنون على تلاميذه:

كان تلاميذ سحنون من الكثرة بأن صار كل واحد منهم إماماً في بلد، وكان أكثر من يحضر مجالسه أهل العبادة والزهد، وقيل عن طلبة: "ما بورك لأحد في أصحابه بعد الرسول—صلى الله عليه وسلم—مثلما بورك لسحنون في أصحابه"⁸، وكان مجلسه من أكبر مجالس العلم فكان يحضرها في المرة الواحدة أربعمئة طالب⁹.

¹ (المنتقى، المرجع السابق، ص 28).

² (سعدى أبو حبيب، سحنون مشكاة نور وعلم وحق، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، 1981م، ص 32-33).

³ (محمد زينهم، المرجع السابق، ص 186).

⁴ (محمد المامي، المرجع السابق، ص 248-249).

⁵ (عبد السلام "سحنون" بن سعيد التنوخي، المدونة الكبرى في فقه الإمام مالك بن أنس الأصبحي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م).

⁶ (محمد زينهم، المرجع السابق، ص 186).

⁷ (المالكي، المصدر السابق، ج 1: ص 369).

⁸ (النباهي، المصدر السابق، ص 29).

⁹ (حسن حسني عبد الوهاب، الإمام المازري، ص 25).

على أنّ إنجازات سحنون الفكرية في بلاد المغرب حضيت بنوع من التّضخيم من طرف الرواية المالكية، فالجهد الذي تمّ إضفاؤه على سيرة سحنون وُضع بعد أن تمّ التمكين لمذهبه في مراحل لاحقة من التاريخ المغربي، فالمذهب الحنفي ظلّ محتفظاً بمركز القوّة والسيطرة على الحياة الدينية في إفريقية، وأنّ شهرة سحنون في الفقه لم تتعدّى حدود المغرب والأندلس¹.

من فقهاء إفريقية محمد بن سحنون التّنوخي، وهو نجل الفقيه المالكي الأشهر ومنه أخذ العلم الشرعي، وشدّ الرحال إلى المدينة؛ فنال نصيباً من علوم فقهاءها، وعُرف بغزارة تأليفه في مذهب الإمام مالك حتّى قيل فيه بأنّه "سبح في العلم سبّحاً"².

يعتبر محمد بن إبراهيم بن عبدوس (ت243هـ/857م) من علماء المذهب المالكي في إفريقية، كان حافظاً لمذهب مالك ولأقوال الرواة من تلاميذه³، وعُرف بغزارة استنباط الأحكام الشرعية، وله كتاب "المجموعة" في فقه مالك وأصحابه⁴، وكان يسأله الفقهاء في مسائلهم إذا عجزوا عن سؤال الإمام سحنون⁵. ومن علماء القيروان في المذهب المالكي؛ قاضي صقلية عبد الله بن سهل القبرياني (ت249هـ/863م) وإبنة سهل، وكلاهما أخذ العلم عن سحنون⁶، وولاه قضاء قسطنطينية وأعمالها⁷.

عن سحنون أخذ العلم كثير من فقهاء المالكية مثل: يحيى بن عمر الأندلسي⁸، سمع من سحنون في منزله بريف الساحل⁹، وأبو العباس عبد الله بن أحمد بن طالب؛ والذي ارتحل إلى المدينة وأخذ العلم عن ابن عبد الحكم، ويونس بن عبد الأعلى¹⁰، وأبو جعفر أحمد بن سليمان الصوّاف، درس الفقه على يد سحنون عشرين عاماً¹¹، وكان شاعراً، ولما بلغ مكانة كبيرة في العلم الشرعي ترك هذا اللون من الأدب¹².

¹ (المنتقى، المرجع السابق، ص53).

² (الخشني، المصدر السابق، ص178).

³ (أبو العرب، المصدر السابق، ص133).

⁴ (الخشني، المصدر السابق، ص182-183).

⁵ (المالكي، المصدر السابق، ج1: ص459).

⁶ (الخشني، المصدر السابق، ص183).

⁷ (الدبّاغ، المصدر السابق، ج2: ص112).

⁸ (الخشني، المصدر السابق، ص184).

⁹ (الدبّاغ، المصدر السابق، ج2: ص234).

¹⁰ (الخشني، المصدر السابق، ص186).

¹¹ (الدبّاغ، المصدر السابق، ص207).

¹² (الخشني، المصدر السابق، ص190).

من مشاهير تلاميذ سحنون في الفقه: عيسى بن مسكين الذي أخذ العلم في المشرق عن يونس بن عبد الأعلى¹، ومعتب بن أبي الأزهر، وإبنة أحمد²، وجبلية بن حمود الصّدي³، وعبد الجبار السّري، وحمديس القطّان (ت289هـ/901م)⁴، الذي إرتحل إلى مصر، والمدينة، ودرس الفقه المالكي على يد تلاميذ أشهب، وابن القاسم، وابن وهب⁵، وأبي الأحوص أحمد بن عبد الله (ت284هـ/897م)⁶، وكان فقيه سوسة وعابدها، وعُرف باجتهاده بالرّغم من إعاقته البصريّة⁷. وسليمان بن سالم المعروف بإبن الكحّالة، وسعيد بن محمّد بن الحدّاد⁸، الذي تحوّل إلى المذهب الشّافعي، وقال عن المدوّنة "المدوّدة"، فقاطعه تلاميذ سحنون⁹، ويرى الهنتاتي¹⁰ أنّه لم يكن مالكيًا مثلما تُحاول أن تُظهره كتب المالكيّة، فهو من أصحاب الرّأي الحر، وكان يُمثّل مدرسة النّظر الرّافضة للتقليد، والتي ترفض الإلتزام بمذهب فقهي معيّن، وبالتالي فإنّ ابن الحدّاد هو المؤسّس الحقيقي للمدرسة الكلاميّة السّنيّة في بلاد المغرب. ومن تلاميذ سحنون أبو داود العطار أحمد بن موسى بن جرير الأزدي (ت274هـ/887م)، تفقّه من دروس معاوية الصّمّادحي، وأسّد بن الفرات، ويحيى بن سلام، وحماس بن مروان؛ وهو ممّن رحل إلى مصر وحضر حلقات ودروس ابن عبد الحكم¹¹.

يلاحظ على تلاميذ الإمام سحنون أنّ أغلبهم كانت له مهنة يرتزق منها أو مورد رزق آخر، لأنّ التّدريس يتمّ مجانيًا في حلقات العلم في المساجد، وهذا ساهم إلى حدّ بعيد في انتشار المذهب المالكي - باعتباره مذهبًا شعبيًا - بشكل خاص بين الفئات الشّعبية في مدن إفريقيّة، وساحلها¹².

¹ الخشني، المصدر السابق، ص193، ويونس بن عبد الأعلى: هو أبو موسى بن موسى بن ميسرة بن حفص الصّدي، أخذ الحديث والفقه من الشّافعي، وابن وهب، وابن عُيينة، وكان مرجعًا لمسلم، والنّسائي، وابن ماجه في الحديث، توفيّ سنة 264هـ/877م، أنظر: محمد الحجوي النّعالي، المرجع السابق، ج3: ص129-130.

² نفسه، ص188-190.

³ نفسه، ص195.

⁴ نفسه، ص197.

⁵ نفسه، ص201.

⁶ نفسه، ص198.

⁷ المالكي، المصدر السابق، ج1: ص482.

⁸ الخشني، المصدر السابق، ص200-201.

⁹ الدّباغ، المصدر السابق، ص295.

¹⁰ أنظر: المذهب المالكي، ص147.

¹¹ الخشني، المصدر السابق، ص205-207.

¹² الهنتاتي، المرجع السابق، ص139-140.

يرى الهنتاتي¹ أنّ الفقه المالكي في إفريقية إعتنى بشكل كبير بالأحكام الفقهية الخاصة بالزراعة وما يتبعها من أحكام حول الأرض وعبيدها لأنّ كثيرًا من ملاك الأراضي كانوا من المالكية بخلاف أتباع المذهب الحنفي الذين كان أكثرهم من كبار التجار الذين لهم علاقات واسعة بالسودان الغربي ودار الحرب عمومًا، والتي حرّم مالك الإبحار معها².

هـ) الفقه في صقلية:

كان فتح جزيرة صقلية (212-218هـ/827-832م) في فترة بدأ المذهب المالكي يتبلور في شكل مظهر ديني عام لأهل إفريقية، لذلك نرى أنّ واحدًا من الذين تولّوا القضاء بها ما بين (281-289هـ/) -وهو ابن الكخالة سليمان بن سالم القطّان- قد عمل على نشر المذهب المالكي في هذه الجزيرة إنطلاقًا من كونه تلميذًا سحنون، وإبنه محمد، وكان كثير الرواية ومن أهل الأدب والفقه البار³، وكان من الذين رحلوا إلى المدينة لطلب العلم من شيوخ المالكية، وألّف في الفقه المالكي مجموعة سمّاها "السُّليمانية"⁴. ومن الذين تولّوا منصب قاضي صقلية عبد الله بن سهل القبرياني المالكي، وهو من تلاميذ سحنون⁵، آخر تلاميذه موتًا كذلك وهو ميمون بن عمر الإفريقي (ت316هـ/928م)، وكان قد تولّى القضاء في صقلية بعد القيروان، وساهم في نشر فقه المالكية فيها⁶، وعُرف بورعه، وزهده وتعقّفه وترفّعه عن الشبهات⁷.

من الذين عاشوا ودفنوا في صقلية الفقيه سعيد بن يحيى المعروف بابن الفراء، وهو من الذين تتلمذوا على يد الإمام سحنون، وفقيهين آخرين هما: مُطرف والقعني⁸. ويلاحظ أنّ صقلية عرفت إنشاء دار للقضاء يقيم فيها القاضي الذي عادة ما يكون قادمًا من القيروان⁹.

¹ انظر: المذهب المالكي، ص145.

² كان لسكان المغرب علاقات تجارية مع سُكّان صقلية أثناء تبعيتها للبيزنطيين، وكان بعض التجّار العرب يقيم في صقلية، وقد أبرم الأغلبة في 198هـ/813م مع غريغوري بطريق البيزنطيين في صقلية معاهدة صلح لعشر سنوات من بين بنودها العمل على سلامة التجّار المسلمين في صقلية والتجّار البيزنطيين في إفريقية، أنظر: عزيز أحمد، المرجع السابق، ص11-12.

³ الدبّاغ، المصدر السابق، ج2: ص206.

⁴ القاضي عياض، تراجم أغلبية، ص260-261.

⁵ أبو العرب، المصدر السابق، ص134.

⁶ عزيز أحمد، المرجع السابق، ص51.

⁷ الدبّاغ، المصدر السابق، ج2: ص357.

⁸ القاضي عياض، تراجم أغلبية، ص204.

⁹ الدبّاغ، المصدر السابق، ج2: ص357.

3) الصراع المذهبي بين المالكية والحنفية:

يُرجَّح نجم الدين الهنتائي¹ سيطرة المذهب الحنفي على الحياة الدينية في إفريقية حتى منتصف القرن 2هـ/9م، وهو ما يفسر العلاقة الحسنة ظاهرياً بين الإمام سحنون وفقهاء هذا المذهب، ويبدو أنّ هذه العلاقة إصطدمت بالتباين الشديد في بعض المسائل والقضايا الفقهية، كالموقف من المعتزلة، وشرب التّبذ²، وبعض مسائل الرّبا، وزادها توتّراً محاولة كلّ طرف إستقطاب عامّة أهل إفريقية إلى صفّه بالتّشجيع على الطّرف الآخر ووضعه في مواقف حرجة، ومن ذلك إلحاح الحنفي سليمان بن عمران على محمّد بن الأغلب في تعيين سحنون لمنصب القاضي من أجل وضع مواقف سحنون الدينية والاجتماعية أمام إغراءات السّلطة وتبعاتها³.

لكنّ طبيعة المدرستين الفقهيتين المالكية والحنفية كانت سبباً في ظهور نوع من التّنافس بين فقهاء في إفريقية، فالمالكية يعتبرون مذهبهم الممثل الحقيقي لأهل الحديث، ويعتبرون الحنفية أهل الأهواء لا أهل الرّأي، من ذلك خصومة البهلول بن راشد مع العراقيين ومنهم القاضي أبو عمرز الذي عاده في مرضه، فجزره البهلول قائلاً له: إن كنت على رأيك فلا تقربنا⁴، إضافة إلى أنّ المالكية كانوا أكثر جرأة من الحنفية في انتقاد تجاوزات السّلطة الأغلبية، باعتبار أنّ الكوفيين يمثّلون مذهب الدولة العباسية الرسمي، ويمثّلون في نفس الوقت أداة السّلطة يجمع المخالفين عقائدياً وفكرياً⁵.

لكنّ بعض فقهاء المالكية تشدّدوا في التّعصّب لمذهبهم، فيحیی بن عُمر بلغ به المر أن طرد من مجلسه كلّ من كان حنفياً⁶، وتعرّص المالكية هوّردّ فعل على استغلال الفقهاء الحنفية لدعمهم من طرف الأغلبية، وكذلك تعيينهم لقضاة منهم، وقيامهم باضطهاد مخالفينهم، كابن عبدون القاضي الذي أمر بضرب مجموعة من تلاميذ الإمام سحنون بالسيّاط، والمناداة عليهم بحزب الشّيطان، فمات منهم إثنان تحت التّعذيب، وهما: ابن المديني، وإبراهيم بن المضأ، وذلك فقط لحقده على أتباع مالك⁷، فردّ عليه المالكية برفض الصّلاة ورائه، وترك صلاة الجنازة على أتباع المذهب الحنفي تأدياً لهم⁸.

¹ أنظر: المذهب المالكي، ص 115.

² التّبذ هو ماء الزّبيب وماء التمر قبل أن يغلياً، وقيل بعد أن ينتقلان من الحالة المذكورة إلى تغيّر رائحتهما وطعمهما بعد ثلاثة أيّام، ولا تدخل فيه التارباغلي كالخمر، وكان يُبذ أي يترك، ثمّ يُشرب قبل أن يُصبح حلاً، وقد قال فقهاء الكوفة أنّ ما طبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه، وأضيف إليه الماء مباح، وكانوا يشربونه، ومنهم التابعين كمالك بن دينار، وسعيد بن زيد، وسفيان الثوري، وإسحاق بن راهويه، ووکیع بن الجراح، أنظر: أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، كتاب الأشربة وذكر اختلاف الناس فيها، تحقيق: ياسين محمّد السّواس، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، بيروت-دمشق، 1999م، ص 31-34 و 65-71.

³ حفيظ كعوان، المرجع السابق، ص 109-110.

⁴ القاضي عياض، تراجم أغلبية، ص 30.

⁵ عمر الجيدي، المرجع السابق، ص 41.

⁶ الدّباغ، المصدر السابق، ج 2، ص 240.

⁷ نفسه، ج 2، ص 275.

⁸ نفسه، ج 2، ص 274.

كما أنّ محمد بن سحنون والذي خلف أبيه في رئاسة المالكية في القيروان تحدّى فقهاءها من الحنفية حينما ألف كتابه في تحريم التّبذ مُنتقداً فيه من قال بإباحته منهم¹، وهو أمر حدّره منه والده في حياته قائلاً: "يا محمد إحدّر أهل العراق، فإنّ لهم ألسنة حداداً، وإيّاك أن يغلط قلمك فتعتذر، فلا يقبل عذرك"². لهذا السّبب فإنّ ما بلغه محمد بن سحنون من التّفقه في المذهب المالكي، ومكانة والده، لم يمنعه من التّعريض للشّتم، والسّخرية، والأذى من عامّة الحنفية في القيروان³، وبخاصّة بعد وفاة والده إذ ساءت علاقته بسليمان بن عمران الذي خلف والده في منصب القاضي وأمعن في شتمه والسّخرية منه⁴؛ على الرّغم من ما كان يظهر من مودة بين الطرفين، فليجأ محمد للأمير محمد بن محمد بن الأغلب، فردّله الإعتبار، ويبدو أنّ أساس الخلاف بين الطرفين هو كثرة من قال بخلق القرآن⁵ من فقهاء الحنفية بإفريقية، وعلى رأسهم ابن أبي الحواجب الذي يُوصف بالمبتدع⁶، ونجحت ضغوطات أتباع المذهب المالكي ومؤازرتهم لمحمد بن سحنون في دفع الأمير الأغلي لعزل سليمان بن عمران من منصب القاضي واستخلافه بالفقيه ابن طالب⁷.

4) المذهب الشّافعي:

أ) نبذة عن المذهب:

(*) التأسيس والنشأة:

ينتسب المذهب الشّافعي لمؤسسه محمد بن إدريس الشّافعي القرشي، ولد في غزة سنة 150هـ/767م⁸، ولكنّه نشأ ودرس في أرض أجداده بمكة، وتمتّع بذاكرة قويّة، فحفظ القرآن وأشعار العرب، والموطأ، وتردّد على البادية لتعلّم فصيح اللّغة⁹، وتفادي فساد لهجة المدن بسبب الإختلاط بالموالي، فأقام في البادية عشر سنين تعلّم فيها كثيراً من عادات وأعراف البدو¹⁰، ودرس في شبابه على يد شيوخ مكة مثل: سفيان بن عُيينة¹¹، وأذن له في الفتيا أستاذه

¹ القاضي عياض، تراجم أغلبية، ص174.

² الدّبّاغ، المصدر السابق، ج2: ص124.

³ نفسه، ج2: ص129.

⁴ أبو العرب، المصدر السابق، ص130.

⁵ أجمع أهل المذاهب الشّنيّة الأربعة على أنّ القرآن الكريم كلام الله تعالى وأنّ كلامه من صفاته، وأنّ القول بنسبة القول بخلق القرآن للإمام أبي حنيفة غير ثابت تاريخياً، أنظر: عمرو عبد المنعم سليم، الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت ونسبته إلى القول بخلق القرآن، الطبعة الأولى، دار الضياء، القاهرة، 2007م.

⁶ الدّبّاغ، المصدر السابق، ج2: ص131-133.

⁷ أبو العرب، المصدر السابق، ص132.

⁸ أكرم يوسف عمر القواسمي، المدخل إلى فقه الإمام الشّافعي، الطبعة الأولى، دار النَّفائس، عمّان، 2003م، ص34.

⁹ نفسه، ص42-45.

¹⁰ محمد ابوزهرة، الإمام الشّافعي حياته وعصره، آرائه وفقهه، الطبعة الثّانية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1948م، ص18-19.

¹¹ القواسمي، المرجع السابق، ص49.

مسلم بن خالد الزنجي¹، ثم مكث في المدينة ليسمع الفقه عن مالك فقرأ عليه الموطأ، وأخذ عنه الحديث دراية ورواية، والجرح والتعديل، وأصول مدرسة اهل الحديث².

في ما يتصل بعلاقة الفقه المالكي بالفقه الشافعي فإن مؤسس المذهب الثاني أخذ قاعدته في الفقه والحديث من مذهب الإمام مالك بالدرجة الأولى، وبعدها ما أخذه من شيوخ مكة، ولا سيما أن الشافعي حينما التقى بمالك كان مذهب هذا الأخير قد تبلور فقهاً وحديثاً، فأخذ عنه الشافعي آخر وأصح أقواله التي مات عليها في كثير من مسائل العلم، وبقي فقيهاً مالكيًا لفترة معينة قبل أن يأخذ إتجاهاً في الفقه³. ترك الشافعي المدينة بعد وفاة مالك سنة 179هـ/795م، وانضم للجهاز الإداري في ولاية اليمن وأصبح عاملاً على نجران، فأظهر العدل فيها، إلى أن غادر إلى بغداد سنة 184هـ/800م⁴، وفيها التقى مرة أخرى بمحمد بن الحسن الشيباني تلميذ أبي حنيفة النعمان وناشر مذهبه؛ بعد أن إلتقاه في حضرة الإمام مالك في الحجاز، فلامزه وأخذ منه آرائه الفقهية، وأخذ عن المحدث العراقي وكيع بن الجراح (129-197هـ/ 746-812م) وهو من أتباع أبي حنيفة النعمان⁵، وكان الشافعي يُجلُّ محمد بن الحسن ويعتبره في منزلة أستاذه مالك⁶. وبعد أن نشر آرائه الإجتهدية ومنهجه في استخلاص الأحكام الفقهية في بغداد واجتمع حوله طلبته غادر إلى مصر ليستقر بها سنة 199هـ/814م، وهناك اكتملت الصيغة النهائية للمذهب الشافعي⁷، وكانت وفاته بها سنة 204هـ/819م، عن خمس وخمسين سنة⁸.

(* خصائصه:

يُعَدُّ الشافعي أول من دوّن قواعد الإستنباط في الفقه الإسلامي، وبالتالي فهو المؤسس الحقيقي لعلم أصول الفقه، وذلك لتمكّنه من علوم اللغة، وإحاطته بعلم الحديث، ولمعرفته بالمذاهب الفقهية وأسباب الاختلاف في ما بينها⁹، ويأخذ الشافعي بقول الصحابي في المرتبة الثالثة بعد الكتاب والسنة معاً، والإجماع، وقبل القياس¹⁰، وخبر الآحاد الصحيح السند قبل القياس فلا يشترط في الحديث أن يكون مشهوراً¹¹، وإذا اختلفت أقوال الصحابة

¹ محمد أبوزهرة، الإمام الشافعي، ص19، ومسلم بن خالد الزنجي كان مفتي مكة بعد ابن جريج، توفي سنة 197هـ/812م، أو في 180هـ/796م، أنظر: الشيرازي، المصدر السابق، ص71.

² القواسمي، المرجع السابق، ص61.

³ نفسه، ص62.

⁴ محمد أبوزهرة، الإمام الشافعي، ص24.

⁵ القواسمي، المرجع السابق، ص75-76.

⁶ محمد أبوزهرة، الإمام الشافعي، ص24.

⁷ القواسمي، المرجع السابق، ص103.

⁸ ابن عبد البر، الإنشاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء، الطبعة الأولى، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، 1997م، ص160.

⁹ محمد أبوزهرة، أصول الفقه، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.، ص13.

¹⁰ نفسه، ص321.

¹¹ أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج2: ص225.

أخذ الشافعي القول الأقرب إلى الكتاب والسنة¹، كما أبطل العمل بالإستحسان وآه مجرد رأي ليس قائم على قواعد في الإستنباط، وشبهه المستحسن بالتاجر الذي يضع ثمنًا لبضاعته بدون أن يعرف أحوال السوق وأسعاره²، وأبطل القول بالأخذ بعمل أهل المدينة في التشريع³، ووضع شروطًا للقياس⁴، فضيَّق العمل به واعتنى أكثر بتصحيح الأحاديث وأسانيدھا لاعتماده عليها في إصدار الأحكام الفقهية، لذلك تقرب منه رجال الحديث ولازموه كأحمد بن حنبل⁵.

ب) المذهب الشافعي في بلاد المغرب:

مايدُّلُّ على انتشاره في إفريقية هو تصدِّي سعيد بن محمد بن الحداد-وكان من أصحاب سحنون- للردِّ علميًا على الشافعية من خلال رسالة وجهها للمزني⁶، وهو من أهم فقهاء هذا المذهب، وأثر بشكل كبير في أحد أهم فقهاء القيروان وهو أبو عبد الله محمد بن علي البجلي، الذي حضر مجالسه، ودرس الفقه على يد محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، وكان مُرشِّحًا لمنصب القضاء من طرف إبراهيم بن الأغلب رغم كونه شافعيًا، وللبجلي كتاب "الحجة في الشاهد واليمين" في الفقه من أربعة أجزاء⁷، ورفض البجلي للقضاء كان من أهم أسباب عدم انتشار المذهب الشافعي في إفريقية، فالقضاء يتيح الإمكانات لنشر مذهب معين وهذا ما حدث للمذهبيين الحنفي والمالكي⁸.

من الشافعية أبو القاسم بن مسرور الأبرزاري المعروف بإبن المشاط (ت249هـ/863م)، والذي غيّر مذهبه إلى فقه داوود الظاهري⁹، وابن البرذون عبد الملك بن محمد الضبي، والذي كان أيضًا واحدًا من علماء لكلام، حريصًا على الحفاظ على مذهبه الفقهي¹⁰، "يُنَاطَرُ فِيهِ مَنَازِرَةٌ حَسَنَةٌ"¹¹، وأبو العباس بن السّندي الذي مات مقتولًا تحت التعذيب أيام الفاطميين قبل 320هـ/932م¹².

¹ (محمد ابوزهرة، أصول الفقه، ص334).

² (أحمد أمين، المرجع السابق، ج2: ص225).

³ (محمد ابوزهرة، أصول الفقه، ص273).

⁴ (نفسه، ص282).

⁵ (أحمد أمين، المرجع السابق، ج2: ص225).

⁶ (المزني: هو أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن إسحاق المزني، توفي بمصر سنة 264هـ/877م، من أهم شخصيات المذهب الشافعي، كان من أهل المناظرة والحجة والجدال، قال عنه الشافعي: المزني ناصر مذهبي، وترك مُصَنَّفَات كثيرة، منها: الجامع الكبير، الجامع الصغير، المنشور، المسائل المعتمدة، الترغيب في العلم، والوثائق. أنظر: الشيرازي، المصدر السابق، ص97).

⁷ (الخشني، المصدر السابق، ص278-279).

⁸ (الهنثاني، المرجع السابق، ص111).

⁹ (القاضي عياض، تراجم أغلبية، ص415-416).

¹⁰ (الخشني، المصدر السابق، ص284).

¹¹ (القاضي عياض، تراجم أغلبية، ص394).

¹² (الخشني، المصدر السابق، ص283).

من فقهاء القيروان من كان مُتَعَصِّبًا للمذهب المالكي ثُمَّ تركه بعدها إلى نظيره الشافعي، كإسحاق بن إبراهيم بن النعمان (ت315هـ/927م)¹، الذي بلغ به تعصبه لمالك أنّه جادل في الحجاز فقيهاً من أهل العراق حاججه حول مسألة فقهية بجديث يُخالف صراحة رأي المالكية، فخالفه بدعوى أنّ الإمام مالك أفتى فيها بخلاف ذلك، على الرغم من كونه من أهل الحديث².

الظاهر أنّ نشأة المذهب الشافعي المتأخرة لم تسمح بانتشاره في بلاد المغرب، ويذكر المقدسي³ أنّ فقهاء المالكية في المغرب كابروا في الإعراف بعلم الشافعي وكانوا يكرهونه بدعوى أنّه تنكّر لعلم أستاذه مالك، ولم يعترفوا إلا بالمذهب الحنفي في المشرق، والمالكي من مصر إلى الأندلس.

نرى أنّ الشافعية تعرّضوا لنوع من الإضطهاد وسوء المعاملة من طرف المالكية نظراً لقلّة عددهم، ومن دلائل ذلك حادثة ابن العباداني، وهو فقيه شافعي دأب على حضور دروس محمد بن سحنون للاستفادة من معارفه الكثيرة في مختلف العلوم، ويبدو أنّه انتقد في إحدى المرات الإمام مالك، فتعرّض للضرب من فقيه مالكي متعصب من تلاميذ سحنون هو شيبه بن زنون من دون أن يعترض على ذلك أحد من الحضور، ولم تُفلح شكوى الفقيه الشافعي للقاضي ابن طالب في القصاص من ابن زنون نظراً لنفوذ محمد بن سحنون، فغادر إلى المشرق⁴، لأنّ القاضي ابن طالب كان مالكيًا مُتَعَصِّبًا وألّف كتابًا في الرد على الشافعية⁵، وهو ذات الأمر الذي قام به محمد بن سحنون إذ ألّف كتابًا بعنوان "الرد على الشافعي"⁶، وقام بنفس الأمر فقيه مالكي آخر هو يحيى بن عمر الكناني⁷، وهذا يعني أنّ دخول المذهب الشافعي لبلاد المغرب ساهم في تنشيط الحركة الفكرية في إفريقية خلال النصف الثاني من القرن الثالث الهجري لاسيما وأنّ الشافعية عرف عنهم حبّ الجدل والمناظرة، وهو مادفع المالكية إلى تطوير آرائهم الفقهية والاجتهاد في إطارهم المذهبي⁸.

¹ (القاضي عياض، تراجم أغلبية، ص327).

² (الحشني، المصدر السابق، ص281-282).

³ (انظر: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ليدن، الطبعة الثانية، 1909م، ص236).

⁴ (القاضي عياض، تراجم أغلبية، ص331).

⁵ (نفسه، ص209).

⁶ (نفسه، ص173).

⁷ (الدباغ، المصدر السابق، ج2: ص243).

⁸ (الهناتاني، المرجع السابق، ص111).

5) المذاهب السُّنِّيَّة المُنْدَثِرَة وانتشارها في بلاد المغرب:

لأثعدُ المذاهب الفقهيَّة آراء خارجة عن صريح الكتاب والسُّنَّة، إذ أنَّ هدف أئمة المذاهب كان البحث عن الصَّواب بأساليبه ومناهجه الإجتهدية، فتعددت المدارس الفقهيَّة وعُدَّت ظاهرة صحيَّة في العلم الشرعي، ومنها من إندثر، وقلة قليلة بقيت إلى الآن لعوامل مُتعدِّدة¹، واعتبر بعض الفقهاء اختلاف الآراء الفقهيَّة نوعًا من التَّوسعة في مسائل الفروع لأنَّ الصَّحابة إختلفوا في مسائل لانصَّ فيها، فاختلاف هذه الأئمة "رحمة لها، وكان اختلاف الأمم السابقة عذاب وهلاك"².

أ) المذهب الظَّاهري:

أسس هذا المذهب أبو سليمان داود بن علي الأصفهاني (ت 270هـ/883م)، وكان في الأصل شافعيًّا مُتعصبًا، وألَّف فيه الكتب التي تدافع عن منهجه في الأصول، ثُمَّ عدل عن هذا المذهب، ورأى أنَّ الرأْي والقياس يؤدِّي إلى الخطأ في الأحكام وأثبت ذلك بمسائل كثيرة، ورأى أنَّ أساس التشريع اللجوء إلى النصوص في كافَّة الأحوال³، فدعا في ذلك إلى الإقتصار على ظاهر الكتاب والسُّنَّة، وترك الأخذ بالقياس والرأْي، من أشهر مؤلَّفاته: مئة وثلاثون كتابًا في مسائل فقهيَّة متنوِّعة، وكتاب الأصول، وكتاب الإجماع، وكتاب إبطال القياس، وكتاب إبطال التَّقليد، وله كذلك كتب حول الفتاوى التي وردت إليه من الأمصار مثل: المسائل البصريَّة، والمسائل الخوارزميَّة، والمسائل الأصفهانيَّة، نشر محمَّد بن داود المذهب الظَّاهري بعد وفاة أبيه، وألَّف كتبًا في الفقه، إضافة إلى تلميذي والده أبو إسحاق إبراهيم بن جابر، وابن المغلِّس⁴.

إذا تأملنا أسس المذهب الظَّاهري وجدنا كثيرًا منها تختلف عن أصول المذهبين المالكي والحنفي، وهو أمر يؤدِّي بلاشك إلى الصِّدام إذا كان الوسط الفكري مليئًا بالتَّعصُّب، فالظَّاهريَّة ينفون الرأْي والإستحسان، والمصالح المرسلَة، وعمل أهل المدينة، ويطلبون التَّقليد، والقول بالدليل⁵، ففهم النصوص حرفيًّا هو الأصل، والعمل بظاهرها وأمر والتَّواهي واجب على الفور، إلَّا إذا عارضه نصٌّ آخر بالتَّخصيص، فإخضاع النص للرأْي غلوٌّ في هذا الأخير، ولا يكون إلَّا إذا خفي المعنى ولكن بشروط صارمة⁶.

¹ عبد القادر بوعقادة، المذاهب الفقهيَّة المُنْدَثِرَة وأثرها في التشريع خلال القرنين الثَّاني والثَّالث الهجريين (الثَّامن والتَّاسع الميلاديَّين)، رسالة مقدَّمة لنيل شهادة الماجستير، إشراف الدكتور موسى لقبال، ص 36.

² جلال الدِّين عبد الرحمن السيوطي، إختلاف المذاهب، تحقيق وتعليق: عبد القيوم بن محمد شفيع البستوي، دار الإعتماد، القاهرة، 1989م، ص 25.

³ أحمد أمين، المرجع السابق، ج 2، ص 236.

⁴ ابن التَّدعيم، المصدر السابق، ص 271-272.

⁵ نور الدِّين الخادمي، الدليل عند الظَّاهريَّة، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت، 2000م، ص 33.

⁶ أحمد بكير محمود، المدرسة الظَّاهريَّة بالشرق والمغرب، الطبعة الأولى، دار قتيبة، بيروت-دمشق، 1990م، ص 21.

كان ابن خيرون الأندلسي الفرضي (ت301هـ/913م) أول من أدخل كتب داوود الظاهري¹ إلى إفريقية، وكان قد رحل في طلب العلم إلى العراق، وأخذ الحديث عن علي المدني، وأسس بالقيروان مسجدًا للصلاة والتدريس². غير أنّ هذا المذهب لم ينتشر في إفريقية كما انتشر في الأندلس ابتداءً من أواخر القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، فحظي باهتمام عدد من الفقهاء، ولكنّه اصطدم بقوة المذهب المالكي ودعم الخلفاء الأمويين له³.

ب) مذهب الأوزاعي:

مؤسس هذا المذهب هو فقيه أهل الشام عبد الرحمن بن عمرو بن يحمّد الأوزاعي (88-157هـ/707-774م) ولد في بعلبك، وعاش في بيروت، ونشأ في بيئة تسامح ديني، ويُعدّ من تابعي التابعين⁴، واختلف المؤرخون وأصحاب الطبقات في منهجه هل هو من أهل الحديث أم من أهل الرأي، ويُرحّحون أنّ يجمع بينهما بالطرق الآتية: الأخذ بأحكام صريح الكتاب والسنة أولاً، وثانيًا الأخذ بإجماع الصحابة والتابعين. من الذين أخذوا العلم عن الأوزاعي عمر بن الحكم اللّحمي، وكان قد أخذ عن الإمام مالك أيضًا⁵، ورياح بن يزيد اللّحمي (ت172هـ/788م) الذي سمع كذلك من سفيان الثوري.

ج) المذاهب الأخرى:

من تلاميذ سفيان الثوري في إفريقية علي بن زياد التّونسي الذي كان أول من أدخل جامع سفيان الثوري إلى القيروان⁶، وأبو الخطّاب محمّد بن عبد الأعلى الكندي⁷، وحفص بن عمار⁸، وأبو يزيد بن أبي كريمة مولى الأنصار⁹. من الذين أخذوا عن اللّيث بن سعد: عبد الله بن زرارّة (ت283هـ/896م)، وكان ممّن سمع من حماد الزّاوي¹⁰. وعن مذهب ابن أبي ذئب: أبو الحجاج الأزدي (ت237هـ/851م)، وكان من تلاميذ الإمام

¹ اعتبر ابن رشد الجد في فتاويه حول اعتناق المذهب الظاهري من قبل بعض الأندلسيين في القرن 5هـ/11م، أنّ أصحاب هذا المذهب مبتدعة لأنهم يبنون مذهبهم على خلاف صريح القرآن، وإجماع الصحابة، وأنه لا تجوز شهادتهم لأنهم غير عدول، وهذا المذهب بلغ ذروته في الأندلس من خلال كتب الفقه التي ألفها ابن حزم القرطبي وطبق فيها أصوله في استخراج الأحكام، أنظر: كمال السيّد، دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1997م، ص25.

² الديّاغ، المصدر السابق، ج2: ص288-289.

³ أحمد بكير محمود، المرجع السابق، ص33.

⁴ عبد القادر بوعقادة، المرجع السابق، ص84-85.

⁵ المالكي، المصدر السابق، ج2: ص247.

⁶ القاضي عياض، تراجم أغلبية، ص22.

⁷ المالكي، المصدر السابق، ج2: ص251.

⁸ أبو العرب، المصدر السابق، ص62.

⁹ المالكي، المصدر السابق، ج2: ص323.

¹⁰ نفسه، ج2: ص282.

مالك¹، وابن أبي حسان اليحصبي². وعن مذهب سفيان بن عُيينة في إفريقية: علي بن يونس الليثي وهو ممن سمع من مالك في المدينة، ولكنه أعجب باطلاع ابن عُيينة على أحاديث لم يعرفها مالك من قبل³.

¹ المالكي، المصدر السابق، ج 2: ص 283.

² نفسه، ج 2: ص 284.

³ نفسه، ج 2: ص 292-294.

ثالثاً: الحركة الفقهية عند الرستميين:

1) المذهب الإباضي ودخوله بلاد المغرب:

أ) التعريف به:

الإباضية فرقة إسلامية ترى في عبد الله بن إباح إماماً لها، وتعتقد أنّ مخالفهم من بقية المسلمين هم غير مشركين وغير مؤمنين¹، ولكنهم كفّار كفر نعمة، فتجوز شهادتهم، والزواج والتوارث منهم²، وقالوا باستحلال جزء من أموال مخالفهم في الحرب وهما الخيل والسلاح³، وأنّ مساكن مخالفهم دار إسلام إلّا معسكر السلطان فهو دار حرب⁴، وأوجبوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القوة والضعف⁵.

الإباضية بخلاف الفرق الخارجية الأخرى توسّعت في أصولها الاعتقادية، والفتاوى الفقهية، وأصبحت تميل للإعتدال، وتأثرت جزئياً بمدرسة المعتزلة في الأصول كالقول بخلق القرآن، وأنّ الله لا يرى في الجنة، ولا يغفر الكبائر، ومن ناحية الفقه لهم كتب خاصة تختلف قليلاً عن المذاهب السنية الفقهية⁶، ويرى بعض العلماء المعاصرين⁷ أنّ الإباضية ليسوا من الخوارج لأنّ هؤلاء يستحلّون دماء مخالفهم، وسي ذراريهم ونسائهم، وغنيمة أموالهم، ومن يرى غير ذلك لا يعتبر منهم خاصة الأزارقة، والنجادات، والصفريّة، والذين تشدّد علماء الإباضية الأوائل في الإنكار عليهم في مسألة تكفير الموحدين العصاة، ومساواتهم ببقية المشركين.

ما عُرف عن عبد الله بن إباح المري التميمي الذي توفي خلال فترة حكم عبد الملك بن مروان الأموي (ت 86هـ/705م) أنّه كان من علماء التابعين في الحديث والتفسير والفقه، واشتهر بموقفه الرافض لخلافة بني أمية وعبد الله بن الزبير⁸.

ب) نشأة المذهب الإباضي:

يُمكن الرّبط بين نشأة الإباضية والخوارج، فهي نشأت عن أصولهم العقائدية في أوّل الأمر ثمّ تفرّعت عنهم لمسائل خلافتية، فالبدور الأولى للإباضية تعود إلى مبايعة عبد الله بن وهب الراسي من قبل عدد من الصحابة والتابعين وفيهم أهل بدر المشهود لهم بالجنة كحرقوص بن زهير السعدي، وفروة بن نوفل، وسارية بن جهم بعد أن أنكروا التحكيم على الإمام علي (رضي) في شوال 37هـ/657م⁹، فالخوارج كانوا تحت قيّادة واحدة في حربهم

¹ (البغدادى، الفرق بين الفرق، دراسة وتحقيق: محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا، القاهرة، د.ت، ص 95).

² (ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمان عميرة، دار الجيل، بيروت، د.ت، ج 3: ص 273).

³ (البغدادى، المصدر السابق، ص 95).

⁴ (نفسه، ص 97).

⁵ (أحمد أمين، المرجع السابق، ج 3: ص 331).

⁶ (نفسه، ج 3: ص 331-332).

⁷ (ناصر بن سليمان السباعي، الخوارج والحقيقة الغائبة، الطبعة الأولى، 1999م، ص 177-180).

⁸ (ناصر العقل، الخوارج أوّل الفرق في تاريخ الإسلام، مناهجهم وأصولهم وسماتهم، قديماً وحديثاً وموقف السلف منهم، الطبعة الأولى، دار إشبيلية للنشر والتوزيع، الرياض، 1998م، ص 59-60).

⁹ (بكير بن سعيد أعوش، دراسات إسلامية في الأصول الإباضية، الطبعة الثالثة، مكتبة وهبة، القاهرة، 1988م، ص 14).

ضدّ عبد الله بن الزبير، ولما خسروا معاركهم، رأى زعيمهم نافع بن الأزرق أنّ مخالفهم كفّار مشركون كعرب الجاهليّة، ولا يُقبل منهم إلّا الإسلام أو القتل ولا تحل ذبائحهم، ولا التّزواج منهم، ولا موارثتهم، ولا الإقامة بينهم، وخالفه في ذلك ابن الصّفار وانفصل عنه فسُمّي أتباعه الصُّفريّة، ثمّ انفصل عنه ابن إباح الذي رأى أنّ مخالفهم كفّار نعمة لا تحلّ إلّا دمائهم، مع بقاء الرّكيزة الأساسيّة لمخالفة أهل السّنة وهي "البراءة" منهم¹.

يذكر مؤرّخو الإباضيّة كالدرجيني² أنّ مذهبهم تبلور في النّصف الثّاني من القرن الأوّل الهجري على يد عدد من التّابعين أبرزهم جابر بن زيد الأزدي، وهم بالتّالي أقدم مذهب إسلامي، فاجتهادات جابر الفقهيّة عُدتّ عند الإباضيّة المنطلق الأساسي لمذهبهم، لارتباط جابر - نظريّاً - بعبد الله بن عبّاس، وحصوله على تركيّة منه، وأخذه العلم الشرعي من علماء البصرة والمدينة³.

كانت البصرة المركز الرّئيس لنشأة الفكر الإباضي، وهي قاعدته الأولى، بعد أن لجأ إليها سيّراً أبو بلال مرداس بن أدية التّميمي لنشر مذهب "أهل الدّعوة" مثلما سمّاه، وأخذ يعقد الحلقات والمناظرات الفكريّة فأعجب جابر بن زيد بآراء أبو بلال وانضمّ إلى أنصاره⁴، وانتشرت بعدها في عُمان على يد الشّاعر عمران بن حطّان بعد خروجه من سجن الأمويّين سنة 75هـ/694م⁵، وبثّ أتباع الإباضيّة أفكاره بإشارة من خليفة جابر في علمه وفي رئاسة الإباضيّة؛ أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة المتوفّي خلال حكم أبي جعفر المنصور العبّاسي والذي أرسل طلبه العلم إلى بقاع مختلفة منها بلاد المغرب⁶، وعمل على تطوير العمل السري للدّعوة الإباضيّة في البصرة، ومنع زواج معتنقي المذهب من غيرهم إحتياطاً من اكتشاف أمر الدّعاة والقضاء عليه⁷.

رغم إنكار البعض علاقة جابر بن زيد بالمذهب الإباضي واعتباره محض إدّعاء، فإنّ آخرين يرون أنّه لا مانع أن يكون جابر إباضياً ومن أهل الحديث؛ أي مرجعيّة في الفقه السنيّ في نفس الوقت لاستعماله التّقيّة الدّينيّة، فلم يعمل على الخروج والهجرة مثل مُتطرّفي الخوارج، بل كان ينشر آرائه وفتاويه ويُجاهر بها في مجالس العلم بالبصرة، بل وأقام علاقة وديّة مع الحجاج بن يوسف - عدوّ الخوارج الأكبر - وأخذ أحياناً منه العطاء، وكان في نفس الوقت

¹ ناصر العقل، المرجع السابق، ص 62.

² أنظر : طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق: إبراهيم طلاي، الجزء الأوّل، نسخة إلكترونيّة مصوّرة، ص 4.

³ بكير بن سعيد أعوش، المرجع السابق، ص 15-16.

⁴ عوض خليفات، الأصول التاريخيّة للفكر الإباضي، الطبعة الثالثة، منشورات وزارة الثقافة والتراث القومي، سلطنة عُمان، 1994م، ص 5.

⁵ ناصر العقل، المرجع السابق، ص 62.

⁶ بكير بن سعيد أعوش، المرجع السابق، ص 16-17.

⁷ سيف بن أحمد البوسعيدي، حملة العلم إلى المغرب ودورهم في الدّعوة الإسلاميّة، دائرة الوعظ والبحوث الإسلاميّة، سلطنة عمان، د.ت، ص 12.

يُرسل الدُّعاة إلى الأمصار إلى وفاته سنة 93هـ/711م¹، وهذه المرحلة هي مرحلة الكتمان، وكان فيها إلى جانب جابر علماء آخرين من أهل عُمان خاصّة كصحار العبدى، وجعفر بن السمّك، وضمّام بن السائب العبدى².

ج) المذهب الإباضي في بلاد المغرب حتّى 160هـ/776م:

إنّ إنتشار المذهب الإباضي في بلاد المغرب الإسلامي يُحدّده علماء الإباضية بالتّصف الأوّل من القرن الثّاني الهجري على يد دُعاة من العرب والبربر من تلاميذ أبي عبيدة كالزّبيح بن حبيب، ووائل بن أيّوب الحضرمي، وأبو الخطّاب عبد الأعلى بن السّمح المعافري، وعبد الرحمان بن رستم، وأبو حاتم المزوزي³، والذين كانوا يُنتقون وفق شروط صارمة من طرف رجال مهرة من مختلف الأمصار، ثمّ يتلقّون العلم، وأصول الدّعوة وتخطيطاتها وتعليماتها في مجالس إعداد الدّعاة في البصرة، وهي عبارة عن سراديب سرّية⁴، ولقد أوصى أبوعبيدة تلاميذه بإظهار أمر الدّعوة متى أنسوا من أنفسهم قوّة ورأى في أبي الخطّاب مؤهّلات الرّعاية⁵.

كان أوّل من دخل القيروان من دعاة المذهب الإباضي سلمة بن سعيد⁶، وهو حضرمي من صفوة الدّعاة كان ينشط في اليمن⁷، ثمّ ارتحل إلى القيروان مع عكرمة مولى ابن عبّاس وهو من دعاة الصّفرية، وبلغ من تحمّس سلمة لنشر مذهبه ما زوّي عنه من قول: "وددّث أن لو ظهر هذا الأمر يومًا واحدًا من أوّل النّهار إلى آخره؛ فلا آسف على الحياة بعده"⁸.

ان الفشل الذي أطاح بالخوارج في المشرق وانكسارهم أمام السّلطة الأمويّة، أدّى إلى تراجع نشاطهم بشكل ملحوظ، واختفاء الفرق الصّداميّة كالأزارقة، والتّجندات، ومحافظة الفرقتين الأقلّ عُنفًا على الجوانب الاعتقاديّة، والدّخول في السّريّة والثّقيّة، وبثّ الدّعاة نحو الأطراف النّائية حيث تضعف السّلطة المركزيّة مقارنة بالمشرق، واستهداف تكوين الدّعامة الكافيّة من الأنصار من أجل الخروج والثّورة⁹، وتصدّى للقيّام بهذه المهمّة في بلاد المغرب ما اصطلاح عليه علماء الإباضية بالنّفرة الخمسة الحمّلة للعلم: عبد الرحمن بن رستم الفارسي، وعاصم السّندراقي، وأبي دؤاد القبلي، وإسماعيل بن دّرّار الغدامسي¹⁰، وكان على رأسهم أبو الخطّاب عبد الأعلى بن السّمح

¹ عبد الله شحاتة، الإمام جابر بن زيد، ومواقفه الفقهيّة، دار غريب، القاهرة، 2000م، ص 17-19.

² سيف البوسعيدى، المرجع السابق، ص 10.

³ الدرجيني، المصدر السابق، ج 1: ص 4-5.

⁴ سيف البوسعيدى، المرجع السابق، ص 18.

⁵ الدرجيني، المصدر السابق، ج 1: ص 11.

⁶ نفسه، ج 1: ص 7.

⁷ سيف البوسعيدى، المرجع السابق، ص 19.

⁸ الدرجيني، المصدر السابق، ج 1: ص 7.

⁹ محمود إسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب حتّى منتصف القرن الرابع الهجري، الطبعة الثانية، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1985م، ص 42-43.

¹⁰ سيف البوسعيدى، المرجع السابق، ص 19.

المعافري، والذي أصبح إمام الإباضية في المغرب، وأعلن الخروج على والي العباسيين في طرابلس سنة 140هـ/757م¹.

انتشر الثوار الإباضيون في إفريقية وسيطروا عليها سنة 141هـ/758م، واحتلوا القيروان واتخذوها دار إمامة، وعين أبو الخطاب عبد الرحمن بن رستم نائبا له عليها²، ثم حاربوا والي العباسيين محمد بن الأشعث الخزاعي، والذي مال بث أن هزم أبي الخطاب وقتله في 144هـ/761م، فتفرق شمل الإباضية³، ومنهم ابن رستم الذي كان في تهودة وباغته جيش العباسيين، وقتل من أتباعه ثلاثة آلاف⁴.

فر عبد الرحمن بن رستم وابنه عبد الوهاب إلى جبل بمنطقة تاهرت، ولحق بهم ستون إباضيا من أنصاره⁵، أين تم اختياره لخلافة أبي الخطاب في منصب الإمامة الكبرى، وبناء مدينة جديدة تكون معقلا لهم⁶، ويرى محمود إسماعيل⁷ أن ابن رستم بويح مرتين بعد مقتل أبي الخطاب؛ الأولى بعد نزوله مع أنصاره على إباضية المغرب الأوسط، وفيها كانت مبايعته كإمام دفاع لمقاومة جيوش ابن الأشعث، والثانية كانت مبايعة لإمامة الظهور وكانت سنة 161هـ/778م، بعد إنشاء تاهرت وتحصينها، ونزوح كثير من إباضية طرابلس بعد مقتل زعيمهم أبي حاتم الملزوي⁸، ولم ينتشر المذهب الإباضي بشكل كبير في المغرب الأقصى بل تواجد معتنقوه في المنطقة الممتدة من برقة شرقا إلى تلمسان غربا، أي إفريقية والمغرب الأوسط⁹.

¹ أبو زكريا يحيى بن أبي بكر الوارجلاني، سير الأئمة وأخبارهم المعروف بتاريخ أبي زكرياء، تحقيق: إسماعيل العربي، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، 1982، ص 56-59.

² الدرجيني، المصدر السابق، ج 1: ص 16.

³ ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1: ص 71-72.

⁴ نفسه، ج 1: ص 76.

⁵ الدرجيني، المصدر السابق، ج 1: ص 19-20.

⁶ ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق وتعليق: محمد ناصر وإبراهيم بخاز، المطبوعات الجميلة، الجزائر، 1986م، ص 25-27.

⁷ انظر: لخارج في بلاد المغرب، ص 150.

⁸ تولى أبو حاتم يعقوب بن لبيب الملزوي الهواري في رجب 154هـ/770م إمارة الدفاع في طرابلس، بعدما رأى من في إقليمها من قبائل البربر الإباضية أن حاميتها العباسية ضعيفة لا تتجاوز خمسمائة فارس، فاقتحموا المدينة ثم زحفوا إلى القيروان، وحاصروها، ودخلوها، وطردها أكثر أهلها إلى الزاب، ثم اشتبك الإباضيون في معركة "مغمساس" مع قوات التجارة القادمة من المشرق، وقتلوا منهم ستة عشر ألف، ومعهم والي إفريقية عمرو بن حفص، قبل أن يقضي عليه والي الجديد يزيد بن حاتم المهلبي بعدما قدم معه أغلب جيش العراق، وخراسان، والشام، واستولى على طرابلس، ودخل القيروان في 20 جمادى الآخرة 155هـ/771م، ويقول ابن عذاري أن أبو حاتم تولى الإمامة في 150هـ/767م. انظر: الدرجيني، المصدر السابق، ج 1: ص 19-22، وابن عذاري، المصدر السابق، ج 1: ص 76-79.

⁹ سيف البوسعيد، المرجع السابق، ص 20.

2) المذهب الإباضي في ظل الدولة الرستمية:

تعتبر فترة حكم الرستميين مرحلة البداية الحقيقية للإجتهد الفقهي في بلاد المغرب، بسبب التنافس بين المذاهب المتواجدة فيه آنذاك، من حنفيّة، ومالكيّة، وصُفريّة، وإباضيّة، ومعتزلة، وشيعيّة، فقد بدأ الفقه الإباضي في التبلور من خلال تدوين الآراء الفقهيّة وهيّ العمليّة التي بدأها الأئمّة الرستميون¹. وإذا نظرنا إلى طبيعة الدولة الرستميّة، فهيّ دولة قائمة على أساس الجمع بين وظيفة دنيويّة ودينيّة لرئيسها، وهو الإمام، وبالتالي كان جميع الأئمّة الرستميين من الفقهاء المجتهدين، ومن العلماء الموسوعيين².

بملاحظة أُسس هذه الدولة وجدناها تقوم على مذهب فقهي ذو مرجعيّة مشرقيّة، فكان من الضروريّ الإستمرار في تلقيّ جديد الكتب والتصانيف من مراكز الإباضيّة في المشرق، واستقبال علمائها من أجل التدريس والإفتاء، وإرسال البعثات العلميّة إلى مصر، والعراق، والحجاز³، ومشاورة علمائها من الإباضيّة في ما اختلف فيه نظرائهم في المغرب⁴.

كان الفقه أبرز العلوم التي نالت عناية واهتمام الإباضيّة في تاهرت، فقد كان عبد الرحمن بن رستم فقيهاً "من فحول العلماء الراسخين"⁵، ولم يكن يُصرّف شؤون الحكم إلّا بمشاورة جماعة من أهل العلم والدين، من بينهم مسعود الأندلسي الذي كان مُرشحاً بارزاً لخلافته، وكان "رجلاً فاضلاً، فقيهاً ورعاً"⁶، وعلماء مجلس الشورى الستّة الآخرين وكان من بينهم: عبد الوهّاب بن عبد الرحمن، ويزيد بن فندين⁷، ومروان الأندلسي، وشكر بن صالح الكتامي، وأبوالموفق سعدوس بن عطية⁸.

رغم المستوى العلمي الذي بلغه عبد الوهّاب فقد اتّهمه معارضوه بالجهل، وهذا ما يظهر المستوى العالي للعلوم الفقهيّة في تلك الفترة⁹، فقد اتّهمه ابن فندين بأنّه لا يستشير أهل العلم، وفيهم من هو أغزر منه علماً، وأكثر فهماً، وإدراكاً¹⁰، وكان ذلك سبباً في ظهور النكاريّة الذين أنكروا إمامة عبد الوهّاب، وناقشوا مسألة الإمامة، وشروطها، وشقّوا عصا الطاعة بزعامة ابن فندين، ورغم فشل ثورتهم، ومقتل زعيمهم بقيت آرائهم الفقهيّة حتّى فترة متأخّرة بدون فعاليّة سياسيّة¹¹، وذلك رغم الدّرجة العلميّة الرفيعة التي بلغها الإمام آنذاك، فقد ذكر

¹ إبراهيم بخاز، الدولة الرستميّة: دراسة في الأوضاع الاقتصاديّة والحياة الفكرية، الطبعة الثّانية، منشورات جمعيّة التراث، القرارة، 1993م، ص311.

² (الدرجيني، المصدر السابق، ج 1: ص31.

³ محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص293.

⁴ (الباروني، الأزهار الرّياضيّة في أئمّة وملوك الإباضيّة، نسخة إلكترونيّة مصوّرة من موقع الإستقامة، ص52.

⁵ نفسه، ص48.

⁶ (أبو زكريا، المصدر السابق، ص84-85.

⁷ (الباروني، المرجع السابق، ص49.

⁸ (الدرجيني، المصدر السابق، ج 1: ص25.

⁹ إبراهيم بخاز، الدولة الرستميّة، ص312.

¹⁰ (الباروني، المرجع السابق، ص49.

¹¹ (إبراهيم بخاز، الدولة الرستميّة، ص314-315.

صاحب السَّيَر¹؛ أنه أرسل ألف دينار ثمن كتب يُرسلها إليه علماء الإباضية في البصرة، فأرسلوا إليه حمل أربعين جمل من الكتب، ولما قرأها في تاهرت لم يجد منها جديدًا عليه إلاّ مسألتين، قال فيهما: "لو سُئِلْتُ عنهما لأجبت قِيَّاسًا على نظائرها ووافقْتُ الصَّواب"².

من فقهاء الدَّولة الرستميَّة؛ حَمَلَة العلم الخمسة: أبو منيف إسماعيل بن دَرَّار الغدامسي³، وأبودؤاد القبلي النَّفْزِي، وأبو مرداس مهاصر السدراقي، وعبد الخالق الفَرَّاني، وأبي ميمون الجيطالي⁴، وأبوسفيان، وأبان بن وسيم، وسعد بن أبي يوسف⁵، وأبو معروف ويدران بن جواد الشروسي، كان ذو ثقافة عالية، وفقه في مسائل المواريث والدِّيَّات، ومن تلاميذه أبو مسور إيسجا الإيهراسني الذي نقل علم وثقافة جبل نفوسة إلى جزيرة جربة⁶.

في جبل نفوسة كان يوجد على الأقل مئة عالم في مسائل الحلال والحرام؛ أي الفقه؛ طلب الإمام عبد الوهَّاب إرسالهم لمناظرة علماء الواسليَّة وإقامة الحجَّة عليهم أثناء توقُّف الحرب معهم لدحض أسباب ودوافع خروجهم عن سلطته بالعمل المسلَّح، وكان من أبرزهم: أبو الحسن الأبداني⁷، ومع ذلك كان فقه عبد الوهَّاب لا يُستغنى عنه من الإباضية، والظاهر أنَّه كان مُبَرِّزًا في مسائل معيَّنة فلا يوجد من يُقارعه علمًا فيها، مثال ذلك مسائل الصَّلَاة فقد مكث في جبل نفوسة سبع سنين يُعلِّم أهلها مسائل في الصَّلَاة لم يعرفوها من قبل⁸، ومع طول المدة لم يُكمل الإمام تعليمهم لهذه المسائل لأنَّ نوازل الصَّلَاة كثيرة ومكانتها في الشَّعائر الإسلاميَّة جدُّ هامة، وهو أمر يُظهر رغبة النفوسيين الشديدة في التَّفَقُّه في الدِّين⁹، وألَّف في ذلك كتابه المرجعي في الفقه الإباضي "مسائل نفوسة الجبل"¹⁰. من علماء الفقه عند إباضية نفوسة: أبي زكريَّاء يصلتين التوكيتي، والذي زكاه الإمام عبد الوهَّاب ليكون مستشارًا لمرشَّحه لتولِّي أمور جبل نفوسة أبي عبيدة عبد الحميد الأجانوبي¹¹، وكان هذا الفقيه بدوره شديدًا في

¹ (أبو زكريَّا، ص 99-100).

² (الدرجيني، المصدر السابق، ج 1: ص 31).

³ نفسه، ج 1: ص 38.

⁴ إبراهيم بخاز، الدَّولة الرستميَّة، ص 316-318.

⁵ (الدرجيني، المصدر السابق، ج 1: ص 5).

⁶ (محمود حسين كوردي، الحياة العلميَّة في جبل نفوسة، منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية، 2008، ص 115).

⁷ (الباروني، المرجع السابق، ص 57).

⁸ (أبو زكريَّا، المصدر السابق، ص 115-116).

⁹ (الدرجيني، المصدر السابق، ج 1: ص 36).

¹⁰ (الباروني، المرجع السابق، ص 78).

¹¹ (أبو زكريَّا، المصدر السابق، ج 1: ص 124).

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، غزير العلم، وهذا ما جلب اهتمام وإعجاب الإمام¹، فقد كان يجلس بين يديه سبعين عالماً، وله صلات بأهل جنوب الصحراء ويعرف لسانهم².

يذكر لنا أبوزكريا³ أنّ أبوعبيدة الأحنائي استشار في أمر تولّيه عمالة جبل نفوسة عجزاً معروفة بالعلم، والأدب، والورع، وهذا دليل آخر على وجود نساء فقيهاً في الدولة الرستميّة يُضافُ إلى ما ذكره في موضع آخر عن عالمة فقيهة أخرى وهي أخت القاضي عمرو بن فتح⁴، (كانت حيّة عام 283/896م)، ولم تذكر المصادر الإباضية اسمها ولا ترجمة عن حياتها، ولكنّها كانت تساعد أخاها في نسخ الكتب وتناقشه في المسائل الدنيّة والفقهية أساساً، درست على يد الشيخ سدرات أبوحزمة إبراهيم، وكانت تحضر مجالسه العلميّة وتُجادل وتُناقش فيها⁵، إضافة إلى فقيهة أخرى؛ وهي بهلولة زوجة الشيخ أبي خليل صال الدركلي من جبل نفوسة، والتي كانت تساعد في تدريس تلاميذه، وتلميذته أم يحيى تاكسليت؛ والتي أسست أوّل مدرسة خاصّة للإناث "أمسان" مع إقامة للقادّات من مناطق نائية، وأم الخطّاب الإغريمانيّة، وشكرت الزغوارية، وأم زعرور الجيطالية، وزورغ الأرجانية⁶، وغزالة السودانية⁷.

لكنّ علم إباضية المغرب لا يقارن بنظرائهم في المشرق، فأحد علمائهم ذكر في رحلته إلى المغرب أنّه لم يقتنع إلّا بثلاثة علماء: أبوزكرياء التوكيني في نفوسة، والإمام عبد الوهاب ووزيره مزور بن عمران في تاهرت⁸. وذكر الباروني⁹ عدداً من رجال الدولة الرستميّة تولّوا أعمالاً للإمام عبد الوهاب، وكانوا من أهل العلم والفقه، كمدمان المرطلي، وأيوب بن العبّاس على جبل نفوسة، وسلمة بن قطفان الزواغي على مدينة قابس، والعلامة مدرار على جبل دمر، والسمح بن أبي الخطّاب على جبل نفوسة، والعلامة متاد.

من فقهاء الإباضية في جبل نفوسة: مصلوكن المرساوي، وأبو غلبون الكزيني، ووجندول التمكنري، وأبو محمد التغرميني، وابن معبد الجناوني¹⁰، وسعيد بن أبي يونس وسيم النفوسي، ونقّاث بن نصر، وكلاهما تعلّم على يد الإمام أفلاح بن عبد الوهاب¹¹، ثمّ انبرى نقّاث للفتوى فأفتى في مسائل فقهية بما أثار سخط علماء الإباضية فاعتبروه

¹ الباروني، المرجع السابق، ص 68.

² محمود حسين كوردي، المرجع السابق، ص 116.

³ انظر: سير الأئمة وأخبارهم، ص 124.

⁴ نفسه، ص 157.

⁵ محمود حسين كوردي، المرجع السابق، ص 111.

⁶ نفسه، ص 114-115.

⁷ نفسه، ص 116.

⁸ أبوزكريا، المصدر السابق، ص 125.

⁹ انظر: الأزهار الرّياضية، ص 79.

¹⁰ محمود حسين كوردي، المرجع السابق، ص 114-115.

¹¹ أبوزكريا، المصدر السابق، ص 139.

ضالاً، كقوله أنّ الخطبة بدعة في الدين¹، إذ كان منهجه حين يُفتي للعامة إستعمال التجربة في بعض المسائل الفقهية، مثل الفتوى المتعلقة بطبخ البيض في ماءٍ نجس، حينما غلّى البيض بنفسه ورأى أنّ القشر لا يحول دون تنجّسه، فأفتى بجرمة أكله².

يروي أبو زكريّا³ أنّ نقّاث كان يتمتّع بدرجة كبيرة من الثقة بعلمه، والجرأة على المناظرة فيه إلى درجة مجادلته لعلماء وفقهاء بغداد في مجلس الخليفة، وحصوله على ديوان جابر بن زيد من خزائن دار الخلافة، وتمكّن بذكائه من جمع أنصار من إباضية قبيلة مطماطة البربرية⁴.

من فقهاء الإباضية المشهورين قاضي محمد بن أفلح بن عبد الوهّاب المعروف باسم أبي منصور عمروس بن فتح، والذي كان قاضي جبل نفوسة، وألّف كتابين؛ أحدهما في الفصول، والثاني في الفروع⁵، واستهدف تأليف موسوعة فقهية حول استخراج الأحكام من الكتاب والسنة والرأي، كلّ مسألة على ثلاثة أقوال؛ قول من كلّ مصدر، غير أنّ الموت باغته قبل إتمام عمله⁶، ولكنّه ترك عملاً فقهياً هاماً هو "مدونة أبو غانم الخراساني" والتي نسخها في شبابه وبقيت نسخته الوحيدة المتداولة بين الإباضية بعد إحراق كتب الإباضية في مكتبة تاهرت من طرف الفاطميين⁷، والقاضي محكم الهوّاري المقيم بجال الأوراس، والذي رشّحه أهل الشّورى لأفلح بن عبد الوهّاب لسعة علمه وصلاحه⁸، ومن الفقهاء أيضاً أبو منيب محمد بن يانس، وتلميذه أبو خليل⁹، وعبد العزيز الأوز، وكان بارعاً في الفتاوى، ومن الذين رحلوا إلى المشرق في طلب العلم، ولكنّه يفتقر إلى حسن التعامل مع العامة¹⁰، وعيسى بن فرناس النفوسي، وابن الصّغير الهوّاري وكانا من مستشاري الإمام أبي اليقظان¹¹، وأبو الزّبيع سليمان الهوّاري من وجهاء الإباضية في تاهرت، وعرف بمناظراته مع المالكية والحنفية في مسجد بحى الرهادنة¹²، وأبو بكر بن يوسف النفوسي، وكان مقيماً في بلاد نفزاوة¹³.

¹الدرجيني، المصدر السابق، ج 1: ص 43.

²أبو زكريّا، المصدر السابق، ص 141.

³نفسه، ص 141-144.

⁴الدرجيني، المصدر السابق، ج 1: ص 45.

⁵أبو زكريّا، المصدر السابق، ص 150.

⁶الدرجيني، المصدر السابق، ج 1: ص 47.

⁷محمود حسين الكوردي، المرجع السابق، ص 110.

⁸إبن الصّغير، المصدر السابق، ص 49-50.

⁹الباروني، المرجع السابق، ص 75.

¹⁰إبن الصّغير، المصدر السابق، ص 61 و 86.

¹¹نفسه، ص 81.

¹²نفسه، ص 102-103.

¹³أبو زكريّا، المصدر السابق، ص 159.

وبلغ أبو اليقظان من العلم أنّ أهل نفوسة كانوا يأخذون برأيه في كلّ ما تعلّق بالحلال والحرام، حتّى كادوا أن يضيفوا على أقواله وأفعاله صفة القداسة¹، ومن علماء ورجلان جنّون بن يمرّيان وكان له بها مسجد كبير أحرّقه الفاطميّون سنة 296هـ/909م².

من بين السّمات الظّاهرة على الإباضية في أيّام حكم الرستميّين؛ عنايتهم بمعرفة الحلال والحرام، وكافة أحكام الشريعة، وهذا ما كان سبباً في كثرة عدد الفقهاء وبخاصة من أهل جبل نفوسة، حيث كان عدد الفقهاء الذين قُتلوا في معركة "مانو"³ أربعمئة عالم، ولم يبق من يفتي في التّوازل بعدها إلّا أبو القاسم البغطوري⁴ (163-283هـ/776-876م)؛ والذي لم يشارك في المعركة لكبر سنّه، واستمرّ في التدريس إلى وفاته فنال من علمه الفقيه أبي هارون موسى بن يونس الجلاملي⁵، وعبد الله بن الخير⁶، الذي بلغ من علمه أن قيل فيه: "من ضيّع كتاباً كمن ضيّع خمسة عشر عالماً مثل عبد الله بن الخير"⁷. وعبد الله بن الخير أبو محمّد الوزيري من تلاميذ أبو خليل صال الدركلي المرجسي الذي كانت أقواله وآرائه تملأ الكتب الفقهيّة والدينيّة، وكان يُحرّض طلبته على طلب العلم أينما وُجد، فكان من تلاميذه أبو أبان بن وسيم الويغوري، وأبو معروف ويدران بن جواد وأبوذر أبان الويغوري الذي رخص له شيخه في التيسير للنّاس في فتاويه، وكان يمتاز بالفهم وسرعة البديهة، وأبو القاسم سدرات بن الحسن البغطوري، والشيخ سدرات بن إبراهيم، وكان له أسلوب خاص في التدريس يقوم على طرح التّساؤلات بين طلبته ومناقشتها، وكان من طلبته أخت القاضي عمرو بن فتح، وكذلك أبوذر صدوق الفرستائي من بلدة "فرسطا" (عاش خلال القرن 2هـ/8م)، وتلميذه أبي يونس أبدين الفرستائي⁸.

في قرّان برز من الإباضية عبد الحميد الفرّاني (من أهل القرن الثالث الهجري) الذي عمل على نشر المذهب في بلاد السّودان بعد استقراره بها⁹.

¹ (ابن الصّغير، المصدر السّابق، ص 85).

² (أبو زكريّا، المصدر السّابق، ص 192).

³ معركة مانو: كانت هذه المعركة في 283هـ/896م، وهزيمة نفوسة فيها كانت السبب المباشر لاختيار إمارة تاهرت، فنفوسة كانت عصبة الدولة الرستميّة، ويعود سبب المعركة إلى مراسلات خليفة بغداد للأمير إبراهيم بن أحمد لتحريضه على محاربة إباضية طرابلس، وربّما كان السبب محاولة هذا الأمير اكتساب ثقة العبّاسيين المتلاشيّة بعد أخبار سيرته السيّئة في رعيّته، وقمعه لقبائل هوّارة الإباضية في جنوب إفريقيّة، وهو السبب في انتفاضة نفوسة وقطعها للطريق بين قابس وطرابلس، وبعدها الدخول في معركة قرب قصر من قصور السّاحل يُسمّى "مانو"، ومنيت القبائل الإباضية بهزيمة فادحة، إذ قُتل في المعركة إثنا عشر ألف رجل، منهم أربعة آلاف نفوسي، وأربعمئة فقيه، وفيهم قاضي جبل نفوسة عمرو بن فتح. أنظر: أبو زكريّا، المصدر السّابق، ص 154-161، سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السّابق، ج 2، ص 387-391.

⁴ (الدرجيني، المصدر السّابق، ج 1، ص 50).

⁵ (محمود حسين كوردي، المرجع السّابق، ص 112).

⁶ (الدرجيني، المصدر السّابق، ج 1، ص 50).

⁷ (محمود حسين كوردي، المصدر السّابق، ص 113).

⁸ (نفسه، ص 108-109 و 111).

⁹ (جودت عبد الكريم، المرجع السّابق، ص 282).

3) المذاهب الفقهيّة في الدّولة الرستميّة:

تواجد العرب من كوفيّين وبصريّين في تاهرت، وكان لهم أحياء وأسواق ومساجد خاصّة بهم، وكان هناك جند من عرب إفريقيّة¹، ومن المرجّح أنّ هؤلاء الكوفيّين من أتباع المذهب الحنفي لأنّ أهل المغرب كانوا يطلقون لفظ الكوفيّين على أتباع مدرسة الرّأي، ولم يقل عددهم عن الأربعين فبنوا مسجدًا لهم، وكان منهم تجّار وعلماء كأبي مسعود وأبي دنون، ومن المحتمل أنّ هذا المذهب دخل تاهرت عن طريق التجّار الكوفيّين².

قد شارك الحنفيّة في المناظرات التي عُرفت بها تاهرت³، وقد كان لهم تأثير كبير على العامّة في تاهرت، وتحكّموا في توجيه سيااسة الإمام أبوحاتم بن أبي اليقظان (281-294هـ/894-906م) وتحدّوا عصبة الدّولة من الإباضيّة في مرّات عديدة⁴.

أمّا المالكيّة فقد دخلوا تاهرت تجّارًا، أو ماّرين من الأندلس إلى المشرق في طريق الحج، أو خلال هجرتهم إلى فاس، ويمكننا أن نعرفهم في المصادر من خلال ذكر العرب والجند القرويّين (القيروان)، والّذين شكّلوا نسبة كبيرة من سكّان عاصمة الرستميّين⁵، وكان من بينهم ابن الصّغير المؤرّخ⁶.

تواجد فقهاء المالكيّة في مناطق أخرى من الدّولة كغدامس⁷، فأبو الفضل العبّاس بن محمّد الصّوّاف الغدامسي كان من فقهاءها، وغادرها نحو المنستير في 286هـ/899م، وبقيّ فيها إلى وفاته في 309هـ/921م، وجبل نفوسة وكان من فقهاءه أهاب بن مازون النّفوسي المتوفّي قبل 320هـ/932م، والّذي شدّ الرحال إلى مصر لسماع الحديث⁸.

¹ علي رؤوف المالكي، الموارد الماليّة والأوضاع الاجتماعيّة لتاهرت كما ورد عن رسالة ابن الصّغير المالكي، العدد الثاني والثلاثون، 2014م، ص ص 205-211، ص. 217.

² جودت عبد الكريم، المرجع السّابق، ص 95.

³ نفسه، ص 97.

⁴ إبراهيم بخاز، الدّولة الرستميّة، ص 322.

⁵ جودت عبد الكريم، المرجع السّابق، ص 98.

⁶ إبراهيم بخاز، الدّولة الرستميّة، ص 321.

⁷ غدامس: مدينة في جنوب المغرب ممّا يلي السودان، أهلها بربر، ذات ماء وزروع، أنظر: ياقوت، معجم البلدان، ج 4: ص 187.

⁸ إبراهيم بخاز، الدّولة الرستميّة، ص 323-324.

رابعاً: الفقه في بقية الدُول المستقلة.

1) الفقه عند الأدارسة:

كانت بلاد المغرب منطقة نشاط ودعاية سياسية لآل البيت قبل فرار إدريس بن عبد الله العلوي إلى المغرب الأقصى، فقد دخل القيروان في بدايات الحكم العباسي دُعاة زيديون اكتسبوا أنصاراً في القيروان، والزّاب، وتلمسان، وكان من بينهم: سليمان بن عبد الله، وشقيقه إدريس، وداوود بن القاسم الجعفري¹.

يذهب البكري² إلى أنّ إسحاق بن محمد بن عبد الحميد زعيم قبيلة أوربة الذي أجاز إدريس الأكبر واستضافه سنة 172هـ/788م كان على مذهب المعتزلة، وتُشير الروايات أنّ الأخير كان على مذهب الزيدية من مُعتدلي الشيعة قبل قدومه إلى المغرب³، وكان ذلك سبباً في استقباله لسليمان بن جرير الجزري المعروف بالشّمّاخ⁴ (وكان مُتكلماً مشهوراً من دُعاة الإمامية في العراق)، والجلوس لسماع أقواله في العلم والأدب مع حاشيته من البربر قبل أن يقوم باغتياله⁵، كما أنّ المستوى الثقافي البسيط لرعايا إدريس الأوّل -وهو على قدر عالٍ من الثقافة- جعله يجد لذة في محالسة الشّمّاخ والإستمتاع بأدبه وبلاغته⁶، وهذه المجالس كانت أشبه بالندوات الثقافية، وكانت تُعقد ليستفيد البربر من علم الوافدين من المشاركة مع التّركيز على فضائل آل البيت⁷.

ترك إدريس الأكبر إبناً في بطن أمّه، سُمّي باسمه بعد ولادته سنة 177هـ/793م، فنشأ على يد راشد مولى أبيه -والذي كان قد رافقه من المشرق- وقام بتعليمه الفقه وغيره من العلوم، وعليه يُمكن اعتبار راشد أوّل فقيه في دولة الأدارسة⁸، وظهرت نتائج تكوينه لإبن سيّده؛ فظهرت شخصيّة إدريس الثّاني كرجل علم وفقه، فقد كان عارفاً بالحلال والحرام، وبأحكام القرآن، وبالسّنة، وبالعبادة أدباً ومشافهة⁹، وأمثال العرب وحكمها، وسيّر الملوك وسيّاستها، ومكائد الحروب¹⁰، ثمّ وفّد عليه خلال فترة حكمه (187-213هـ/802

¹ محمود إسماعيل عبد الزّازق، الأدارسة (172-375هـ) حقائق جديدة، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، 1991م، ص 47-48.

² أنظر: المغرب في حلى المغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت. ص 118.

³ نفسه، ص 120.

⁴ السلاوي الناصري، المرجع السّابق، ج 1: ص 69.

⁵ البكري، المغرب، ص 120.

⁶ أبو الحسن علي بن عبد الله ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس، المنصور للطباعة، فاس، 1972، ص 22.

⁷ سعدون عباس نصرالله، دولة الأدارسة في المغرب العصر الذهبي (172-263هـ/788-835م)، الطبعة الأولى، دار التّهضة العربيّة، بيروت، 1987م، ص 117.

⁸ السلاوي الناصري، المرجع السّابق، ج 1: ص 70.

⁹ محمّد علي السنوسي، الدرر السّنية في أخبار السّلالة الإدريسيّة، مطبعة الشباب، مصر، 1930م، ص 58.

¹⁰ ابن أبي زرع، المصدر السّابق، ص 25.

(828م) مجموعة من العرب من أنصار آل البيت، كان بعضهم فقهاء مثل: عامر بن محمد بن سعيد القيسي الذي كان من تلاميذ مالك بن أنس وسفيان الثوري¹، فولاه إدريس القضاء²، وكان هذا العمل من اختصاص الإمام قبل ذلك، إذ كان هو من يجلس لفضّ الخصومات بين رعاياه³، واستوزر إدريس كذلك عمير بن مصعب الأزدي من فرسان العرب وساداتها⁴، وقد أضفى هؤلاء الوزراء والقضاة والكتاب على الدولة الطابع العربي الخالص لغة وثقافة وعلومًا لمستواهم الحضاري والثقافي الرفيع⁵.

كان ممن سكن مدينة فاس بعد تأسيسها عدد من الفقهاء من القيروان لم تذكر المصادر أسمائهم⁶، ومجموعة من الفرس الذين قدموا من العراق سنة 192هـ/807م فأسكنهم بإحدى ضواحي المدينة المسماة "عين علّون"⁷. وسكن جزءًا من فاس أربعة آلاف أسرة أندلسية من الرّض الغربي لقرطبة، كان فيهم مجموعة من الفقهاء أبرزهم: يحيى بن يحيى الليثي "فقيه الأندلس" من تلاميذ الإمام مالك وراوي الموطأ عنه، ومعه طالوت الفقيه، وكانوا على خلاف مع أمير الأندلس عبد الرحمن الداخل⁸، ويحيى بن يحيى الليثي المتوفى سنة 234هـ/848م، كان وقتذاك صاحب مكانة هامة في الفقه المالكي في الأندلس باعتباره آخر من سمع من الإمام مالك، وأدخل الموطأ كاملاً بروايته إلى قرطبة⁹.

كما كان لأندلسيّ فاس دور بارز في بناء جامع الأندلسيين سنة 245هـ/859م، وذلك بدعم مالي من مريم بنت محمد بن عبد الله الفهري، وكان أول خطيب فيه الفقيه علي بن محمود الصّدي، وأصبح مركزًا هامًا لدراسة مختلف العلوم، ومنها الفقه حيث كان العامّة يقصدونه بغرض الفتوى¹⁰.

غير أنّ جامع الأندلسيين لا يُضاهي المؤسسة العلميّة الأخرى بعدوة القرويين وهي الجامع الذي حمل إسمها، ويعود تاريخ تأسيسه إلى سنة 245هـ/859م، وبنته فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهري بماله، وكان أول خطيب

¹ (السللاوي الناصري، المرجع السابق، ج1: ص70).

² (محمد علي السنوسي، المرجع السابق، ص60).

³ (سعدون عباس، المرجع السابق، ص125).

⁴ (إبن أبي زرع، المصدر السابق، ص29).

⁵ (سعدون عباس، المرجع السابق، ص131).

⁶ (علي الجزنائي، جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق: عبد الوهاب منصور، الطبعة الثانية، المطبعة الملكية، الرباط، 1991م، ص26).

⁷ (محمد علي السنوسي، المرجع السابق، ص62).

⁸ (السللاوي الناصري، المرجع السابق، ج1: ص73).

⁹ (محمد مخلوف، المرجع السابق، ص64، ومصطفى الهروس، المدرسة المالكية الأندلسية، إلى نهاية القرن الثالث الهجري: النشأة والخصائص، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1997م، ص36).

¹⁰ (الجزنائي، المصدر السابق، ص92-94).

له عبدالله بن علي الفارسي¹. ويُضاف إليهما جامعين آخرين؛ هما: جامع الشرفاء، وجامع الأشياخ وكانت تقام فيهما خطبتي الجمعة بالتناوب إلى آخر أيام الأدارسة².

إضافة إلى الصبغة المالكية لمدينة فاس وأثرها في نشر الفقه الشافعي في المغرب الأقصى، قام الأمراء الأدارسة بمجهودات لنشر الإسلام أولاً، ونشر الإسلام الشافعي الصحيح ثانياً، بدءاً بإدريس الأكبر الذي اعتمد على مُحاربين من قبائل: أوربة، زناتة، صنهاجة، وهوارة لغزو مناطق كثيرة من المغرب الأقصى لا يزال أهلها وثنيين أو نصارى أو يهود كمدينة شالة³، وتامسنا، تادلا في 172هـ/788م، وقبائل فندلاوة، مديونة، بملولة، غيثانة وبلاد فزاز في 173هـ/789م⁴، وأباد من رفض منهم دخول الإسلام، وسبى نسائهم وأطفالهم، "فعلى يديه أسلم أهل المغرب، وهو الذي أتاها بالإيمان، وقد علم أنه توفرت فيه شروط الخلافة علماً ونسباً"⁵، كما غزا ابنه إدريس الثاني في 197هـ/812م مصمودة ونفزة بعد تأسيسه لمدينة فاس⁶، وأسلم منهم على يده أعداد كبيرة⁷، ودخل في الإسلام أيضاً قبيلتين متحاربتين من البدو المقيمين بفاس قبل بنائها وهما بني الخير فرع من زواغة يدينون باليهودية، وبني إيرغش الزناتيون وهم خليط بين الوثنيين والمسيحيين، حيث قام الأمير العلوي بالصُلح بينهما⁸.

حارب الأدارسة أيضاً الخوارج الصّفرية المتمركزين في المغرب الأقصى، بداية بإدريس الثاني⁹، إذ اشتبك معهم الأمير علي بن عمر بن إدريس، وبعده الأمير يحيى بن القاسم بن إدريس في معارك كثيرة¹⁰، ومن المرجح أن هؤلاء الخوارج كانوا من بربر المغرب الأوسط¹¹، وأتّم قاموا بثوراتهم لأسباب اجتماعية فقد كانوا يعانون من التمييز بينهم وبين المواليين للأدارسة سيما منهم العناصر غير البربرية¹².

فبلاد المغرب الأقصى كانت تختلف بشكل كبير عن إفريقية من ناحية البنية الثقافية، حيث أنّ بناء مدينة فاس أوجد للثقافة العربية-الإسلامية قاعدة يتخذها الأدارسة كمنطلق لعملية إتمام نشر الإسلام وتثبيتته في المنطقة¹³. فقد كان قاضيها من تلاميذ مالك والثوري معاً، وكان مذهب الأوزاعي منتشرًا في المغرب الأقصى والأندلس

¹ (الجزنائي، المصدر السابق، ص 46).

² (سعدون عباس، المرجع السابق، ص 160).

³ (محمد علي السنوسي، المرجع السابق، ص 45).

⁴ (السللاوي الناصري، المرجع السابق، ج 1: ص 68-69).

⁵ (محمد علي السنوسي، المرجع السابق، ص 45-46).

⁶ (إبن أبي زرع، المصدر السابق، ص 50).

⁷ (محمد علي السنوسي، المرجع السابق، ص 62).

⁸ (السللاوي الناصري، المرجع السابق، ج 1: ص 72-73).

⁹ (محمد علي السنوسي، المرجع السابق، ص 59).

¹⁰ (إبن أبي زرع، المصدر السابق، ص 79).

¹¹ (سعدون عباس، المرجع السابق، ص 104).

¹² (محمود إسماعيل، الأدارسة، ص 95).

¹³ (رجب محمد عبد الحليم، دولة بني صالح في تامسنا (125-455هـ/743-1063م)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت، ص 25).

وتواجد عدد من الفقهاء الكوفيين (الأحناف) في فاس، ومن المحتمل أنّ إدريس الثاني لم يكن مقيّدًا بمذهب معين، عكس والده إدريس الأكبر، والذي كان زيدّيًا مُعتزليًا¹، ولكنّ اعتماد المذهب المالكي في القضاء لا يتعلّق بإيديولوجيّة إمام الأدارسة بقدر ما ارتبط بموقف الإمام مالك من الصّراع الزيدي-العبّاسي وتأييده لثورتهم ضدّ الحكم العبّاسي سنة 145هـ/762م²، وهوّ مالا يراه السنوسي³؛ فإدريس الأصغر-حسبه- كان على مذهب أهل السُنّة من دون الجزم باتّباعه لمذهب مُعين.

إنّ طبيعة الدّولة الإدريسيّة القائمة على أساس الحق الإلهي لآل البيت النبوي في حُكم المسلمين، وضع إدريس وأبنائه من بعده أمام وجوب القيام بأمر هذا الدّين، فحرصوا على التّواضع للبربر وتطبيق الشّرع بحذافيره، وإمامة النّاس في الجمع والأعياد، الجلوس للنّاس في المسجد الجامع للفتيا والموعظة وتعليم أحكام الإسلام ولُغته⁴. ويرى الهنتاتي⁵ أنّ الفقه المالكي تعلّب على بقيّة المذاهب في المغرب الأقصى لعاملين هما: قربه من الأندلس أوّلًا، ونتيجة لسهولة الاتّصال بين الإقليمين كان طلبة العلم من المغرب الأقصى ينتقلون بسهولة إلى الأندلس، ولعامل القرب الجغرافي أيضًا استقرّ الأندلسيّون في فاس، وبفضل مجهودات الأمويّين في تشجيع تدريس الفقه المالكي في بعض موانئ المغرب الأقصى التي احتلّوها لتأمين سواحل بلادهم، وثانيًا اتّصاله بالقيروان نتيجة هجرة القرويين إليها، فانتشرت "المدوّنة الكبرى" بين فقهاء فاس وطلبة العلم، واعتنوا بأحكامها. لهذا تأخّر ظهور الفقهاء المبرزين في المغرب الأقصى حتّى أواخر دولة الأدارسة، ومن بينهم نذكر أبي هارون العمري من أهل بصرة المغرب والمتوفّي سنة 313هـ/925م، وهوّ من عرب الفتح من نسل سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطّاب (رضي)، طلب العلم بالمدينة، والإسكندريّة، والقيروان، واستقرّ بعدها في مسقط رأسه لتفقيه أهلها مع فقيهيّن رافقاه إلى المشرق من أبناء مدينته هُما: أحمد بن حذافة، وبشار بن بركانة⁶.

يُعَدُّ الفقيه الفاسي "درّاس" المتوفّي سنة 357هـ/967م، أوّل من أدخل مدوّنة الإمام سحنون في الفقه إلى مسقط رأسه بعد عودته من رحلة طلب العلم في جامع القيروان⁷، وكان له فيها مسجد يُدرّس فيه الفقه المالكي

¹ محمود إسماعيل، الأدارسة، ص 48-49، ويشير المؤرّخ المغربي التّازي إلى أنّ الأدراسة كانوا شيعة زيدية من خلال درهم إدريسي موجود بالمكتبة الوطنيّة في باريس يحمل عبارات شيعيّة، أنظر: جودت عبد الكريم، المرجع السّابق، ص 192.

² سعدون عبّاس، المرجع السّابق، ص 126.

³ أنظر: الدرر السّنيّة، ص 62-63.

⁴ سعدون عبّاس، المرجع السّابق، ص 117.

⁵ أنظر: إسهام القيروان عبر التاريخ في بلورة التّوجّه المذهبي بالغرب الإسلامي، مقال من منشورات المعهد العالي للحضارة الإسلاميّة، جامعة الزيتونة، تونس، د. ت، ص 5.

⁶ القاضي عيّاض، ترتيب المدارك، ج 5، ص 148-149.

⁷ محمّد مخلوف، المرجع السّابق، ص 103.

بعد عودته من رحلة الحج¹، والتي عرّج فيها على الإسكندرية للدراسة على يد شيوخ المذهب²، والفقيه دّراس أخذ العلم عن شيوخ بلده فاس قبل الانتقال إلى المشرق ومن المرجّح أنّه درس في أحد جوامع فاس الكبرى³. لم يقتصر التواجد السّني في فاس على المدرسة المالكية في الفقه بل تواجد المذهب الحنفي (مذهب الكوفيين)⁴، ولكنّه انتشر بشكل محدود⁵.

إنّ بناء مدينة فاس، واتّخاذ جوامعها الكبرى مراكز لنشر الثقافة العربيّة الإسلاميّة في المغرب الأقصى أدّى إلى تحوّله بشكل تدريجي منطقة إسلاميّة الطّابع، فقرّرت دولة الأدارسة إذن مصير المغرب الأقصى الثّقافي والحضاري من بناء مدينة فاس إلى الآن⁶.

2) الفقه في دولة بني مدرار:

قامت دولة بني مدرار سنة 140هـ/757م، على أساس المذهب الصّفري الخارجي، وهيّ أوّل دولة مستقلّة في بلاد المغرب الإسلامي، وكان الصّفريّة السّباقيين إلى إنشاء دولة مثلما كانوا السّباقيين في إعلان الثّورة على الأمويّين سنة 121هـ/737م، وكانت عصبيّة الدّولة قبيلة مكناسة، واتّخذت مدينة سجلماسة النّائيّة في داخل المغرب الأقصى عاصمة لها⁷. وكان لازدهار المدينة دور هام في استقطاب جميع الخوارج الصّفريّة من كافة أنحاء المغرب، وجميع فروع قبيلة مكناسة إليها، وهذا ما أدّى إلى تقويّة مركزها السّياسي⁸.

لم تكن سجلماسة قلعة للصّفريّة لا يسكنها غيرهم بل كان عدد من أهلها إباضيّة، وفيها علمائهم، كما قصدها العلماء والأدباء من مناطق مختلفة⁹، وسكنها التجّار من الكوفة والبصرة، وبغداد، وكانت قوافلهم ببلادهم غير منقطعة¹⁰، ويذكر البكري¹¹ أنّ محمد بن الفتح آخر أئمّتها كان مالكي المذهب، وقد قام بالإستيلاء على الحكم سنة 342هـ/953م، وسمّى نفسه أمير المؤمنين الشّاكر لله، ولكنّ الفاطميّين قضوا على دولته في سجلماسة سنة 347هـ/958م.

تُسجّل لنا المصادر وجود فقهاء من المالكيّة من الذين نشأوا في سجلماسة، وبرز من بينهم أبو يحيى حمّاد بن يحيى

¹ (أبو عبد الله محمد الشّراط ابن عيشون، الروض العطر الأنفاس بأخبار الصّالحين من أهل فاس، تحقيق: زهراء النّظام، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997م، ص 53.

² (الجزنائي، المصدر السابق، ص 21.

³ (ابن عيشون، المصدر السابق، ص 53.

⁴ (القاضي عيّاض، ترتيب المدارك، ج 1: ص 65.

⁵ (جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 198.

⁶ (سعدون عباس، المرجع السابق، ص 132.

⁷ (محمود إسماعيل، الخوارج، ص 112-113.

⁸ (نفسه، ص 119.

⁹ (الباروني، المرجع السابق، ص 40.

¹⁰ (جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 219.

¹¹ (أنظر: المسالك والممالك، ج 2: ص 336.

وكان أول من أدخل كتب الفقيه المالكي عبد الملك بن الماجشون إلى إفريقية، ودرس على يد سحنون، وأخذ من علمه تلاميذ سحنون كذلك¹، وكذلك ابنه حسن الذي روى العلم عن أبيه ومات في حياته². يبدو أنّ الحماس للمذهب الصّفري ضعف لدى أهل سلجاسة بتوالي الزمن، ولاسيما بيئة المدينة المفتوحة القائمة على التجارة، والاختلاط بمذاهب وأعراق متعدّدة³، فقد كان أكثر أهلها من التجّار الوافدين عليها، وهم ليسوا من الصّفريّة؛ وما أن إنتصف القرن الرابع الهجري حتّى أصبح أهلها "أهل سنّة"⁴.

3) الفقه في إمارة نكور:

قامت إمارة نكور على أساس دعوة دينيّة سنّية من طرف العابد صالح بن منصور الحميري والذي كان يعرف بالعبد الصّالح، وظاهر اللّقب حرصه على التّقوى والتّدئين لجلب اهتمام البربر بالدين الإسلامي⁵، ويُرجّح أنّ هذه الإمارة الصّغيرة إلّزمت بالمذهب المالكي، إذ كان أحد افرادها وهو عبد الرّحمن بن سعيد بن صالح فقيهاً مالكيّاً، وحجّ أربع مرّات⁶. من المحتمل أنّه مرّ في رحلته نحو البقاع المقدّسة بالقيروان ومصر، علاوة على مكوثه في مكّة والمدينة، وهي مراكز هامّة لدراسة ونشر الفقه المالكي، وما يدلّ على سنّية إمارة نكور والتزامها بمذهب أهل المدينة الدّعم الكبير الذي وفّره لها الخليفة الأموي عبد الرّحمن النّاصري في مواجهة الغزو الفاطمي⁷. لم يكن المذهب المالكي في نكور مذهب الدّولة الرّسمي فقط بل كان أداة عمل سياسي فالبكري يقول عن الأميرين صالح الثّاني وسعيد الثّاني: "ولم يزل آل صالح على مذهب السنّة والجماعة مُتمسّكين بمذهب مالك بن أنس رضي الله عنه، وكان صالح وابنه سعيد يُصلّيان بالنّاس ويخطّبان ويحفظان القرآن"⁸.

¹ (أبوالعرب، المصدر السابق، ص 118).

² (القاضي عياض، تراجم أغلبية، ص 147).

³ (جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 218).

⁴ (المقدسي، المصدر السابق، ص 231).

⁵ (البكري، المسالك، ج 2: ص 275).

⁶ (نفسه، ج 2: ص 276).

⁷ (ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1: ص 180).

⁸ (البكري، المسالك، ج 2: ص 281).

الفصل الثاني:

تطور الدراسات في بقية العلوم النّقليّة.

أولاً: علوم القرآن.

ثانياً: علم الحديث.

ثالثاً: علم الكلام.

رابعاً: علم أصول الفقه.

خامساً: التّصوّف.

سادساً: علوم الأدب.

1) التعريف بعلم القراءات وأقسامه:

إنَّ أساس علم القراءات هوَّ اختلاف لهجات قبائل العرب في قراءة الآيات منذ عصر النبوة، فكان بعض التابعين يقرأ الآية الواحدة بخمس قراءات مختلفة، وذلك لأنَّ الحركات والتَّونين لم تظهر على حروف اللِّغة إلَّا على يد أبي الأسود الدؤلي (ت69هـ/688م) وتلميذه نصر بن عاصم (ت90هـ/708م)، وتزامن ذلك مع ظهور مدارس في القراءات نشأت بين التابعين في البصرة، والكوفة، ومكة، والمدينة، وظهر بذلك أول مُصنِّف في القراءة بعنوان "كتاب في القراءة" ليحيى بن يعمر (ت89هـ/707م) وهوَّ من تلاميذ أبي الأسود، وقد ألفه في واسط، وجمع فيه إختلافات القراءات المعروفة، وظلَّ هذا الكتاب مرجعاً أساسياً في علم القراءات حتَّى أواسط القرن الرابع الهجري، كما ظهر بالتَّزامن معه مرجع هام آخر في علم القراءات هوَّ "إختلافات مصاحف الشَّام، والحجاز، والعراق" لعبد الله بن عامر اليحصبي (ت118هـ/736م).¹

ظهرت في فترات لاحقة سبع قراءات تمثِّل كلَّ واحدة منها مدرسة ترتبط بإمام وتبني قواعدها على أحاديث الرِّسول (ص)، وعلى هذه الطرق السَّبعة تقتصر القراءة في المصحف²، ولكنَّ هذه القراءات وإن اختلفت نطق بعض الألفاظ في ما بينها إلَّا أنَّها حافظت على وحدة المعنى، وتمَّ إختيارها بناء على أمانة وعلم أصحابها، وحتَّى لا تظهر القراءات البدعية بما يُشكِّله ذلك من خطر على الثَّقة في كتاب الله³.

هذه القراءات⁴ هي: قراءة عبد الله الشَّامي (ت118هـ/736م)، وأخرى لابن كثير المكي (ت120هـ/738م)، وثالثة لعاصم الكوفي (ت127هـ/745م)، ورابعة لأبو عمرو بن العلاء البصري (ت145هـ/770م)، وخامسة لحمزة الكوفي (ت156هـ/773م)، والسادسة هي قراءة نافع المدني (ت169هـ/785م)، والأخيرة قراءة الكسائي الكوفي (ت189هـ/804م)⁵، غير أنَّه ظهر إتجاه نقدي لهذه القراءات مثله المعتزلة، وعلى رأسهم هارون بن موسى البصري (ت170هـ/180هـ أو 876هـ أو 886م)، الَّذي قام بنقد أسانيد رواة القراءات، وأظهر ضعف كثير منها⁶، فظهرت مراجعات جديدة لعلم القراءات، وأُسِّست مدارس

¹ (فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، ترجمة: محمود فهمي حجازي، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1991م، ج1: ص19-22).

² (حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج2: ص324).

³ (سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص32).

⁴ (تتمثِّل أهم الفروقات في القراءات السَّبع في: هاء الكناية، المد في فواتح السُّور، إجتماع همزتين، تخفيف الهمز، الوقف في أواخر السُّور، الإدغام والإظهار، مخارج الحروف، التَّون الساكنة، والتَّونين والغنة، أحكام الزَّاء واللام وعللهما، أنظر: أبو محمد مكي بن أبوطالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السَّبع وعللها وحججها، تحقيق: محيي الدِّين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربيَّة، دمشق، الجزء الأول، 1974م).

⁵ (فؤاد سزكين، المرجع السابق، ج1: ص30).

⁶ (حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج2: ص324).

جديدة: مدرسة أبو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي المدني (ت 130هـ/747م)، ويعقوب الحضرمي البصري (ت 205هـ/821م)، وخلف الكوفي (ت 229هـ/844م)، الحسن البصري (ت 110هـ/728م)، وابن محيصن المكي (ت 123هـ/740م)، والأعمش الكوفي (ت 148هـ/765م)، ويحيى بن مبارك الزبيدي البصري (ت 202هـ/817م)¹.

2) مفهوم علم التفسير و نشأته:

التفسير إصطلاحاً هو علم يبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية، وتفسير ما تدلُّ عليه ألفاظه لاستخراج الأحكام الشرعية².

يرى أحمد أمين³ أنّ علم التفسير بدأ بعبد الله بن عباس (رضي)، والذي كان أجراً الصحابة على الإجابة عن تساؤلات العامة حول آيات القرآن مُعتمداً في ذلك على الحديث النبوي، والشعر، ومرويات من أسلم من أهل الكتاب، ونقل تفسيره تلاميذه، وأشهرهم: عكرمة البربري (ت 105هـ/723م)، ومجاهد بن جبر (ت 103هـ/721م)، ومقاتل بن سليمان.

هذا لا يعني أنّ تفسير القرآن كان خاصاً بـابن عباس وهو: "ترجمان القرآن"⁴، اشتهر به صحابة آخرون؛ مثل: علي بن أبي طالب وكان عالماً بأسباب النزول⁵، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن مسعود⁶، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبي موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير⁷، فقد كان تفسير القرآن كالحديث متداولاً، مُتناقلاً، من الصحابة إلى التابعين⁸، ساهم في ذلك توفر عنصر الرواية عن الرسول (ص)، وشمولها للسيرة والفقه والتفسير معاً، وتطابقاً إلى حد بعيد، وعامل صغر سن هذه المجموعة من الصحابة⁹.

برز في تفسير القرآن من التابعين: عطاء بن أبي رباح، وطاووس (ت 106هـ/724م)، وسعيد بن جبيرة (ت 94هـ/712م) في مكة، وفي المدينة زيد بن أسلم¹⁰، ومحمد بن كعب القرظي¹¹، وفتادة بن دعامة

¹ فؤاد سركين، المرجع السابق، ج 1: ص 30-31.

² حسين الحاج حسن، حضارة العرب في صدر الإسلام، الطبعة الأولى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1992م، ص 321.

³ انظر: **ظهر الإسلام**، ج الجزء الثاني، الطبعة الرابعة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1966م، 2: ص 37-38.

⁴ أحمد بن محمد الأندلسي، **طبقات المفسرين**، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، الطبعة الأولى، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1997م، ص 3.

⁵ ابن خلدون، المصدر السابق، ص 486.

⁶ الأندلسي، المصدر السابق، ص 4.

⁷ حسين الحاج حسن، المرجع السابق، ص 321.

⁸ ابن خلدون، المصدر السابق، ص 486.

⁹ نولكه، **تاريخ القرآن**، ترجمة وتحقيق: جورج تامر، الطبعة الأولى، مؤسسة كونراد أديناور، بيروت، 2004م، ص 383.

¹⁰ حسين الحاج حسن، المرجع السابق، ص 323.

¹¹ الأندلسي، المصدر السابق، ص 9-10.

السدوسي (ت117هـ/735م)، والحسن البصري (ت110هـ/728م) في العراق¹.

مدرسة ابن عباس في التفسير تُسمّى التفسير بالمأثور (آثار الرسول وأصحابه)، ومن أشهر أعلامها: عبد الملك بن جريج (ت150هـ/767م) من أصول مسيحية، والسّدي (ت127هـ/744م) الذي اقتصر في تفسيره على أقوال الصحابة، ومحمد بن إسحاق؛ والذي ألف كتاباً في تفسير القرآن يعتمد فيه على آراء من أسلم من اليهود والنصارى كوهب بن منبه، وكعب الأحماس²، ولم يصل من هذه الكتب إلا ما نقله عنهم مفسرون مثل: ابن جرير الطبري (ت310هـ)³، والذي اعتمد في تفسيره على تفاسير تابعي التابعين كسفيان بن عُيينة (ت198هـ/813م)، وشعبة بن الحجاج، ووکیع بن الحزّاح (ت197هـ/812م)، وإسحاق بن راهويّة، مُرجّحاً أقوال بعضهم على بعض في حال تضاربها، وكان لهذا النوع من التفسير أخطاء منهجية من خلال نقل الآثار دون إخضاعها لمعايير عقلية، والثقة في النقل عن المفسرين الكتابيين الأصل⁴، وهم ينقلون ما جاء في كتبهم التي لم تسلم من التزييف والتحريف، وبالأخص منها قصص بدء الخليقة، والقصص القرآني، وتساهل المفسرون في ذلك باعتبارها لم تتناول أحكاماً شرعية⁵.

إنّ قصور هذا المنهج أدّى إلى ظهور مدرسة الرأي في التفسير، وكان أساسها تلميذ عبد الله بن عباس نفسه: مجاهد، الذي كان مُطلّعاً على الآراء العقلية⁶، ولهذا المنهج في التفسير أصوله؛ وهي: الاعتماد على الحديث، والمعرفة بلغة العرب وعلومها، ومعرفة أحكام الشريعة، والإطلاع على أقوال الصحابة في تفاسيرهم⁷، ومن أشهرهم: جعفر بن محمد الرّازي (ت279هـ/892م)⁸.

3) علوم القرآن في بلاد المغرب في عهد الولاة:

سبق وأن ذكرنا في دخول عدد من الصحابة إفريقية مُرافقين لجيوش الفتح، ومن بينهم من كان بارزاً في تفسير القرآن كابن عباس، وابن الزبير، ويتّضح أنّ من أخذ العلم عن الأوّل من التابعين كان يروي عنه التفاسير، فلا يُعقل أن يروي التابعي ما سمعه من فقه ويترك التفسير لأنّه يُعدّ كتماناً للعلم، وهو أمر عظيم في بلاد أهلها حديثي عهد بالإسلام، وعليه فإنّه يُمكننا اعتبار من دخل إفريقية من تلاميذ إمام التفسير عبد الله بن عباس من التابعين أوّل من أدخل التفسير إلى مجالس العلم فيها.

¹ حسين الحاج حسن، المرجع السابق، ص323.

² هو أبو إسحاق كعب بن مانع الرّعيني الحميري، يهودي يعني أسلم وقدم إلى المدينة في خلافة عُمر، ثمّ سكن حمص من بلاد الشام في عهد عثمان، توفي في 32هـ/652م، أنظر: أبو حمزة عبد الله ابن قتيبة، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، الطبعة الرابعة، دارالمعارف، القاهرة، د.ت. ص430.

³ حسن، إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج2: ص325-327.

⁴ حسين الحاج حسن، المرجع السابق، ص324.

⁵ ابن خلدون، المصدر السابق، ص487.

⁶ أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج2: ص40.

⁷ حسين الحاج حسن، المرجع السابق، ص325.

⁸ جلال الدين السيوطي، طبقات المفسرين، تحقيق: علي محمد عمر، الطبعة الأولى، مكتبة وهبة، القاهرة، 1976م، ص43.

من بين من درّس بمساجد إفريقية من تلاميذ ابن عباس: حبان بن أبي جبلة القرشي، وموهب بن حي المعافري، وقاضي إفريقية أبو علقمة، وكان من مواليه، و من علماء إفريقية من أخذ العلم عن المفسر ابن جريج مثل: عبد الله بن فروخ الفارسي، ومنهم من أرسله عمر بن عبد العزيز مثل: أبو سعيد بن عمر الرعيني (ت 115هـ/733م)¹. من غير المستبعد أن يكون أهل البلاد الأصليين قد أخذوا بعض تفاسير الآيات في حلقات الدروس المسجدية مثلما أخذوا الفقه وغيره من العلوم الشرعية، سيما أنه علم اختص بدراسة القرآن الكريم، وتدبر معانيه، وبالتالي لم يكن هناك في هذه الفترة من ذكر في المصادر بأنه من علماء التفسير في إفريقية². على أن الإباضية كان لهم نصيب مبكر في علم التفسير إذا ما قارناهم بأهل السنة في القيروان، ف جابر بن زيد الأزدي المؤسس الحقيقي لمذهبهم أخذ علم التفسير عن ابن عباس، إذ روي أنه قال عنه: "لو أن أهل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد لأوسعهم علماً في كتاب الله"³.

فالخوارج الذين انشقوا عن الإمام علي (رضي) في معركة صفين كانوا من القراء الذين خالفوا أمير المؤمنين في تفسير بعض الآيات، فرفضوا أن يرسل الإمام علي (رضي) عبد الله بن عباس ممثلاً عنه في عملية التحكيم⁴، واهتمام الخوارج بقراءة القرآن، وتفسير آياته، وشرح معانيه، واستخراج الأحكام الشرعية منه؛ عظم واستشرى في البصرة عن طريق الإباضية، الذين استغلوا ذلك لنشر مبادئهم الفكرية وكسب أنصار لها⁵، ويرى صاحب كتاب "الخوارج في ميزان الفكر الإسلامي"⁶ أن عناصر هذه الفرقة الإسلامية كانوا في أغلبهم من طبقة القراء لمتسكهم بظاهر النصوص والأحكام أولاً، وحريصهم على الإقتداء الصارم بشنن النبي ثانياً، والميل إلى الزهد والإكثار من العبادات، وشدة الخوف من الله تعالى، والتشدد في الإيمان وأحكامه.

إذا كان العرب والذي أنزل القرآن بلغتهم إحتاجوا إلى من يفسر لهم القرآن، فإن البربر من باب أولى كانوا أحوج إلى ذلك؛ لمعرفة آيات الأحكام، وشرح ألفاظ القرآن خلال عملية الوعظ والتدريس، وذلك بترجمة شفوية لألفاظه وآياته إلى البربرية⁷، وهو ماركز عليه دعاة المذهبين: الإباضي والصّفي حينما هاجروا للإستقرار كتحجار

¹ (الدباغ، المصدر السابق، ج 1: ص 202 و 209 و 213 و 238-239).

² (حوالة، المرجع السابق، ج 2: ص 409).

³ (عوض محمد خليفات، المرجع السابق، ص 15).

⁴ (غالب بن علي العواجي، الخوارج تاريخهم وآراؤهم الإعتقادية وموقف الإسلام منها، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في العقيدة الإسلامية، بإشراف الأستاذ الدكتور عثمان عبد المنعم يوسف، قسم الدراسات الشرعية العليا، كلية الشريعة، جامعة الملك عبد العزيز، 1978-1979م، ص 31).

⁵ (لطيفة البكاي، حركة الخوارج: نشأتها-تطورها إلى نهاية العهد الأموي (37-132هـ)، الطبعة الأولى، دار الطليعة، بيروت، 2001م، ص 224).

⁶ (محمد أبوسعدة، الطبعة الثانية، القاهرة، 1998م، ص 34).

⁷ (إبراهيم بخاز، الدولة الرستمية، ص 298).

وجنود في نهاية القرن الأول الهجري، وإقامتهم في القرى والأرياف المغربية لنشر معتقداتهم الفكرية، وتلقينها للبربر بلسانهم¹.

إذا صدّقنا الرواية الإباضية القائلة بأنّ عكرمة مولى عبد الله بن عباس أول من أدخل المذهب الصّفري إلى بلاد المغرب²، فإنّه إذن أول وأشهر مفسّر خارجي للقرآن درّس بمجالس العلم في القيروان، وقال عنه بعض التابعين: "أعلم الناس بالتفسير في زمانه"³. وعكرمة بربري من أهل المغرب عُرف عند قسم من العلماء بالورع، وحفظ كتاب الله وإتقان تلاوته، إضافة إلى مرجعيته في كلّ ما يتعلّق بعلوم القرآن⁴، ورغم أنّ البخاري أخذ عنه الأحاديث، إلّا أنّ من العلماء من لا يضع له اعتبارًا، ومنهم من رأى أنّه جريء يدّعي معرفة كلّ شيء عن آيات القرآن⁵، وهذه الجرأة هي في حقيقتها نوع من الثقة التي اكتسبها عكرمة من تركية مولاه ابن عباس في كثير من المسائل الدينية، إذ روي عنه أنّه قال: "...طلبت العلم أربعين سنة، وكُنْتُ أفتي بالباب، وابن عباس في الدار"⁶، وكذلك قوله "كان ابن عباس يضع في رجلي الكبل على تعليم القرآن والسنة"⁷، وأيضًا: "قال لي ابن عباس إنطلق فأفت الناس وأنا لك عون، قلت: لو أنّ هذا الناس مثلهم مرّتين، لأفتيئهم"⁸.

يبدو أنّ عكرمة تتمتع بشهرة علمية واسعة في المشرق أساسها ملازمته لمولاه الهاشمي؛ تُرجمان القرآن، فزكاه عدد من التابعين، وأثنوا على علمه كسعيد بن جبير، وعامر الشعبي، والحسن البصري، وعمرو بن دينار، فهو بالنسبة لهم "ثقة... عالم بالتفسير، لم يثبت تكذيبه، ولا ثبتت عنه بدعة، روى له الجماعة"⁹، وتلمّس في بعض الروايات وجود علاقة جيّدة بين جابر بن زيد وعكرمة من خلال ثنائه عليه، ووصفه بالبحر، وتحريض الناس على سؤاله¹⁰.

¹ جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 25.

² أبو زكريّا، المصدر السابق، ص 41.

³ محمد بن منيع، ابن سعد الزهري، كتاب الطبقات الكبير، تحقيق: علي محمد عمر، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2001م، ج 2: ص 331.

⁴ أبو حاتم محمد بن أحمد، ابن حبان البستي، مشاهير علماء الأمصار، وضع حواشيه وعلّق عليه: مجدي بن منصور بن سيّد الشّورى، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م، ص 107.

⁵ أحمد أمين، فجر الإسلام، الطبعة العاشرة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1969م، ص 205.

⁶ الذهبي، المصدر السابق، ج 5: ص 14.

⁷ شمس الدّين محمد بن علي الداودي، طبقات المفسرين، تحقيق: علي محمد عمر، الطبعة الثانية، مكتبة وهبة، د.م.ن، 1995م، ص 380.

⁸ الذهبي، المصدر السابق، ج 5: ص 14.

⁹ الداودي، المصدر السابق، ص 381.

¹⁰ ابن سعد، المصدر السابق، ج 2: ص 331.

4) علوم القرآن عند الأغلبية:

أ) القراءات:

يُعتبر قاضي إفريقيّة عبد الله بن غانم الرعيني المالكي (128-190هـ/745-805م) أشهر مقرئ في نهاية عصر الولاة وبداية حكم الأغلبية، فقد سمع تلاوته سفيان الثوري واستحسنها، وشهد له بالضبط والبعد عن اللحن فيها¹.

كان يُلازم الإمام سحنون الفقيه أحمد بن معتب بن أبي الأزهر الأزدي (ت277هـ/890م) من المشتغلين بالقرآن، فكان سحنون لا يأمر المقرئ بالتلاوة إلّا في حضوره لمعرفته بأحكام التلاوة². كان القائمون على المساجد يستقدمون قراء معروفين بالصوت الحسن لتلاوة القرآن من الأندلس، ومن هذه المساجد مسجد السّبت في القيروان، الذي كان يجتمع فيه الزّهاد والعباد لسماع تلاوة الآيات، وحكايات الصّالحين، وأشعار الزّهد وهي ما تُسمّى بالرفائق، وقد اعتبرها بعض الفقهاء بدعة³.

برز من قراء الفترة الأغلبيةيّة محمد بن برغوث القروي (ت272هـ/885م) الذي كان مُكلّفًا بالقراءة في جامع القيروان، وكان قد درس القراءات على يد نافع بن أبي نعيم⁴، وهو من تلاميذ أسد بن الفرات في الفقه⁵. ويعتبر محمد بن عمر بن خيرون المعافري الأندلسي القروي (ت306هـ/918م) المؤسس الحقيقي لقراءة الأفاقة برواية نافع عن ورش⁶، بعد أن استقرّ في القيروان عائداً من رحلته العلميّة المشرقيّة، ووجد فيها القراء على منهج حمزة⁷ في تلاوة الآيات، ولم يكن يقرأ بقراءة نافع إلّا القليل، فتمكّن من جلب إهتمام أهل إفريقيّة نحو قراءة نافع، ونال إهتمام قراء بلاد المغرب قاطبةً، وترك في علم القراءات مُصنّفين: الإبتداء والتّمام، والألفات واللامات⁸.

في ما يتعلّق بنوع القراءات في المغرب الأدنى فإنّ قراءة نافع هي التي سادت إبتداءً من النّصف الثّاني من القرن الثّالث الهجري، خلّفاً لقراءة حمزة التي كانت الغالبة على إفريقيّة، مع تسجيل تواجد قراءات أخرى لم تُذكر ولكنّها

¹ (المالكي، المصدر السابق، ج1: ص215-216).

² (الدبّاغ، المصدر السابق، ج2: ص181).

³ (نفسه، ج2: ص237-238).

⁴ (نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم اللّيثي، من أصحاب القراءات السبع الصّحيحة، نشأ بالمدينة، وأخذ القراءة عن سبعين تابعياً، من تلاميذه الأصمعي وقالون، توفي في 169هـ/785م، أنظر: فؤاد سركين، المرجع السابق، ج1: ص32).

⁵ (أبو الخير شمس الدّين محمد بن محمد ابن الجزري، غاية النّهاية في طبقات القراء، الجزء الثّاني، الطبعة الأولى، دار الكتب العلميّة، بيروت، 2006 م، ج2: ص93-94).

⁶ (ورش هو عثمان بن سعيد القبطي مولى آل الزبير بن العوّام (110-197هـ/728-812م)، جود القرآن عدّة ختمات على يد نافع سنة 155هـ/771م، بالقراءة وعلوم اللّغة، وأصبح كبير مُقرئي مصر في زمانه، ولما تعمّق في علوم النّحو ابتكر مذهبه في القراءة، بالهمز، والمد، وإظهار الإعراب، أنظر: شمس الدّين اللّذهبي، طبقات القراء، تحقيق: أحمد خان، الطبعة الأولى، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميّة، الرياض، 1993م، ج1: ص17).

⁷ (حمزة بن حبيب بن عمار بن الزيات التميمي الكوفي (80-156هـ/699-773م)، من علماء القراءات والفرائض، له كتابي: القراءة، والفرائض، وهو واحد من أصحاب القراءات السبعة، أنظر: فؤاد سركين، المرجع السابق، ج1: ص31).

⁸ (ابن الجزري، المصدر السابق، ج2: ص191).

تواجدت بقلّة، وكان التأثير الأندلسي واضحًا على القيروان في هذا المجال، وسار كلاهما على مبدأين: مذهب مالك في الفقه، ومدرسة نافع في القراءة¹.

ب) التفسير:

من الذين اهتموا بتفسير القرآن في إفريقية محمد بن زرزور الحنفي، وكان حافظًا لتفاسير متعددة أبرزها تفسير يحيى بن سلام²، وكان منهجه في التفسير قراءة الآية، ثم شرح ألفاظها، والإستشهاد بالشعر لتفصيل معنى الألفاظ، ثم ذكر روايات الفقهاء حول ماورد من أحكام في الآيات المقروءة³، وأبو جعفر أحمد بن أحمد بن زيّاد، وهو أصولي من أصحاب الرأي ملازمته ابن عبدوس، أخذ تفسير القرآن عن محمد بن يحيى بن سلام، وله كتاب "أحكام القرآن"⁴.

5) علوم القرآن في الدولة الرستميّة:

سبق وأن ذكرنا أنّ مذهب الخوارج قام على تفسير آيات من القرآن بآراء مخالفة لأهل السّنة، لذلك فمن المنطقي أن يكون لعلماء دولة الرستميين الإباضية عناية بتفسير القرآن، فكان أول مفسّر من الرستميين الإمام عبد الرحمن، فقد كان له كتاب في تفسير للقرآن، تسبّب الصّراع بين فئات الإباضية في التّخلّص منه⁵.

إذا ألقينا نظرة على الحياة العلميّة في جبل نفوسة وجدنا أنّ أشهر المفسّرين فيها كان أبو المنيب مامد بن يأنس (محمد بن يانس) الدركلي (توفي في النّصف الأوّل من القرن الثالث هجري)، الذي أخذ العلم عن إسماعيل بن درّار الغدامسي، وعاصم السّدراتي، وكان من ضمن الوفد الذي أرسله شيوخ نفوسة إلى تاهرت لمناظرة الواسليّة، ومن تلاميذه في التّفسير أبو خليل صال الدركلي⁶.

لا شكّ في أنّ مفسّري القرآن كانوا كثيرين في جبل نفوسة، وكان أساسهم في التّفسير التّرجمة الشّفويّة لألفاظ القرآن وآياته إلى البربريّة في حلقات الوعظ والتّدريس لكي يفهمها أغلب الإباضية، دون التعمّق في المعاني العميقة، وهو أمر لم يكن متوفّرًا حتّى في المشرق آنذاك⁷.

¹ عبد الكريم بوغزالة، مدرسة القراءات بالأندلس، نشأتها، وتطورها، وآثارها، مذكرة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في الكتاب والسّنة شعبة القراءات، إشراف الدكتور رابح دفرور، قسم الكتاب والسّنة، كلية أصول الدّين والشّريعة والحضارة الإسلاميّة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميّة، 2005م، ص 40-42.

² الدّباغ، المصدر السابق، ج2: ص248.

³ المالكي، المصدر السابق، ج1: ص515.

⁴ الخشني، المصدر السابق، ص221.

⁵ إبراهيم بخاز، الدّولة الرستميّة، ص300-301.

⁶ محمود الكوردي، المرجع السابق، ص141-142.

⁷ إبراهيم بخاز، الدّولة الرستميّة، ص298-299.

ظهر في جبل الأوراس مفسرين هما: محكم المؤاريلا، وإبنة هود الذي وضع كتابًا في تفسير القرآن من جزئين¹، ولقد كان محكم قاضيًا للإمام أفلح (208-258هـ/823-871م)، أما هود فكتب تفسيره في سفرين كبيرين، وتحدث فيه عن أسباب النزول إعتماذًا على الأحاديث النبوية، واعتمد على مرويات ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، وغيرهم، وكثيرًا ما كان ينتقد الروايات الضعيفة أو التي لا أصل لها، واهتم باستخراج المواعظ والأحكام من معاني وألفاظ الآيات، ويعتبر هذا التفسير مرجعًا للإباضية، وهو أول تفسير للقرآن موجود حتى اليوم، على الرغم من وجود رأي فحواه أن تفسير هود هو مجرد إختصار لتفسير لمؤلف مشرقي مجهول².

¹ (جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص108).

² (إبراهيم بخاز، الدولة الرستمية، ص301-302).

ثانيًا: علم الحديث.

تُشير كتب الطبقات إلى عناية الفقهاء بالحديث بشكل ضمني لأنّ الفقه ينطلق من علم الحديث، ويتّخذهُ مُرتكزًا للمسائل التي ينظر فيها، لذا فمن المنطقي القول بأنّ العناية بهذا النوع من المعرفة بدأت في بلاد المغرب إنطلاقًا من أولى الفتوحات الإسلامية¹. من المحدثين الذين قطنوا القيروان أبو معمر عبّاد بن عبد الصّمد البصري، وكان ملازمًا للصّحابي أنس بن مالك، وللحسن البصري، وعمر بن عبد العزيز، وعطاء بن أبي رباح، سكن قسطنطينية وفيها تُوفي²، كما عُرف عن الفقيه عبد الله بن فروخ عنايته بجمع الأحاديث فسمع منها الكثير في المشرق، وأقام بعدها في القيروان يُدرّس الفقه والحديث³.

1) عند الأغلبية:

من رواة الأحاديث في إفريقية الذين إمتازوا بمنهج خاص محمد بن يحيى بن سلام التّيمي (ت262هـ/875م)، فقد كان يُدقّق الرواية، ونصّ الحديث، ويتحرّى معرفة رجال السّند، وتسلسله، ويهتم باستخراج الأحكام الفقهيّة منها⁴، وأبو جعفر القصري (ت322هـ/933م) الذي لم يكن جيّدًا في الفقه، فأحسن تصنيف الأحاديث، وأكثر من روايتها، وروى عنه جماعة من المحدثين⁵. ومن علماء الحديث في إفريقية الأغلبية نجد كذلك عيسى بن مسكين، الذي أخذ العلم في صعيد مصر عن محمّد بن سنجر الذي جمع بدوره الحديث عن ألف شيخ في المشرق⁶، وكان مُتمكّنًا من كثير من العلوم منها علم الحديث⁷، وي زيد بن محمّد الجمحي الذي سمع من مالك في المدينة، وسمع من مجموعة من محدّثي الكوفة، والبصرة، والشّام⁸، وكان كثير الرواية للأحاديث⁹، وأبو سهل فرات بن محمّد العبدي والذي عُرف بجمع الروايات والأخبار¹⁰. من الذين مزجوا بين الإهتمام بالفقه والحديث معًا موسى بن معاوية الصمادحي، فقد كان "عالمًا بالفقه، راويّة للحديث، ثقة مأمونًا"¹¹.

¹ حوالة، المرجع السابق، ج1: ص382.

² المالكي، المصدر السابق، ج1: ص138.

³ القاضي عياض، تراجم أغلبية، ص40-41.

⁴ الدبّاغ، المصدر السابق، ج2: ص145.

⁵ القاضي عياض، تراجم أغلبية، ص410.

⁶ الحشني، المصدر السابق، ص193.

⁷ القاضي عياض، تراجم أغلبية، ص233.

⁸ المالكي، المصدر السابق، ج1: ص239.

⁹ الدبّاغ، المصدر السابق، ج2: ص69.

¹⁰ الحشني، المصدر السابق، ص193.

¹¹ الدبّاغ، المصدر السابق، ج2: ص51.

لقد كان يميل إلى رواية الحديث أكثر من إشتغاله بالفقه¹، ويذكر أنه أخذ عن وكيع بن الجراح خمسة وثلاثون ألف حديث صحيح²، مع الأخذ بعين الاعتبار مقارنته في ذلك بأسد بن الفرات الذي سمع إثنا عشر ألف حديث من هيثم بن بشير أثناء رحلته المشرقية في طلب العلم³.

من مشاهير المحدثين في العهد الأعلي نزيل طرابلس الغرب أبي الحسن الكوفي، والذي لازم الفقيه سعيد بن محمد الحداد⁴، ولازم كذلك أحمد بن معتب بن أبي الأزهر الأزدي (ت277هـ/890م) و"سمع جميع ما عنده"⁵، ثم مكث مدة طويلة في المدينة وسمع الكثير من محدثيها⁶.

يُضاف إلى أهل الحديث من فقهاء إفريقية عباس بن الوليد الفارسي التونسي (ت218هـ/833م)، والذي سمع الحديث في المشرق من ابن عيينة، وحماد بن زيد، والفضيل بن عياض⁷، وكذلك عنبة بن خارجة الغافقي (ت210هـ/825م) الذي كان متمكناً من الفقه والعربية إلى جانب الحديث⁸، ويزيد الجمحي الذي جمع الكثير من الأحاديث من خلال رحلته إلى الحجاز والعراق والشام⁹.

أما سعيد بن إسحاق (ت212-295هـ/827-907م) من تلاميذ الإمام سحنون فكان ممن تخصص في الجمع والرواية¹⁰، و"كان كثير الرواية في الحديث" و"إذا أشكل عليه في حرف سأل عنه"¹¹، في حين كان أبو عمرو البهلول بن عمرو التميمي (ت234هـ/848م) من الذين مزجوا بين الفقه والحديث¹²، وكان أبو جعفر القصري من الذين يجمعون كتب الحديث دون امتلاكهم للملكة الحفظ¹³، إضافة إلى أحمد بن يزيد المعلم الذي كان يروي الأحاديث عن موسى الصمادحي وكان "عالماً بعلمها"¹⁴.

من الذين ألفوا في هذا العلم محمد بن الإمام سحنون، فقد كان حافظاً عالماً بالحديث، وصنف المسند في الحديث، وهو مؤلف ضخم، وترك كتاب غريب الحديث في ثلاثة أجزاء¹⁵.

¹ القاضي عياض، تراجم أغلبية، ص143.

² المالكي، المصدر السابق، ج1: ص376-377.

³ الدبائغ، المصدر السابق، ج2: ص5.

⁴ الحشني، المصدر السابق، ص201.

⁵ القاضي عياض، تراجم أغلبية، ص255.

⁶ الدبائغ، المصدر السابق، ج2: ص177.

⁷ المالكي، المصدر السابق، ج1: ص249.

⁸ القاضي عياض، تراجم أغلبية، ص78.

⁹ أبو العرب، المصدر السابق، ص85.

¹⁰ الحشني، المصدر السابق، ص207.

¹¹ القاضي عياض، تراجم أغلبية، ص324.

¹² الدبائغ، المصدر السابق، ج2: ص66-68.

¹³ الحشني، المصدر السابق، ص224.

¹⁴ الدبائغ، المصدر السابق، ص200.

¹⁵ القاضي عياض، تراجم أغلبية، ص172-173.

من الذين شدّوا رحالهم إلى مصر من أجل جمع الأحاديث: حامد بن عمر¹، لقمان بن يوسف التونسي المالكي المتوفى سنة 319هـ/931م²، ومالك بن عيسى القفصي وكان مُتخصِّصًا في الحديث لا يتعدّاه إلى علوم أخرى، وابن أبي منظور الأندلسي القيرواني الذي تجاوز مصر والحجاز إلى صنعاء اليمن لسماع مُحدّثيها³، وأبو بكر أحمد بن يَلول التنوخي التوزري، الذي درس على يد سحنون ثمّ رحل في طلب الحديث، وهو أستاذ الشاعر بكر بن حمّاد⁴.

لم يقتصر تواجد المُحدّثين في القيروان لوحدها، ففي قفصة برز محمّد بن تميم العنبري (ت260هـ/873م)، وقد إقتصر في علمه على العناية بالحديث، وارتحل إلى المشرق طلبًا له، وسمع من أنس بن عياض، وعبد الله بن وهب، ويحيى بن بكير بن عبد الله المخزومي، وآخرين من كبار مُحدّثي المشرق، وتأثّر في رواية الحديث بتكوينه الفقهي المالكي، وسار على نهجه ابنه هبة الله (ت260هـ/873م)⁵.

هذا العدد الكبير من المعتنين رواة الحديث كان له تأثير على مكانة القيروان العلميّة، وأهمّيّتها في الجمع والرواية والتّدوين، ولاسيّما أنّها من المذُن التي سكنها الصّحابة والتّابعون، فانفرد مُحدّثوها برواية أحاديث أخذ بها كبار فقهاء المشرق مثل: سفيان الثّوري، وعبد الله بن وهب، وعبد الله بن لهيعة، وعبد الله بن المبارك، وأصحاب أبي حنيفة، ومالك والليث بن سعد شأنها في ذلك شأن غيرها من الحواضر الإسلاميّة الكبرى في المشرق⁶.

2) عند الرستميّين:

لا تذكر المصادر الإباضيّة وجود كتب مدوّنة في الحديث من قبل إباضيّة المغرب، وجلّ ما تذكره هو اهتمامهم بجلب كتب الحديث من المشرق من خلال جلب نفّاث بن نصر النفوسي لديوان جابر بن زيد الأزدي من بغداد، وهو على الأرجح كتاب في الحديث⁷.

أمّا رعايا الدّولة الرستميّة من غير الإباضيّة فوجد منهم من اعتنى بعلم الحديث كالشّاعر بكر بن حمّاد الزناتي التّاهري، وكان عالما بالحديث، وأنقن تحقيق رواة الأسانيد، وذلك بسبب رحلته في طلب العلم إلى المشرق، واستقراره في البصرة، وسماعه من شيوخها، وكذلك قدراته العاليّة في عمليّة الحفظ⁸، وكتب عن مسدّد بن مسرهد الأسدي البصري المُحدّث مسنده وقرأه في مجالس العلم بتاهرت⁹.

¹ (أبوالعرب، المصدر السابق، ص121).

² (الخشني، المصدر السابق، ص224).

³ نفسه، ص227-228.

⁴ (القاضي عياض، تراجم أغلبيّة، ص202).

⁵ (حوالة، المرجع السابق، ج1: ص393).

⁶ (محمد زيتون، المرجع السابق، ص451).

⁷ (إبراهيم بخاز، الدّولة الرستميّة، ص305-306).

⁸ (الدّبّاغ، المصدر السابق، ج2: ص281-282).

⁹ (إبراهيم بخاز، الدّولة الرستميّة، ص309).

من الذين اهتموا بعلم الحديث من السنّة لدى الرستميين: أبو زيد عبد الرحمان بن بكر بن حمّاد(ت295هـ
/908م)، وقاسم بن عبد الرحمن التميمي التاهرتي(ت317هـ/929م)، وأبو سعيد بجيج بن خدّاش (ت296هـ
/909م) من أهل قسطليّة لازم محمّد بن سحنون، وروى عنه المؤرّخ أبو العرب بن تميم¹.

¹(إبراهيم بخاز، الدولة الرستميّة، ص309-310).

ثالثاً: علم الكلام:

1) لمحة عن علم الكلام:

أ) تعريفه :

يقول ابن خلدون¹: "علم الكلام هو علم يتضمّن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والردّ على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة"، وسمّي بهذا الاسم لأنّ مسأله تمحورت حول القرآن الكريم (كلام الله) و بالأخص منها الإجابة عن التساؤلات حول "المتشابه فيه"، فكلام الله كان أساس المجادلات، والمناظرات بين علمائه²، بمعنى آخر هو "إثبات الأصول الاعتقادية والدفاع عنها بالأدلة العقلية، وتأسيس العقيدة الإسلامية على أسس عقلية برهانية"³، وهو "العلم الذي يبحث عن إثبات أصول الدين الإسلامي بالأدلة المفيدة لليقين بها"⁴، وبعبارة أخرى هي "...الأقوال التي تُصاغ على نمط جدلي حول المعتقدات الدينية... ودحض الأدلة في عقائد المخالفين"⁵، وتعضيد العقائد الدينية بالحجج العقلية⁶، ومنه من يربطه بعلم اللاهوت المسيحي، فهو "جدل عقلي صرف يتناول المفاهيم اللاهوتية"⁷.

ب) الفرق بينه وبين الفلسفة:

الفرق بين الفلسفة وعلم الكلام هو أنّ الفيلسوف يبحث عن الحقيقة باستعمال عمليّات عقلية مجردة يعتمد فيها على براهين عقلية ومنطقية بخلاف عالم الكلام الذي ينطلق من حقائق العقيدة الإسلامية، ويعمل على الدفاع عنها ويتقيد بها⁸، فهو علم ديني يستند إلى الدين وأصوله⁹، فمنهج الفلسفة هو البرهان العقلي ومنهج علم الكلام هو الجدل، فهناك فرق شديد بين من يقتحم ميدان الفكر حُرّاً من أيّ رأي مسبق، وبين من يدخله بمنطلقات مسبقة؛ يُحاول تأويلها¹⁰، فهذا العلم إذن؛ وليد البيئة الإسلامية حينما انطلق من مسائل في العقيدة أثارها الاختلافات في تفسير الآيات المتشابهات من القرآن الكريم¹¹.

¹ انظر: لمقدمة، ص 507.

² محمد جعفر شمس الدين، دراسات في العقيدة الإسلامية، الطبعة الرابعة، دار المعارف للطبوعات، بيروت، 1993م، ص 23.

³ محمد صالح محمد السيد، مدخل إلى علم الكلام، دار قباء، القاهرة، 2001م، ص 21.

⁴ عبد الهادي الفضلي، خلاصة علم الكلام، الطبعة الثانية، دار المؤرخ العربي، بيروت، 1993م، ص 21.

⁵ حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج 2: ص 335.

⁶ أحمد فؤاد الأهواني، الفلسفة الإسلامية، الهيئة المصرية لطباعة الكتاب، القاهرة، 1985م، ص 18.

⁷ هنري كوربان، تاريخ الفلسفة الإسلامية، الطبعة الثانية، ترجمة: نصير مروة وحسن قبيسي، عويدات للنشر والتوزيع، بيروت، 1998م، ص 170.

⁸ محمد جعفر شمس الدين، المرجع السابق، ص 25.

⁹ محمد صالح محمد السيد، المرجع السابق، ص 22.

¹⁰ أحمد فؤاد الأهواني، المرجع السابق، ص 30.

¹¹ عبد الهادي الفضلي، المرجع السابق، ص 9.

ج) محاوره الرئيسية :

يهتم علم الكلام بالبحث في وجود الله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وصلة الشرع بالعقل، وصلة الله بالإنسان والعالم، وهي كُلتها مأخوذة من القرآن وصحيح السُّنة¹، مع وجود مسائل تعرّض لها علم الكلام بأكثر تفصيل كالقضاء والقدر، والحرية، والجبر والإختيار، وخلق القرآن²، والإمامة الكبرى³.

د) نشأته:

من ناحية النشأة يعتبر المؤرخون خلاف واصل بن عطاء (ت 131هـ/748م) مع أستاذه الحسن البصري حول مسألة حُكم مرتكب الكبيرة، واعتزاله في حلقة خاصة به نواة مذهب المعتزلة وعلم الكلام معاً⁴، وهناك من الشيعة من يعتبر أنّ واصل بن عطاء أخذ هذا العلم عن أبي هاشم بن عبد الله بن محمد بن الحنفية؛ الذي أخذه عن أبيه عن الخليفة علي (رضي)⁵، وهناك من يرى بأنّ هذا العلم بدأ في عهد النُبوة ملازماً للتساؤلات حول التشابه من القرآن، وازدهر ونما باستفحال عملية الترجمة في القرن الثالث الهجري والإطلاع على فلسفات الشعوب القديمة، وأصبحت له قواعد وأصول⁶، فهذه التساؤلات الملحة حول التشابه تمّ كتبها في عهد النبي (ص) والصحابة والتابعين، ثمّ برزت إلى الساحة الفكرية مع تحوّل المعارف الدينية إلى علوم قائمة بذاتها... بعد أن كانت سائرة على الفطرة⁷.

ارتبط علم الكلام بطائفة المعتزلة لاستخدامها له في الدفاع عن الإسلام ضدّ أصحاب الملل الأخرى وما كانوا يثيرونه من تساؤلات حول النصّ القرآني، فانبأى أبرزهم للردّ عقلياً على هذا الهجوم، وكان من بينهم: واصل بن عطاء، وأبي هذيل العلاف (ت 235هـ/849م)، والنظام (ت 231هـ/835م)، والجاحظ (ت 256هـ / 869م)⁸، وكانت المناظرات تعقد بين المتكلمين في قصور الخلفاء وفي المساجد، وبيوت الحكمة، وتطوّرت إلى مناظرات بين الفرق الإسلامية نفسها⁹، فأصبحت المسائل الكلامية تُطرح للنقاش بين الفرق الخمس: أهل السُّنة، المعتزلة، المرجئة، الخوارج، والشيعة، وكلُّ فرقة تنقسم إلى طوائف فإذا كان الجدل قائماً حول العقائد فهو علم الكلام، وإذا انصبّ حول الفروع فهو علم الفقه¹⁰.

¹ محمد صالح محمد السيّد، المرجع السابق، ص 28-29.

² عبد الهادي الفضلي، المرجع السابق، ص 9-10.

³ أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج 2: ص 51.

⁴ عبد الله أمين، دراسات في الفقه والمذاهب القديمة المعاصرة، الطبعة الثانية، دار الحقيقة، بيروت، 1991م، ص 299.

⁵ عبد الهادي الفضلي، المرجع السابق، ص 10-11.

⁶ محمد جعفر شمس الدين، المرجع السابق، ص 24.

⁷ أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج 2: ص 50.

⁸ نفسه، ج 2: ص 50.

⁹ حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج 2: ص 335.

¹⁰ أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج 2: ص 51.

2) علم الكلام في بلاد المغرب في عهد الدّول المستقلّة:

أ) في إفريقية الأغلبية:

تشدّد الفقهاء في إفريقية مع المعتزلة فعبد الله بن فروخ صرّح بلعنهم علانية وتبرأ منهم، ورفض مع عبد الله بن غانم الصّلاة على جنازة ابن صخر المعتزلي¹، واهتمّ المالكية بشكل خاصّ بمسألة "خلق القرآن" فهذا أبو جعفر حمديس يترك صلاة الجمعة وراء خطيب جامع القيروان معد بن عُقال لقوله بأنّ القرآن مخلوق²، وكذلك قام العامة في القيروان برمي موكب جنازة البهلول بن عمر التّجيبّي المعروف بإبن عبيدة بالحجارة وإلحاحهم على إلقاء جثمانه في الوادي المجرد اتّهامه بسماع حجج القائلين بذلك من الفقيه الحنفي محمد بن زرزور³. و مع ذلك وُجد في إفريقية من اشتغل بهذا العلم أيتام حكم الأغلبية كأحمد بن أبي حمز (ت221هـ / 835م) الذي كان "عارفًا بأصول الدّيانات"⁴، واعتُبر أبو عثمان سعيد بن محمّد بن الحدّاد أبرز من درس علم الكلام للدّفاع عن السّنة، وقال الخشني⁵: "...كان الكلام، والجدل، والمناظرة: بابه"، تنقّل في الفقه من المذهب المالكي إلى الشّافعي ثمّ تركه و"تحرّر فقهيًا"، ألّف كتبًا حول مسائل كلاميّة ككتّابي "الإستواء"، و"عصمة التّبيين"، وكتاب "المقالات" الذي يحتوي على ردود على آراء المذاهب الأخرى⁶، وذاع صيته بمناظراته مع سليمان الفراء حول مكان الذات الإلهيّة، ويذكرها الخشني⁷: "...قال سعيد: فلما أبنتُ عليه، جعل يقول لي: يا أبا عثمان؛ إنّ المسألة: عظيمة كبيرة؛ فتدبرّها، فعلمتُ أنّه رجل يريد السّتر على نفسه"، وله مناظرات عُقدت في أربعة مجالس حاجج فيها الدّاعيين الشّيعيين أبو العباس الصّنعاني⁸، وعبيد الله المهدي⁹، وبرز من تلاميذه: أبو جعفر التّمّار أحمد بن موسى الذي أخذ بمنهج في الدّفاع عن السّنة، وعلي بن منصور الصّفّار¹⁰.

كما برع محمّد بن سحنون في علم الكلام براعته في الفقه والحديث، فقد ناظر يهوديًا في مصر - كان يُجادل المسلمين ويظهر عليهم - حينما سافر حاجًا إلى الحجاز، وغالبه بالحجّج والبراهين حتّى أسلم، و استفسره الأمير إبراهيم بن الأغلب عن مصير يزيد بن معاوية؛ فبيّن له وجهات النّظر المختلفة وضعف حججها، وذكر أنّه في المشيئة فلا يُكفره¹¹.

¹ القاضي عياض، تراجم أغلبية، ص48-49.

² المالكي، المصدر السابق، ج1: ص488.

³ أبو العرب، المصدر السابق، ص91.

⁴ الدّباغ، المصدر السابق، ج2: ص40.

⁵ الخشني، المصدر السابق، ص257.

⁶ الدّباغ، المصدر السابق، ج2: ص296.

⁷ الخشني، المصدر السابق، ص257.

⁸ نفسه، ص257-275.

⁹ الدّباغ، المصدر السابق، ج2: ص300.

¹⁰ الخشني، المصدر السابق، ص283.

¹¹ القاضي عياض، تراجم أغلبية، ص181-182.

لقد ألف محمد بن سحنون في علم الكلام عدّة مُصنّفات: الرد على الكفريّة، والإيمان والرد على أهل الشّرك، و أدب المتناظرين في جزئين، والحجّة على القدريّة، والحجّة على النّصاري¹.

من علماء الكلام في إفريقية أيضًا: أبو حبيب السّدي، وكان من الذين يقولون بخلق القرآن²، ومحمد بن يحيى بن سلام (ت262هـ/875م) الذي كان عارفًا بأصول الديانات³، ومحمد بن محبوب، وعُرف بمناظراته مع القدريّة، وله في ذلك رسالة حول مسألة القدر، والفقيه الشافعي أبو عبد الله محمد بن علي البجلي، وله كتاب في علم الكلام بعنوان "الرد على الشّكوكيّة"، وأبو بكر بن القمودي، وكان مُحيطًا بعلم الكلام، عاش في أواخر العهد الأغلبي، وبدايات الحُكم الفاطمي، وله مجادلة شهيرة ظهر فيها على أبي العباس من دُعاة الشّيعَة الإسماعيليّة، ثمّ تراجع عن آرائه خوفًا من عُبيد الله المهدي، فلم يكن صلبًا في الحقّ كأستاذه ابن الحدّاد⁴.

كما برز من علماء الكلام الجريئين ابن الصّبّاح، وعُرف بقوة حججه، وحدّته مع خصومه، حتّى أنّهم بالجرأة على الله، وكان يُقدّم العقل على النّقل، من أشهر أقواله نفىه لإجماع الفقهاء كمصدر من مصادر الفقه الإسلامي؛ فقال: "... لم يكونوا في بيت واحد، ولا في مصرٍ واحد فيُسلّوا، فيُعرف اجتماعهم، من ادّعى الإجماع فقد ادّعى المِحال الذي لا يَصِحُّ أبدًا"⁵.

من الذين تصدّوا لمناظرة المعتزلة والدّفاع عن السُنّة: محمد الرّقادي القيرواني (ت316هـ/831م)؛ وهو من الذين تأثّروا في ذلك بمنهج سعيد بن الحدّاد ولم يكن من تلاميذه، وترك في ذلك مؤلّفات كثيرة حسب ما ذكره الخشني⁶، وكذلك علي بن ظفر العراقي الحنفي، وكان من المقرّين للبلاط الأغلبي⁷، والفقيه الشافعي ابن البردّون عبد الملك بن محمد الضبيّ، وعباس بن عيسى الممسي، وكان "فقيهاً بارعاً، قويّ الحجّة في علم الكلام، مُحبّاً للمناظرة"⁸، وأبو إبراهيم بن أبي مسلم؛ وقال عنه الخشني: "... يتكلّم في الأسماء والصفّات ومعاني الجدل، ويشير إلى الكلام في الفقه على معاني النّظر"، ومن أشهر أقواله الكلاميّة "... إنّ الله جسم لا كالأجسام"⁹، ومحمد بن أسود الحنفي الصّديني¹⁰ قاضي القيروان من طرف إبراهيم بن أحمد الاغلبي، الذي كان يقول بخلق

¹ (القاضي عياض، تراجم أغلبيّة، ص173).

² (الخشني، المصدر السابق، ص253).

³ (الدّباغ، المصدر السابق، ج2: ص145).

⁴ (الخشني، المصدر السابق، ص278-280).

⁵ (نفسه، ص280-281).

⁶ (نفسه، ص284).

⁷ (الدّباغ، المصدر السابق، ج2: ص260).

⁸ (الخشني، المصدر السابق، ص284-285).

⁹ (نفسه، ص285).

¹⁰ (الدّباغ، المصدر السابق، ج2: ص262).

القرآن¹، واضطهد فقهاء المالكية القائلين بأن القرآن كلام الله²، ومحمد بن أحد الشركاء، والذي درس الجدل على يد سعيد بن الحداد³.

ب) في الدولة الرستمية:

برزت في المغرب الأوسط فرقة من المعتزلة إسمها الواصلية، أكثرهم من قبيلة زناتة، وسكنوا بواحات الزّاب، وخاصة بنطيوس، حيث اعتبرهم البكري⁴ خوارج إباضية في حقيقتهم، ومنهم مجموعة كانت مقيمة قرب تاهرت، برز منهم عالم مُتمكّن من المناظرة، والبلاغة، والمنطق، وأساليب الجدل، وكان يسعى دائماً إلى طلب عقد مناظرات علمية مع غيره من علماء المذاهب الأخرى⁵، والظاهر أنّه ناظر الإمام عبد الوهاب مرّات كثيرة وأقام عليه الحجّة⁶.

بلغ عدد من اشتغل بعلم الكلام لدى الرستميين رقمًا كبيرًا، فلقد طلب عبد الوهاب بن عبد الرحمن من عامله في جبل نفوسة أثناء حربه مع الواصلية المعتزلة إرسال مئة من المتكلّمين⁷، أبرزهم مهدي النفوسي؛ والذي بلغ به الثّقة في علمه أن قال "لا يغلبني مُخالف في مناظرة إلّا إن ركنت في دين الله"⁸، وكانوا من "الواقفين على نزغات الفرق العارفين بطرق الرّد على المخالفين ونقض مقالاتهم"⁹، ويتّضح من كلام الباروني¹⁰ حول استماع الإمام لأقوال مهدي النفوسي وتوجيهاته في كيفية الرّد على كبير مُتكلّمي الواصلية؛ أنّ مهدي كان أكثر تمكُّنًا منه في هذا الباب من أبواب العلم، وقد تمكّن من التغلّب على الواصلي في مناظرة قبل المعركة الفاصلة خارج تاهرت¹¹.

كان الإباضية يعقدون جلسات واجتماعات للمناظرة، من ذلك اجتماع المناظرة على نهر "مينا" بينهم وبين المعتزلة، وكان كثير من حضور الإباضية من قبيلة هوّارة، ومنهم كذلك عبد الله بن اللّمطي، وهوّ من مستشاري الإمام أبي يقظان، وكان حادّ الذكاء، حاضر البديهة¹²، ويمكن القول أن هؤلاء الواصلية كانوا في الأصل إباضية

¹ الحشني، المصدر السابق، ص 251.

² الدّباغ، المصدر السابق، ج 2: ص 262.

³ الحشني، المصدر السابق، ص 285.

⁴ انظر: لمغرب، ص 72.

⁵ الباروني، المرجع السابق، ص 56-57.

⁶ أبو زكريّا، المصدر السابق، ص 102.

⁷ الباروني، المرجع السابق، ص 57.

⁸ أبو زكريّا، المصدر السابق، ص 103.

⁹ الباروني، المرجع السابق، ص 57.

¹⁰ نفسه، ص 58.

¹¹ أبو زكريّا، المصدر السابق، ص 109.

¹² ابن الصغير، المصدر السابق، ص 82.

باعتبار أنّ مبادئ الخوارج، واهتمامهم بالجدل في العقائد كان أرضيّة لظهور الإعتزال فيهم¹.
ومن الذين برعوا في علم الكلام أيتام إمامة أبي اليقظان أبوعبيدة الأعرج، وهو فقيه أيضاً، وكان مرجعاً لعلماء تاهرت
في ما برع فيه من علوم².

ج) في بقيّة الدّول المستقلّة:

(*) الأدارسة:

كان الإمام إدريس الأكبر من المعتزلة³، وكذلك إسحاق بن محمد بن عبد الحميد زعيم قبيلة أوربة الذي أجاره
واستضافه سنة 172هـ/788م⁴، وهناك رأي آخر يقول بأنّ الأمراء الأدارسة كانوا شيعة زيدية، واستخدموا
أسلوب التقيّة لظروف أملت لها الحياة السياسيّة في المغرب الأقصى⁵.

(*) سجل ماسية:

شكّل المعتزلة قسماً من رعايا دولة بني مدرار، فقد كانوا يحيطون بها في تاهرت والمغرب الأقصى⁶، ومن المرجح أنّهم
كانوا من أهل المغرب الأوسط من زناتة الواسليّة، فقد كانوا يرسلون زكاة أموالهم إلى رئيس طائفتهم في عاصمة
الرستميين ليصرفها بمعرفته⁷.

¹ جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 103.

² ابن الصغير، المصدر السابق، ص 83.

³ محمود إسماعيل، الأدارسة، ص 48-49.

⁴ البكري، المغرب، ص 118.

⁵ عبد العزيز غوردو، المرجع السابق، ص 61.

⁶ جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 222.

⁷ محمود إسماعيل، الخوارج، ص 122.

رابعاً: علم أصول الفقه:

1) تعريفه ونشأته:

هو حسب صاحب المقدمة¹: "...النظر في الأدلة الشرعية من حيث تؤخذ منها الأحكام والتأليف"، وكان الفقهاء قبل الشافعي يستخرجون الأحكام الشرعية من النصوص من دون قواعد مدونة إلى أن ألف الشافعي رسالته في أصول الفقه فأصبحت بمثابة قوانين أصولية لمختلف المذاهب، وبالتالي فإن هذا العلم ظهر متأخراً عن العلوم النقلية الأخرى².

2) ظهوره في بلاد المغرب:

من علماء أصول الفقه في إفريقية عبد الرحمن بن عمران الملقب بـ: "الورقة" (208-282هـ/823-895م)، وكان يعتمد اعتماداً كلياً على فقه الإمام سحنون، ويُرجح أنه استنبط الأصول الفقهية من كتاب "المدونة"³، ويذكر الحشني⁴ أنه "...كان واقفاً على الأصول".

كذلك برز في أصول الفقه سعيد بن محمد بن الحداد وهو من فقهاء القيروان ممن لازم سحنون، فكان من أهل النظر والقياس والاجتهاد، وكان يرى التقليد من مثالب أهل العلم⁵، وابن البرزون الذي كان يذهب مذهب النظر⁶، أحمد بن نصر، وابن العبادي، وابن الرخمة⁷، ويحيى بن عمر الكناني الذي كان حسن الاستنباط، عالماً بالاختلافات بين المذاهب⁸.

هناك مجموعة من الفقهاء تخصصت في معرفة أصول الفقه والإحاطة بالمذاهب الأخرى، ومعرفة مسائل الخلاف والانشغال بالرد عليها وإظهار ما فيها من أخطاء في مجالس المناظرة والجدل، ومن بين هؤلاء أبو بكر بن الهذيل (ت299هـ/911م)⁹، وأحمد بن موسى التمار الذي تأثر بمنهج أستاذه سعيد بن الحداد¹⁰.

¹ (ابن خلدون، ص501).

² (أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج1: ص241).

³ (القاضي عياض، تراجم أغلبية، ص254-255).

⁴ (انظر: طبقات علماء إفريقية، ص192).

⁵ (نفسه، ص202).

⁶ (الدباغ، المصدر السابق، ج2: ص261).

⁷ (الحشني، المصدر السابق، ص211-217).

⁸ (الدباغ، المصدر السابق، ج2: ص235).

⁹ (نفسه، ج2: ص266).

¹⁰ (الحشني، المصدر السابق، ص225).

خامساً: التصوّف.

1) نشأة التصوّف:

إرتبط التصوّف بالزهد والتعبّد في عصر الصحابة والتابعين، بظهور جماعة يغلب عليها العلم والفضل والإلتزام الصّارم بأحكام الشّرع، مع إثارة العزلة والتّقشّف في متاع الحياة، وذلك كردّ فعل تلقائي على إنشغال كثير من المسلمين بالتّكاثر المادّي¹، فاختصّ المقبلون على العبادة باسم الصّوفيّة والمتصوّفة لمخالفتهم بقيّة النّاس بلبس الخشن من الثّياب المنسوجة من الصّوف ردّاً على من يتنافس في لبس أفخر الثّياب².

ثمّ ظهرت مرحلة إنتقاليّة بين الزهد والتصوّف تبدأ بما دعا إليه التّابعي مالك بن دينار من ترك التّوابع، والإبتعاد عن الطّعام الشّهوي، مع التّوهم في المزاب، واستحداث العشق الإلهي للتعبير عن الحب بين العبد وربه³. والمرحلة الثالثة هي مرحلة تبلور التصوّف في القرن الثالث الهجري وكان يغلب على الصّوفيّة الأوائل الاعتدال، وترك الغلو، والإبتعاد عن الفلسفات الغريبة، وكان الجنيد والسريّ السقطي من أعلام الصّوفيّة الأوائل⁴.

2) التصوّف في بلاد المغرب حتّى 296هـ/909م:

إرتبط التصوّف في بلاد المغرب بالزهد، فقد هاجر من المشرق عدد من الرّهبان من فقهاء التابعين كسعيد بن المسيّب وإسماعيل بن أبي المهاجر المعروف باسم تاجر الله، فقد كان يلبس ثياباً من الصّوف⁵.

اشتهر من صوفيّة بلاد المغرب شقران بن علي الهمداني أستاذ المتصوّف المعروف ذي النّون المصري، وكان محروماً من نعمة الإبصار، فنشأ زاهداً كثير الوعظ والحكمة، تُحيط به على الدّوام جماعة من مريديه، وبلغت شهرته مصر فسافر إليه ذي النّون المتصوّف، والتقى به وأخذ عنه الكثير من المواعظ والوصايا والرّقائق، والحكم الكثيرة، وعُرف "شقران" بكراماته الكثيرة التي تعلّق بها العامّة في المغرب الأدنى⁶.

من متصوّفة إفريقيّة أبو عقاب غلبون بن الحسن بن غلبون (ت291هـ/903م) من بني الأغلب؛ نشأ في رفاهيّة ومجون، ثمّ تاب وصحب الرّاهد أباهارون الأندلسي في رباط من رباطات إفريقيّة قرب صفاقس، ثمّ ادّعى أنّه لم يأكل ويشرب أربع سنوات زهداً في نعم الدّنيا، وهاجر إلى مكّة أين كانت له "رياضات وسيّاحات"، إلى أن مات بالحرم⁷، والهدف من الرّياضات التّفسيّة مجاهدة الطّبع، وكسر شهوات النّفس، وتعذيب الجسد لتطهير الرّوح⁸.

¹ محمد العبد وطارق عبد الحليم، الصّوفيّة: نشأتها وتطوّرها، الطبعة الثّانية، دار الأرقم، الكويت، 1997م، ص15-17.

² ابن خلدون، المصدر السابق، ص517.

³ محمد العبد وطارق عبد الحليم، المرجع السابق، ص17-18.

⁴ نفسه، ص20-21.

⁵ محمد بركات البيلي، الزّهاد والمتصوّفة في بلاد المغرب حتّى القرن الخامس الهجري، دار النهضة العربيّة، القاهرة، 1993م، ص53-54.

⁶ الدّباغ، المصدر السابق، ج1: ص279-288.

⁷ نفسه، ج2: ص215-217 و224.

⁸ محمد العبد وطارق عبد الحليم، المرجع السابق، ص22.

ومن سلك مسلك الصّوفيّة أبو سليمان ربيع بن عبد الله القيرواني، كان منقطعاً للعبادة والسيّاحة، فغادر إلى المشرق، وسكن جبل اللّكام بالشّام، ومات به¹، وكان السّفر والسيّاحة أسلوباً من أساليب الإعراض عن الدّنيا، وهروباً من فتنة المال والولد، ولقاء زهّاد المشرق والتّبرّك بهم². وأبو القاسم بن مفرّج مولى مهريّة بنت الأغلب بن إبراهيم، والذي كان من العبّاد، والزّهّاد، كثير الحج، والسيّاحة في البراري والبلدان مع مجموعة من الزّهّاد، وله قصص وكرامات³، ومن الذين لهم قصص وكرامات كذلك حفص بن عمر وأبو عثمان الجُزّريّين⁴، ومروان بن أبي شحمة⁵، من الأوّلياء المتعبّدين واصل بن عبيد الله الجُمي (ت 252هـ / 866م) الذي كان "... يُذهل العامّة بطعام يأتيه من حيث لا يدرون"⁶، وعبد الرّحيم بن عبد ربّه، الذي إنقطع عن الزّواج وزهد في ماله، واعتكف في قصر زيّاد حتّى وفاته سنة 247هـ / 861م⁷.

كان لبعض الصّوفيّة مساجد مثل: إبراهيم بن المضّاء الضّريمر من تلاميذ سحنون، وكان مسجده بالدّمنة يُعرف بمسجد الخميس، لأنّ الرّقائق كانت تُقرأ به في هذا اليوم⁸، وكان يجتمع فيه العلماء والزّهّاد والقراء والحفاظ من أجل الذّكر والموعظة، وهي عادة إستهوت عامّة المغاربة⁹، وهذه العادة الصّوفيّة تُسمّى السّماع؛ أي الإستماع إلى قصائد زهدية مرقّقة، أو قصائد ظاهرها الغزل، ويقولون عنها نقصد بها النّبي (ص)¹⁰.

بلغ الإنقطاع عن الدنيا والتّعبّد ببعض المتصوّفة المغاربة إلى درجة التّصريح بقصص غريبة، مثلما هو شأن مُكرم المنستيري، الذي ادّعى أنّه يُحدث الخضر عليه السّلام كلّ ليلة¹¹، وزاد عن ذلك محمّد بن إسماعيل المغربي السّوسي (ت 299هـ / 911م) الذي اقتصر في طعامه على حشائش البريّة زهداً في الدّنيا!، وروّيت له كرامات عديدة أثناء رحلته إلى المشرق أين توفيّ عن مائة وعشرين سنة¹².

¹ الدّباغ، المصدر السابق، ج 2: ص 293-294.

² محمد بركات البيلي، المرجع السابق، ص 59.

³ الدّباغ، المصدر السابق، ج 2: ص 353-356.

⁴ المالكي، المصدر السابق، ج 1: ص 331-332.

⁵ أبو العرب، المصدر السابق، ص 115.

⁶ المالكي، المصدر السابق، ج 1: ص 432-441.

⁷ نفسه، ج 1: ص 430.

⁸ الدّباغ، المصدر السابق، ج 2: ص 174.

⁹ محمد بركات البيلي، المرجع السابق، ص 65.

¹⁰ محمد العبد وطارق عبد الحليم، المرجع السابق، ص 23.

¹¹ المالكي، المصدر السابق، ج 1: ص 420.

¹² الدّباغ، المصدر السابق، ج 2: ص 285-286.

من المتصوّفة كذلك داود بن يحيى (ت249هـ/863م)¹، وأبو جميل السائح والذي كان يلبس الصّوف، ويحضر كلّ جمعة مجلس جبلة بن حمود الفقيه الزّاهد من أجل سماع الرّقائق، وكان يظهر الخشوع والتّأثّر، ثمّ دخل في خدمة الفاطميّين عند قيام دولتهم².

¹ (أبو العرب، المصدر السابق، ص109).

² (الدّبّاغ، المصدر السابق، ج2: ص33).

سادساً: علوم الأدب:

1) علوم النحو واللغة:

أ) تعريفها ونشأتها:

أدت الفتوحات الإسلامية إلى نشر اللغة العربية، وبالأخص لسان قُريش المضري الذي نزل به القرآن، وكان المضريين هم أساس الدُّعاة، والجهاز الحكومي من إدارة وقضاء فساهم ذلك في انتشار لغة القرآن الفصيحة، وارتبط القرآن باللغة العربية حتى صار حفظه وفهمه بؤابة لمعرفة¹، ولكن التطور التدريجي للمجتمع الإسلامي أدى إلى ظهور عوامل التغيير في فصاحة العرب الأولى بسبب نزول العرب في الأمصار واختلاطهم باهلها، وكثرة الجوّاري الأجنبيّات، وترك الإهتمام بقواعد اللغة، فظهر اللحن في النثر والتّجاوز في الشعر لدى الأمراء والخلفاء؛ ناهيك عن العوام²، فاجتهد العلماء في وضع قواعد النحو والصّرف، وذلك بفضل مدرستين: البصرة والكوفة³.

ب) النحو واللغة في عهد الولاة:

برزت في هذه الفترة أسرة آل المهلب في إدارة شؤون ولاية إفريقية بتكليف من بني العبّاس، وكان أولهم وأشهرهم يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب المشهور بالشجاعة والحنكة العسكرية والسياسية، فقد كان من رجال أبي جعفر المنصور، وتولّى له أكبر ولايات المشرق، وعُرف بحبّه للأدب، وإكرامه للشعراء⁴، ورافقه كاتبه أبو علي الحسن بن سعيد البصري (ت 178هـ/794م) أحد أشهر النحاة في البصرة⁵، والذي عُرف في رسائله الديوانية بأسلوب الترسُّل⁶، ثمّ شدّ الرّحال إلى القيروان من المشرق مجموعة من علماء اللغة والنحو، والشعراء، ورواة الأدب، كإبن أبي المنهال إسحاق بن مكرم الأشعري، وكان من حاشية يزيد في المشرق ثمّ رحل إلى القيروان لخدمته، وكان "عالماً أديباً راوياً لأشعار العرب وأخبارها"⁷. منهم كذلك إبن عوانة الكلبي تُوفي سنة 175هـ/791م⁸، وهو عيّاض بن عوانة بن الحكم الكوفي، من بيت أدب وعلم، فكان جدّه عالماً بأيّام وأنساب العرب⁹، وكان أبوه من أهل الفصاحة، ومن علماء الأنساب¹⁰، ومن رواة الفتوح، والأخبار، والشعر، والآثار والحديث¹¹، في حين عُرف عيّاض

¹ حسين الحاج حسن، المرجع السابق، ص 301.

² محمد فتوح، تاريخ الأدب العربي، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين، بيروت، 1981م، ج 4، ص 38-39.

³ بطرس البستاني، أدباء العرب في العصر العبّاسية، دار مارون عبّود، بيروت، 1979م، ص 159.

⁴ الرّقيق، المصدر السابق، ص 85-86.

⁵ حسن حسني عبد الوهاب، وقات، ص 162.

⁶ محمد زيتون، المرجع السابق، ص 226.

⁷ الرّقيق، المصدر السابق، ص 90.

⁸ حسن حسني عبد الوهاب، وقات، ص 160.

⁹ الزبيدي، طبقات التّحويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، 1984م، ص 226.

¹⁰ بكر أبوزيد، طبقات النّسائين، الطبعة الأولى، دار الرشد، الرياض، 1987م، ص 32.

¹¹ إبن التّلم، المصدر السابق، ص 103.

بتبحُّره في علم النَّحو، فغادر إلى القيروان¹، وذلك سنة 155هـ/771م، ودَّرس بها الأدب، واللغة، والنحو²، فبرز من تلاميذه أبو الوليد المهري³.

من العارفين باللغة والأدب يونس النحوي (ت182هـ/798م)، وهو أبو عبد الرَّحمان بن حبيب الضَّبي⁴، البصري، روى عنه سيبويه، والكسائي⁵، والفراء⁶، وبلغ من الإحاطة بعلوم اللِّغة أنَّ أعراب البادية كانوا يحضرون حلقاته في البصرة⁷، ثُمَّ وفد على ابن مدينته يزيد بن حاتم لما تولَّى إمارة القيروان، واستهدف تطويرها من الناحية العلميَّة والأدبيَّة بعد أن شرع في تحسينها عمرانيًّا، واقتصاديًّا وإداريًّا لتُضاهي بغداد ومدائن المشرق الكبرى⁸.

أمَّا قتيبة الجعفي فأخذ علوم اللِّغة عن الكسائي، وحلَّ بالقيروان ليكون من حاشيَّة الأمير يزيد بن حاتم، وعمل على نشر علمه بين المهتمِّين بالأدب، فرووا عنه أشعار وتراث العرب، وعاد إلى المشرق بعد نهاية ولاية يزيد⁹.

يُعد خالد بن ربيعة (توفي بعد 140هـ/757م) أوَّل أديب بارز من الذين وُلدوا في إفريقية، رحل مُبكِّرًا إلى المشرق، واستقرَّ بالشَّام أيام هشام بن عبد الملك، واحتكَّ بأعيان اللُّغويِّين والنُّحاة وأعيان الأدباء، وبالأخص منهم عبد الحميد الكاتب¹⁰، وتمرَّس في الكتابة من خلال عمله في دواوين دمشق¹¹، وحينما عاد إلى إفريقية تولَّى الكتابة لعبد الرَّحمان بن حبيب الفهري¹²، وجمعت رسائله الديوانية في كتاب من مائتي ورقة¹³.

¹ (ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م، ص2136).

² (حسن حسني عبد الوهاب، وركات، ص158).

³ (الزبيدي، المصدر السابق، ص226).

⁴ (نفسه، ص51 و53).

⁵ (الكسائي: هو أبو الحسن علي بن حمزة الأسدي الكوفي (ت189هـ/804م)، مؤدِّب أبناء الرُّشيد، كان إمام علوم اللِّغة في العراق. أنظر: الزبيدي، المصدر السابق، ص227-230).

⁶ (الفراء: هو أبو زكريَّا يحيى بن زبَّاد الدَّيلملي الكوفي (ت207هـ/822م) وله كتاب في تفسير القرآن إعتماذًا على علوم اللِّغة،

أنظر: الزبيدي، المصدر السابق، ص131-133).

⁷ (السَّيرافي، أخبار النُّحويِّين البصريِّين، تحقيق: طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي، الطبعة الأولى، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1955م، ص27).

⁸ (حسن حسني عبد الوهاب، وركات، ص147).

⁹ (نفسه، ص148-149).

¹⁰ (حسن حسني عبد الوهاب، وركات، ص151).

¹¹ (ابن التَّلم، المصدر السابق، ص131).

¹² (حسن حسني عبد الوهاب، وركات، ص152).

¹³ (ابن التَّلم، المصدر السابق، ص131).

هذا العدد المعتر من الأدباء وعلماء اللغة المشاركة من مدارس عريقة كالكوفة والبصرة يُوضّح لنا الحراك الأدبي الذي كان تعيشه مدينة القيروان بشكل يُحاكي مُدُن المشرق، على الرّغم من فقدان أغلب المؤلّفات التي تركها هؤلاء العلماء والأدباء فإنّ تواجدهم هيّا المجال لنهضة أدبية وعلمية في القرن الثالث هجري وما بعده¹.

ج) عهد الدّول المستقلّة:

— عند الأغالبة:

إنشرت ظاهرة الفقهاء المتأدبين بشكل لافت في بلاد المغرب، بسبب الرّصيد الثّقافي الذي يكتسبه طالب العلم الشرعي في طفولته وشبابه من تحصيل المعارف الأدبية الضرورية لفهم النصّ الديني، ولكن هذا لا يعني أنّ الفقهاء أبدعوا في هذا المجال، بل تفاوتت قدراتهم في الإبداع الأدبي فطغى على كثير منهم التّكلّف².

عرف طريق الشّهرة من علماء إفريقية في النّحو واللّغة أبو الوليد عبد الملك بن قُطن المهري (ت253هـ/ 867م) فقد قال عنه الزّبيدي³: "شيخ أهل اللغة والعربية والنّحو والرّواية، والمقدّم في عهده وزمانه عليهم، وكان من أحفظ النّاس لكلام العرب وأشعارها ووقائعها وأيامها"، ترك مؤلّفات كثيرة؛ من أهمّها "تفسير مغازي الواقدي"، وكتاب الألفاظ، واشتقاق الأسماء، وله خطبة طويلة فصيحة ألفاها على زيادة الله الأوّل⁴، وكانت الأشعار المشروحة تُلقى عليه مُجرّدة من الشّرح، فيشرحها ويُبيّن معانيها لتلاميذه دون خطأ⁵.

إضافة إلى خلف بن مختار الطرابلسي (215-290هـ/ 830-902م)⁶، وأحمد بن محمّد التونسي المدني، من علماء النّحو والعروض⁷، وسعيد بن محمّد الحدّاد الفقيه والأصولي والمحدّث من أهل البيان؛ وروى الحشني⁸ أنّه: "...إذا لحن في لفظه إستغفر الله وأعاد الكلام مُعرباً"، وكان قليل الشّعْر مُجيداً له.

من علماء اللغة ممّن دخلوا إفريقية في العصر الأغلي الطيب اليهودي إسحاق بن سليمان، والذي كان "...لَسِنًا عالمًا بتقاسيم الكلام، وتفرّيع المعاني"⁹، وإسماعيل بن يوسف الطّلاء المنجّم¹⁰، وعيسى بن مسكين وكان من أهل الفصاحة والمعرفة باللغة العربية وفنونها، بلغ من مكانته أن تفاخر به المغاربة في العراق؛ فيسألونهم: هل

¹ محمّد زيتون، المرجع السابق، ص227.

² إبراهيم حرّكات، المرجع السابق، ص180.

³ الزبيدي، المصدر السابق، ص229.

⁴ ياقوت، معجم الأدباء، ص2859.

⁵ المالكي، المصدر السابق، ج1: ص403-404.

⁶ الزبيدي، المصدر السابق، ص237-238.

⁷ نفسه، ص237.

⁸ انظر: طبقات علماء إفريقية، ص202.

⁹ سليمان ابن جليل الأندلسي، طبقات الأدباء والحكماء، تحقيق: فؤاد السيّد، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت، ص87.

¹⁰ الزبيدي، المصدر السابق، ص241.

عندكم مثل عيسى بن مسكين، وروى في ذلك صاحب الديباج¹: "أدخلني عيسى بن مسكين إلى بيت مملوء بالكتب، ثم قال لي: كلّها رواية؛ وما فيها كلمة غريبة إلّا وأنا أحفظ لها شاهداً من كلام العرب". ومنهم كذلك: أبو علي السبّخي المكفوف²، وابن الوزان القيرواني (ت346هـ/957م) الذي كان فقيهاً حنفياً، وُصف بإمام اللغة العربيّة والنحو والعروض، وترك في ذلك كُتُباً كثيرة³.

نقف هنا أمام قولٍ للزبيدي⁴ فيه بضع مُبالغة: "...كان أبو محمّد المكفوف (ت308هـ/920م) من أعلم خلق الله بالعربيّة والغريب، والشعر، وتفسير المشروحات، وأتّام العرب، وأخبارها، ووقائعها"، وألّف كثيراً من المصنّفات في اللغة، وشرح دواوين العرب، وغريب الألفاظ، وله كتاب مرجعي في علم العروض. الملاحظ أنّه وُجدت مجموعة من المصنّفات الأساسيّة في علوم اللغة يُعتبر حفظها معياراً للتّمكّن في هذا العلم مثال ذلك مُقارنة صاحب مُعجم الأدباء⁵ لابن الوزان -المذكور آنفاً- بالميرد⁶، وتعلّب بسبب حفظه لكتاب "العين"⁷ للخليل بن أحمد الفراهيدي⁸، و"غريب المصنّف" لأبي عُبيد، و"إصلاح المنطق" لابن السكيت، وكتب سيبويه، والفراء.

—عند الرستميين:

لقد تميّز علماء الإباضيّة بالبراعة في ميدان الأدب واللغة العربيّة، وما يتّصلُ بهما. وهوّ ما نستنتجه - في ذلك ظلّ غياب الشّواهد التّاريخيّة - من ارتباط مذهبهم بالبصرة، وهيّ من أهمّ مراكز علم النّحو في تلك المرحلة من التّاريخ الإسلامي⁹.

من علماء تاهرت في ميدان النّحو واللغة أبو عبيدة الأعرج، الذي جلب له ابن الصّغير كتاب إصلاح الغلط لابن قتيبة الدّينوري ليسمع منه شرحه نظراً لبراعته في اللغة¹⁰.

¹ (ابن فرحون، ص280).

² (الزبيدي، المصدر السابق، ص242).

³ (ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص89-90).

⁴ (الزبيدي، المصدر السابق، ص236).

⁵ (ياقوت الحموي، ص90).

⁶ (أبو العباس محمّد بن يزيد (ت285هـ/898م)، علامة في الأدب والتّاريخ، له كتاب الكامل في التّاريخ، ونسب عدنان وقحطان، وأسماء الدّواهي من العرب، أنظر: بكر أبوزيد، المرجع السابق، ص70).

⁷ (كتاب "العين" أساس ضبط وإجادة الألفاظ اللّغويّة، وهوّ موسوعة تشمل جميع ألفاظ العربيّة، في ثمانية وأربعين جزء. أنظر: السّيرافي، المصدر السابق، ص30، وابن التّسم، المصدر السابق، ج2 ص49).

⁸ (هوّ أبو عبد الرّحمان الأزدي (100-174هـ/718-790م) إهتمّ بمسائل النّحو القياسيّة، وجمع أشعار العرب، وابتكر علم العروض، وهوّ أستاذ سيبويه، أنظر: السّيرافي، المصدر السابق، ص30-31).

⁹ (إبراهيم بخاز، الدّولة الرستميّة، ص351).

¹⁰ (ابن الصّغير، المصدر السابق، ص84).

توجد بعض الرسائل التي كتبها الأئمة الرستميون هي ما تبقى من كتابات نثرية تبدو غزيرة في فترة شهدت الكثير من المحادلات والمناظرات، ولكنها كتبت في الأصل بالأمازيغية، وتم تعريبها لاحقاً، أي أنه من غير الممكن الجزم بوجود نثر باللغة العربية في هذا العصر إلا القليل، وهي رسائل الأئمة كما سلف الذكر¹.

من نماذج الرسائل الديوانية التي كتبها أفلح بن عبد الوهاب إلى عامله على نفزاوة ميال بن يوسف في شأن نفاث النفوسي: "...بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم من أفلح بن عبد الوهاب إلى ميال بن يوسف، يقرأه على من بحضرته، ويوجهه إلى كل من يرى توجيهه إليه، (أما بعد) فالحمد لله المحسن إلى أوليائه المنعم عليهم، بحسن بلائه معز أهل طاعته وناصر القائمين بحقه فليس من اتبع أمره بمخذول، (أحمده) على ما أنعم به علينا، وأحسن فيه إلينا، حمداً أبلغ به رضائه وأستوجب به المزيد إنّه قدير.... إلخ"².

2) الشعر:

أ) الشعر في عهد الولاة:

يذكر بروكلمان³ أنّ الشعر العربي عرف بداية الإزدهار والتّضج في النّصف الثاني من فترة الخلافة الأموية، وارتبط الشعر باللسان العربي، فدخل إفريقية مع جيوش الفاتحين، واحتفظت المصادر ببعض القصائد التي تمحورت حول الحث على القتال، ومدح الشّجاعة وغيرها من صفات العرب الحميدة كالحنكة والجود والرأي السديد، مع ذم البربر والخوارج في ما بعد⁴.

هذا التقليد رافق ولاة القيروان من المشرق إلى مجالسهم الأدبية في إفريقية، والتي أرادوها أن تكون مظهرًا من مظاهر التّحضّر والدّعاية السياسيّة، وواجهة تعكس الإستقرار والإزدهار، فيزيد بن حاتم المهلبي مثلاً توافد عليه من المشرق عدد من الشعراء يمدحونه لما عُرف عنه من الجود والكرم والعناية بالشّعراء، كعامر التّيمي⁵، وربيعة بن ثابت الرّقي الأسدي الذي مدحه بأشعار كثيرة؛ اشتهر منها⁶:

لشتان مابين اليزيديين في التدي---يزيد سليم والأغر بن حاتم.

والمسهر التّيمي، وله قصيدة شهيرة في مدحه؛ مطلعها⁷:

إليك قصّرنا النّصف من صلواتنا---مسيرة شهر ثمّ شهر نواصله

فلا نحن نخشى أن يخيب رجاؤنا---لديك ولكن أهنأ البرّ عاجله

في فترة لاحقة تولّى أمور طرابلس وقفصة وقصطيلية الشّاعر أبو غيّنة بن محمد المهلبي، وكانت له مجالس

¹ إبراهيم بخاز، الدولة الرستمية، ص 356.

² الباروني، المرجع السابق، ص 96.

³ انظر: تاريخ الأدب العربي، الجزء الأول، ترجمة: عبد الحليم النجار، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة، د.ت. ج 1: ص 187-188.

⁴ محمد زيتون، المرجع السابق، ص 219.

⁵ نفسه، ص 223.

⁶ الرّقيق، المصدر السابق، ص 87.

⁷ محمد زيتون، المرجع السابق، ص 224.

يُقرأ فيها الشَّعر، وكُتِّبَ ينسخون له الدواوين¹.

ب) في عهد الدَّولِ المستقلَّة:

— عند الأغالبة:

شهدت إفريقيَّة في مرحلة حكم الأغالبة ظهور شعراء مُبرزين من العرب والبربر إمتلكوا ناصيَّة اللِّغة، وقوَّة التعبير بما يُضاهي نظرائهم المشاركة، فكان الفقهاء والزَّهاد بما يمتلكونه من ثروة لغويَّة، وكمَّ هائل من الإحاطة بمفردات العربيَّة الصَّعبة، ينظمون قصائد في فنِّ الرِّثاء أو الحكمة والزَّهد².

من الفقهاء الذين برعوا في اللِّغة والشَّعر القاضي أبو محرز الكِناني الأندلسي (ت 204هـ/819م)، فقد كان "يصنع الشَّعر ويُجيدُه"³، وأبو عقَّال سعيد بن محمَّد بن جرير كاتب القاضي سليمان بن عمران، فقد قال في رثائه⁴:

رجع الخُصُومُ وخَلَفُوا عِلْمَ الْهُدَى --- في باب سَلَمٍ لا يزال مُمْتَعَا

أَتَتِ الْمَنِيَّةُ إِذْ تَلَبَّبَ قَاضِيًا --- خمسين عامًا واثنتين وأربعًا.

والفقيه الزَّاهد العابد أبي الأحوص، وله في الزَّهد⁵:

أبو أن يرقدوا اللَّيل --- فَهُمْ لِلَّهِ قُورَامُ

أبو أن يُفطروا الدَّهر --- فَهُمْ لِلَّهِ صُورَامُ

أبو أن يخدموا الدُّنيا --- فَهُمْ لِلَّهِ خُدَّامُ.

ولأبي جعفر حمديس القطَّان الأشعري في الزَّهد⁶:

بيد الله دوائي --- الَّذِي يَعْلَمُ دَائِي

إنَّما أظلم نفسي --- باتِّباعي لهوائي

كلَّما داويت دائي --- غلب الدَّاءُ دوائي

من الذين برزوا في الشَّعر من الفقهاء محمَّد بن زرزور، وهو في حقيقة الأمر ظاهرة فريدة في الحياة العلميَّة

¹ (الزِّيقي، المصدر السابق، ص 105-106).

² (حوالة، المرجع السابق، ج 2: ص 228).

³ (الدِّبَاغ، المصدر السابق، ج 2: ص 30).

⁴ (نفسه، ج 2: ص 157).

⁵ (المالكي، المصدر السابق، ج 1: ص 483).

⁶ (نفسه، ج 1: ص 490).

في القيروان الأغلبية، إذ كان يحفظ كثيرًا من دواوين العرب، وأخبارها، وأشعارها¹، ويرويها، وله شعر كثير ضاع أغلبه، كان أكثره ذو مسحة دينية تعكس بشكل تام شخصية هذا المفسر والفقيه الحنفي²، وله³:

تهتِك السُّرْعَن ذِي الْبَغْيِ وَالْفَنْدِ --- وَحَصَّصَ الْحَقُّ أَهْلَ الْبَغْيِ وَاللَّدِ
وَأَيَقَنَ الْمُشْرِكُ الدَّاعِيَ لَهُ وَلَدًا: --- بَأَنَّهُ اللَّهُ لَمْ يُوَلِّدْ وَلَمْ يَلِدْ.

كان الفقيه الزاهد يحيى بن عمر الأندلسي معروف بأشعار الزهد والحكمة، والتي إستخدمها وسيلة دعاية دينية بمفهوما الحالي، وله في الحكمة:

إخْفِضِ الصَّوْتِ إِنْ نَطَقْتَ بِلَيْلٍ --- وَالتَفَتِ بِالنَّهَارِ قَبْلَ الْكَلَامِ⁴.

يذكر صاحب رياض النفوس⁵ ظاهرة وجود قوالين في حوالي 299هـ/911م يقولون ما يحفظون من شعر الزهد في المساجد، ليتباكى المصلون، فيُتبعونها بتلاوة آيات قرآنية برهبة وخشوع، ومن أقوالهم⁶:

دَعِ الدُّنْيَا لِمَنْ جَهَلَ الصَّوَابَ --- فَقَدْ خَسِرَ الْمُحِبُّ لَهَا وَخَابَا
وَمَا الدُّنْيَا - وَإِنْ رَاقَتْكَ - إِلَّا --- كَبْلَقَعَةٍ رَأَيْتَ بِهَا صَوَابًا.

لم يقتصر شعر الفقهاء على الزهد والحكمة وأغراض الشعر التي تنسجم مع وقارهم الديني، فمنهم من تجاوز ذلك إلى ألوان أخرى، كالفقيه والأديب الحلواني؛ وهو أبو الحسن عبد الكريم بن فضال؛ وله شعر حول مدينته القيروان؛ مزج فيه بين أغراض شعرية متعددة، ومنها قصيدة مطلعها رثاء:

لِلَّهِ مَنْزِلَةٌ بِالْقَيْرَوَانِ مَحَا --- آيَاتُهَا الْبَيِّنُ لَا الْإِيَّامُ وَالْقَدَمُ⁷.

كما امتلك عدد من علماء الكلام ناصية اللغة فبرعوا في علومها، واسترسلوا في نظم الشعر، ولعل أشهرهم العتق محمد بن سالم الطرابلسي، وكذلك علماء اللغة والتحو كإبن غورك، وأحمد بن أبي الأسود، وأبومالك الطرماح، وعلي بن الحضرمي، وأبو السميدع، والقياس الجهني، والخروفي، وإبن أبي عاصم اللؤلؤي⁸. من الفقهاء الذين برزوا في الشعر أبو عقاب غلبون بن الحسن بن غلبون من تلاميذ الإمام سحنون، وكان فصيحًا أديبًا شاعرًا، وهو امتداد لثقافة الأسرة الأغلبية القائمة على الإهتمام بالأدب، وكان يعيش في مجون ورفاهية، ثم تزهد، وله في ذلك أشعار كثيرة⁹.

¹ (الدباغ، المصدر السابق، ج 1: ص 248.

² (المالكي، المصدر السابق، ج 1: ص 515.

³ (الدباغ، المصدر السابق، ج 1: ص 248.

⁴ (المالكي، المصدر السابق، ج 1: ص 498.

⁵ (نفسه، ج 1: ص 496.

⁶ (الدباغ، المصدر السابق، ج 1: ص 157.

⁷ (نفسه، ج 1: ص 16.

⁸ (الزبيدي، المصدر السابق، ص 225، 233 و 239 و 243.

⁹ (الدباغ، المصدر السابق، ج 2: ص 214-222.

هناك من اهتم بالشعر في بداية حياته، ولكن بيئة إفريقية القائمة على العناية بالعلوم الشرعية، أثرت عليه فترك الشعر إلى الفقه، مثلما حدث لأحمد بن أبي سليمان الصوّاف، الذي امتلك مُيولاً شعرية في شبابه، ولكنه إتجه إلى التدريس والإفتاء لأسباب مادية¹، فوجهه والده بنوع من الصّعوبات غير مباشرة إلى الحلقات العلمية لسحنون، فأصبح كثير الحكمة مُقللاً في شعره، قال²:

يا لذة قَصُرَتْ وطال بلاؤها---عند التذكّر في الزّمان الأول
لما تذكّرها وقال ندامة---من بعدها يا ليتني لم أفعل.

لأحمد بن أبي سليمان حادثة مع الشاعر بكر بن حماد تنبئ عن إحاطته بمعاني وألفاظ اللغة، فقد أنشد ابن حماد في حضرته، قصيدة آخرها:

فيا سُبحان من أرسى الرّواسي---وأوتدها على السّبع الشّداد.

فصح له ابن أبي سليمان بأنّ الأدقّ هو أن يقول "فأوتدها مع السّبع الشّداد" لأنّ المعنى الأوّل هو رفع الجبال فوق السّماوات وإنزال السّماوات تحت الجبال، فأخبره الشاعر أنّه أنشد البيت في العراق، ومصر، وتاهرت، فلم ينتبه أحد لهذا الخطأ قبله³.

اعتنى الأديب أبو اليُسّر الشّيباني بالشعر، والواضح أنّه كان موسوعة في أشعار العرب، فقد احتكّ في المشرق بشعراء مُجيدين كأبي تمام⁴، ودعبل الخزاعي⁵، والبحتري⁶، وأدخل إلى إفريقية كثيراً من أشعار المشارق⁷، وقد ظلّت روايته موصولة السند في الأندلس والمغرب حتّى القرن السابع الهجري⁸، وترك من المصنّفات: سراج الهدى في معاني القرآن وإعرابه، وشكله، ومسند في الحديث، ولقط المرجان في الأدب، وقطب الأدب، والمرصّعة والمدبّجة وهي رسائل أدبية، والوحيدة والمؤنسة⁹.

¹ إبراهيم حرّكات، المرجع السابق، ص 180-181.

² الدّباغ، المصدر السابق، ج 2: ص 208 و 211.

³ المالكي، المصدر السابق، ج 1: ص 507-508.

⁴ حبيب بن أوس الطائي (192-231هـ/807-846م)، شاعر شامي من أصول مسيحية، هاجر شاباً إلى مصر، ثمّ نحو العراق، فالشّام، فأرمينية، فخراسان أين تفرّغ لتأليف كتبه الخمسة، كما كان خطيباً بارعاً، وله شعر كثير في الحكمة، وجمال الأسلوب، وقوة المعاني، له من الكتب: الحماسة وهو الأشهر، والاختيارات من شعر الشعراء، والاختيارات من شعر القبائل، وكتاب الفحول، أنظر: ابن التّلم، المصدر السابق، ص 190، وكارل بروكلمان، تاريخ الأدب، ج 2: ص 71-74.

⁵ هو أبو جعفر الحسن بن علي الكوفي، عرف بمغامراته الكثيرة، وهجائه السّوقي الشّديد الفحش، وعلى التّقيّض برز في مدح النّبي (ص) وأهله، وعاش أكثر أيامه في بغداد، أنظر: كارل بروكلمان، تاريخ الأدب، ج 2: ص 39-40.

⁶ هو الوليد بن عبادة الطائي (206-284هـ/821-897م)، من مواليد منبج في الشّام، احتكّ بأبي تمام ولازمه فأوصى به لاعتبارات عصبية، لازم الخليفة العبّاسي المتوكل، ومدحه ومدح كبار حاشيته، وهو شاعر مُجدّد وبالأخص في الوصف، له من الكتب: الحماسة، ومعاني الشعراء، أنظر: ابن التّلم، المصدر السابق، ص 190، وكارل بروكلمان، تاريخ الأدب، ج 2: ص 48-50.

⁷ محمّد فزوخ، المرجع السابق، ج 4: ص 154-155.

⁸ محمّد بن شريفة، أبو تمام وأبو الطّيب في أدب المغاربة، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م، ص 10.

⁹ حسن حسني عبد الوهاب، ورفات، ص 246.

من الشعراء أيضًا التّحوي المكفوف عبد الله الشّرقى الذي كانت له أشعار وأراجيز، وأحمد بن إبراهيم اللؤلؤي القيرواني (272-318هـ/886-930م) وكان ذو نزعة تقليديّة، حيث كان من حفظة شعر القدامى ويعمل على تقليدهم¹، وقام بشرح كثير من دواوين شعراء العرب²، ولم يكن يتكسّب بشعره، ثمّ عدل عنه في أواخر أيامه إلى العناية بالحديث والفقه³، ومن شعره مقلّدًا إمروء القيس⁴:

أيا طلل الحيّ الذين تحمّلوا---بوادي الغضا كيف الأحبة والحال؟
وكيف قضيب المال والقمر الذي---بوجنته ماء الملاحه سيال؟⁵

هناك من الشعراء من لزم الشعر وحده، متّخذًا إيّاه أداة للكسب، ومنهم: سعدون بن سعيد الوريثي، والذي كان خاصًّا بالأمراء الأغالبة؛ يمدحهم، ثمّ مدح الفاطميّين بعدهم، ورثى الفقهاء الذين تمتّعوا بشعبيّة كبيرة إمعانًا في التّرويح لشعره، مثل قصيدته التي رثى فيها الفقيه يحيى بن عمر⁶.

يُعتبر شعر الأسرة الأغلبيّة لونًا قائمًا بذاته، من خلال تصويره حياة الأسرة الحاكمة في رقادة، من إنتصارات وحروب، وانكسارات ومحن، وفيه حتّى الغزل الرقيق، والشكوى، وغيرها⁷، فزيادة الله الأوّل كان فصيحًا، يصوغ الشعر الجيّد، وكان أكثر الأغالبة بيانًا "يُعرب كلامه ولا يلحن"⁸. ومن هذه الأسرة كذلك مهريّة بنت الحسن بن غلبون التّميمي، والتي ساهمت نشأتها في بيت شعر وأدب في صقل موهبتها، وكانت أغلب قصائدها تميل إلى التّصوّف، ويبدو على حياتها مسحة من التّدين والزّهد؛ وتوفيت حاجّة أو معتمرة في مكّة سنة 295هـ/908م⁹. من الذين اهتمّوا بعلوم الأدب من الأغالبة الأمير محمّد بن زيادة الله بن محمّد بن الأغلب، وكان واليًا لطرابلس، وكان عالمًا أدبيًّا، وشاعرًا خطيبًا، ومن شعره¹⁰:

وممّا شجى قلبي بتوزر أنّي---تناءيت عن دار الأحبة والقصر.
غريبًا، فليت الله لم يخلق النوى-ولم يجر بيننا آخر الدّهر.

¹ محمد فروخ، المرجع السابق، ج4: ص160.

² جلال الدّين السيوطي، بغية الوعاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار الفكر، د.م.ن، 1979م، ج1: ص293.

³ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص171.

⁴ محمّد فتوخ، المرجع السابق، ج4: ص160.

⁵ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ص171.

⁶ المالكي، المصدر السابق، ج1: ص501.

⁷ إبراهيم حرّكات، المرجع السابق، ص182.

⁸ محمد بن عبد الله ابن الآبار القضاعي، الحلة السّيراء، تحقيق: حسين مؤنس، الطبعة الثانية، دار المعارف، 1985م، ج1: ص163.

⁹ محمّد فتوخ، المرجع السابق، ج4: ص150.

¹⁰ ابن الآبار، المصدر السابق، ج1: ص179-181.

— عند الرستميين:

كان أئمة تاهرت رجال علم وأدب وثقافة، وبرز من بينهم في ميدان الشعر الإمام أفلح بن عبد الوهّاب، وله قصيدة مشهورة نظمها في أربعة وأربعين بيتاً، وهي المعروفة من قصائده، وهي من النوع التربوي التعليمي يُشجّع الإمام فيها طلبته على طلب العلم، فيقول فيها¹:

العلمُ أبقى لأهل العلم آثاراً-- يُريك أشخاصهم روحاً وأبكاراً

حيٌّ وإن مات ذو علم وذو ورع--- مامات عبد قضي من ذاك أوطاراً.

أما الظاهرة الشعرية المغربية في القرن الثالث الهجري فكانت؛ بكر بن حمّاد التاهري (200-296هـ/815-909م)، واللافت للانتباه أنّه أمازيغي من قبيلة زناتة، نشأ في تاهرت، ثمّ غادر إلى القيروان، فقرأ القرآن على عون بن يوسف الخزاعي، وأخذ الفقه من سحنون²، وغادر إلى المشرق سنة 217هـ/832م، فطاف بالبصرة³، والكوفة، واستقرّ في بغداد⁴، واحتكّ فيها بالعلماء والأدباء كابن الأعرابي، وأبي حاتم السجستاني⁵، والشّعراء كدعبل الخزاعي، وأبي تمام، كما تكسّب فيها بشعره ومدح الخليفة العباسي المعتصم⁶، وكان إلى جانب ذلك فقيه، من أصحاب الحديث "عالماً برجاله"⁷، ومن شعره في تحريض المعتصم على دعبل الخزاعي⁸:

أيهجو أمير المؤمنين ورهطه— ويمشي على الأرض العريضة دعبل.

إلى أن يقول:

وعاتبني فيه حبيب وقال لي— لسانك محذور وسمك يقتل.

عاد إلى القيروان في فترة متأخرة من حياته (274هـ/887م) ودرّس فيها العلم والأدب، ومدح إبراهيم بن أحمد الأغلبي—على مساوئه الكبيرة— من أجل المال، وشارك في فتنه سنة 282هـ/895م بتاهرت⁹، كما مدح عبد الله الأغلبي وزيّادة الله الثاني، ولازم الوزير الأديب ابن الصّائغ، وقد أدخل إلى إفريقية دواوين شعر من إلتقاهم من المشاركة، كما روى الكثير من الأحاديث¹⁰. ولكنّ التكوين الديني لابن حمّاد ما انفكّ يؤثّر على نفسيّته بين الفئنة والأخرى، فنجدّه نظم أبياتاً كثيرة في الزّهد، والمواعظ، وذكر الموت، ومنها¹¹:

¹ إبراهيم بخاز، الدولة الرستمية، ص360.

² محمد فتوخ، المرجع السابق، ج4: ص151.

³ الدبّاغ، المصدر السابق، ج2: ص281.

⁴ حسن حسني عبد الوهّاب، ورقات، ص255-256.

⁵ الدبّاغ، المصدر السابق، ج2: ص281.

⁶ حسن حسني عبد الوهّاب، ورقات، ص255-256.

⁷ خير الدين الزركلي، الأعلام، الطبعة الخامسة عشر، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م، ج2: ص63.

⁸ محمد بن شريفة، المرجع السابق، ص36.

⁹ محمد فتوخ، المرجع السابق، ج4: ص151.

¹⁰ حسن حسني عبد الوهّاب، ورقات، ص256.

¹¹ الدبّاغ، المصدر السابق، ج2: ص282.

زُرنا منازل قوم لا يزورونا-----إنّا لفي غفلةٍ عمّا يُقاسونا
لو ينطقون لقالوا: الزّاد ويحكم- -جدّ الرّحيل فما يرجوا المُلأقُونَا؟
الموت أصبح بالدُّنيا يُخرّبُها-----وفعلنا فعلُ قوم لا يموتونا.
فالآن فابكوا فقد حقّ البكاء لَكُمْ-فالحاملون لِعرش الله باكونا
ماذا عسى تنفع الدُّنيا مُجمّعها--لو كان جُمع فيها مالٌ قارونا.

من أشهر قصائده ما ردّ به على عمران بن حطّان الخارجي حينما مدح عبد الرّحمن بن ملجم قاتل الإمام علي بن أبي طالب (رضي)، فيقول¹:

قُل لابن ملجم والأقدار غالبية---هدّمت ويلك للإسلام أركاننا
قَتَلْتَ أَفْضَلَ مِنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمٍ---وأَوَّلُ النَّاسِ إِسْلَامًا وَإِيمَانًا.

وأضاف:

إِنِّي لِأَحْسِبُهُ مَا كَانَ مِنْ بَشَرٍ---يَخْشَى الْمِعَادَ وَلَكِنْ كَانَ شَيْطَانًا.

وزاد أيضًا:

فلا عفى الله عنه ما تحمّله---ولا سقى قبر عمران بن حطّان
بقوله في شقيّ ظلّ مُجترمًا---ونال ما ناله ظلّمًا وعُدوانًا.

- عند الأُدراسة:

كانت موهبة الشّعر من معارف شتّى برع فيها إدريس الثّاني، إذ لقّنه راشد مولى أبيه من جملة كثير من العلوم، أشعار وأمثال العرب وحكمها²، فنشأ شاعرًا مجيدًا، ومن نظمه³:

أليسَ أبونا هاشم شدّ أزره---وأوصا بنيه بالطّعان والضّرب
فلسنا نَمَلُ الحرب حتّى تملّنا---ولا نشكي ممّا يؤول إلى النّصب
ولا كُنّا أهل الحقائق والثّهي---إذا طار أرواح الكُماة من الرّعب.

وله قصيدة شهيرة يُحذّر فيها وزيره البهلُول بن عبد الواحد المدغري من مكر إبراهيم بن الأغلب، بعد أن حرّضه على الإنشقاق عليه؛ مطلعها:

أبهلُول حملت نفسك خطّة---تبدّلت منها ضلّة برشاد
أضلّك إبراهيم مع بُعد داره---فأصبحت منقادًا بغير قياد.

¹ إبراهيم بن حجاز، الدّولة الرستميّة، ص 365-366.

² (الجزنائي، المصدر السابق، ص 15-16).

³ (أحمد ابن القاضي المكناسي الفاسي، جذوة الإقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام بمدينة فاس، طبعة حجرية، دار المنصور للطباعة والوراقة، فاس، 1973م، ص 31).

كأنك لم تسمع بمكر ابن أغلب---وما قد رمى بالكيد كل بلاد¹.

ومن دون ما متت نفسك خاليًا---وما منك إبراهيم خرط قتاد².

كما أرسل إلى إبراهيم كتابًا، ذيل به أبيات يُذكر فيها بنسبه الشريف:

أذكر إبراهيم حقَّ محمد---وعترته والحقُّ خير مقول

وأدعوه للأمر الذي فيه رُشده---وما هؤلولا رأيته بجهول

فإن أثر الدنيا فإنَّ له---زلازل يوم للعقاب طويل.

وله في الغزل³:

لومال صبري بصبر الناس كلهم---لضلَّ في روعتي أو ضلَّ في جزعي

وكيف يصبر مطويَّ هضائمه---على وساوس همٍّ غير منقطع

إذا الهموم توافت بعد هجعنه---كرت عليه بكأس مرّة الجرع.

-في إمارة نكور:

كان الشعر أداة سياسية ودعائية وبخاصة في الحروب، فإمارة نكور برز بها عدد من الشعراء والأدباء المجيدين، كأَيُّوب بن إبراهيم النكوري⁴، والأحمس الطُّليطلي الذي هجا عبيد الله الفاطمي فردَّ عليه بحملة عسكرية سنة 305هـ/917م⁵، وكان هذا الشاعر من أهل الأندلس ومُلازمًا لبلاط آل صالح الحِميري، وقال في الفاطمي:

كذبت وبين الله لا تحسنُ العدلا---ولا علم الرّحمان من قولك الفضلا

فما كنت إلّا جاهلاً ومُناقفا---تُمثّلُ للجُهاّل في السُّنة المثلا

وهمّتنا الدنيا لدين مُحمّد---وقد جعل الرّحمان همّتك السّفلا⁶.

¹ (السلّوي الناصري، المرجع السابق، ج 1: ص 72).

² (ابن الآبار، المصدر السابق، ج 1: ص 55).

³ (نفسه، ج 1: ص 55-56).

⁴ (البكري، المسالك، ج 2: ص 274).

⁵ (إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 183).

⁶ (البكري، المغرب، ص 95).

الفصل الثالث:

تطوّر الدراسات في العلوم العقلية.

أولاً: علم التاريخ.

ثانياً: الطب والصّيدلة.

ثالثاً: علم التنجيم والفلك، الحساب، والفرائض.

رابعاً: الفلسفة.

خامساً: الفكر التربوي.

أولاً: علم التاريخ:

1) النشأة:

روى العرب في صدر الإسلام أخبارهم، والحوادث التاريخية المشهورة والأحاديث النبوية عن طريق المشافهة، فكانت تعوزها الكثير من الدقة، وغلب عليها الجانب القصصي، وكان عروة بن الزبير (ت93هـ/711م) أول من كتب السيرة النبوية الشريفة، وتلاه أبان بن عثمان بن عفان (ت105هـ/723م)، ووهب بن منبه (ت110هـ/728م)، وهناك من كتب في السيرة والمغازي معاً مثل: محمد بن إسحاق (ت152هـ/769م) وابن هشام (ت218هـ/832م)، ومحمد بن عمر الواقدي (ت208هـ/822م)، وابن سعد صاحب الطبقات (ت230هـ/844م)¹.

في بداية القرن الثاني الهجري أخذ العرب يبحثون في تاريخهم بالإعتماد على مصادر التاريخ النبوي كالقرآن الكريم، والأحاديث النبوية، وأشعار العرب، ويعتبر هشام بن محمد الكلبي (ت204هـ/819م)، وأبوه محمد أول من كتب من العرب في الرواية التاريخية، وغرفا بتحري الدقة في مرويّاتهما².

يعود سبب الإهتمام بالتاريخ بعيداً عن تدوين السيرة وقصص العرب إلى الرغبة في معرفة حياة الأمم السابقة التي ذكرت في القصص القرآني، وميل بعض الخلفاء كعلاوية بن أبي سفيان، وأبي جعفر المنصور إلى معرفة قصص الملوك ومكائدهم، ورغبة الأمة الإسلامية في بعث أمجادها القديمة، وأطلق على المتخصصين في هذا الميدان إسم إخباري (جمعها: إخباريون)³.

2) علم التاريخ في بلاد المغرب:

أ) الإرهاصات:

من المستبعد الحصول على مصادر إخبارية مغربية حول مرحلة الفتوحات لانعدامها أصلاً، فالإعتماد الكلي على عنصر الرواية الشفوية التي تناقلها الإخباريون عن صانعي الحدث التاريخي (جنود الحملات)، ساهم إلى حد كبير في إنقاز أحداث تلك الفترة من عنصر الغموض، فتم الإهتمام بها وتدوينها بداية من النصف الثاني من القرن الثاني الهجري (الثامن ميلادي) من طرف الإخباريين المشاركة، كابن لهيعة (ت174هـ/790م)، والليث بن سعد (ت175هـ/791م)، وعثمان بن صالح (ت219هـ/834م)، ويحيى بن بكير (ت231هـ/845م)⁴، ويعتبر عبد الرحمن بن أنعم (ت161هـ/777م) أول الإخباريين المغاربة وكان يميل إلى القصص الشعبي والجانب الأسطوري في مرويّاته⁵.

¹ يُسري عبد الغني عبد الله، معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثاني عشر الهجري، الطبعة الأولى، دارالكتب العلمية، بيروت، 1991، ص23.

² حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج2: ص349.

³ يُسري عبد الغني، المرجع السابق، ص23-24.

⁴ آسيا ساحلي، إنتاج وانتقال المعارف التاريخية في المغرب الأوسط، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 2008م، ص16.

⁵ الدباغ، المصدر السابق، ج2: ص230.

ب) في الدولة الأغلبية:

إرتبط التأريخ في فترة الأغلبية برجال الفقه وما كتبوه حول الأنساب والطبقات، كان أولهم الفقيه المالكي عبد الله بن أبي حسان اليحصبي (ت227هـ/841م)¹، وهو من أصحاب الإمام مالك²، قال عنه الدبّاغ³: "كان أعلم الناس بالتأريخ"، ويُعدُّ من العارفين بأنساب العرب وأخبارها، وكان مصدرًا هامًا لأخبار إفريقية وفتوحها⁴، والمؤرّخ عيسى بن محمد بن سليمان بن أبي المهاجر (ت القرن3هـ/9م)⁵، والذي ألّف كتابًا في فتوح إفريقية⁶.

برز من الإخباريين في فترة حكم الأغلبية أبو عبد الملك الملتشوي وابنه إسحاق، وكان الأول من جيل الإمام سحنون، ويُرمى بالضعف في الرواية، وكان يروي أخبار بدء الخليقة، وقصص الأنبياء، والمغازي، وكان ابنه إسحاق يروي كلّ هذه الأخبار كنوع من الأدب القصصي في قصور الأغلبة في نهار رمضان على محمد بن الأغلب وأهله بتوصية من سحنون⁷.

من مؤرّخي العهد الأغلي الفقيه محمد بن سحنون التّنوخي (ت255هـ/868م)، نجل عالم المالكية الأكبر، فقد ألّف ما يقارب مائتي كتاب في علوم مختلفة: منها كتب في المغازي والتّواريخ⁸، وكتاب في السّير⁹، يحتوي على عشرين جزءًا، وكتاب في طبقات العلماء فيه سبعة أجزاء، وكتاب التّاريخ في ستّة أجزاء¹⁰، والظاهر أنّه أخذ علم التّاريخ من جملة العلوم التي نهلها من العلامة الموسوعي عبد الله بن أبي حسان اليحصبي¹¹. ومن الذين أخذوا الأخبار وعلم الأنساب عن اليحصبي ومحمد بن سحنون تلميذهما، أبوسهل الفرات بن محمد العبدي، والذي كان فقيهاً، وراويّة للحديث، ورحل إلى المشرق في طلب العلم، فأخذ هناك عن أصحاب الإمام مالك، غير أنّه غير مصدوق الرواية، مشكوك في نزاهته، ومن تلاميذه؛ أبو العرب تميم الذي أكثر من النّقل عنه في كتاب الطبقات¹².

¹ (حوالة، المرجع السابق، ج2: ص348).

² (إبن فرحون، المصدر السابق، ص217).

³ (انظر: معالم الإيمان، ج2: ص58).

⁴ (إبن فرحون، المصدر السابق، ص217).

⁵ (حوالة، المرجع السابق، ص348).

⁶ (أبو العرب، المصدر السابق، ص120).

⁷ (المالكي، المصدر السابق، ج1: ص401-403).

⁸ (نفسه، ج1: ص443).

⁹ (محمد مخلوف، المرجع السابق، ج1: ص70).

¹⁰ (القاضي عيّاض، ترتيب المدارك، ج4: ص207).

¹¹ (المالكي، المصدر السابق، ج1: ص444).

¹² (محمد مخلوف، المرجع السابق، ج1: ص72).

كما كان الفقيه عبد الملك بن قطن المهري من الذين استغلّوا موهبتهم في الحفظ في تحصيل ورواية أنساب العرب، ووقائعهم، وأيامهم¹.

ج) التاريخ عند الرستميين:

إنّ استعمال لفظة تاريخ للحديث عن الإخباريين الذين يروون ويدوّنون السير، والمغازي، والطبقات فيه نوع من المبالغة²، وبالتالي لا يعتبر إهتمام دعاة الإباضية بسيرة الرسول والصّحابة من بعده كأداة لنشر تعاليم المذهب إلّا مجرد نواة للكتابة الإخبارية عند الإباضيين³.

ارتبط التاريخ في الدولة الرستمية بالطبقة المثقفة فيها، وهي مجموعة علماء الشريعة بما كانوا يتميزون من فكر موسوعي، فاعتمدت الكتابة التاريخية على الرواية الإخبارية، ومن بين الرواة الإخباريين الفقهاء المعروفون في جبل نفوسة في القرنين الثاني والثالث الهجريين؛ مثل: أبوخليل صال الدركلي، وأبو صالح ياسين الدركلي، ونفاث بن نصر النفوسي، وأبو ميمون الجيطالي، وأبو محمد عبدالله المجدولي، وأبو محمد سعيد بن سليمان الفساطوي، وأبو زكريّا يحيى بن وجدليش، وصالح المرغوري⁴.

من بين رواة السير الذين عاشوا في تاهرت عبد العزيز بن الإوز الذي دوّن رحلته إلى المشرق في كتاب إختفى مبكراً⁵، وعبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم الذي كان راوية ناقلا عن والده لسيّر الإباضية⁶.

من الإخباريين الإباضيين برز أيضا لؤاب بن سلام بن عمرو التوزري المزّاني (توفي بعد 273هـ/886م)، الذي ألّف كتاباً بعنوان "بدء الإسلام وشرائع الدين" تضمّن أخباراً عن الإباضية في المشرق، وسيرة السلف في صدر الإسلام، وأحداثه⁷، وكان سليل أسرة قريبة من أهم الأحداث التاريخية لإباضية المغرب، واعتمد في كتابه على مصادر شفوية ومكتوبة لم يذكرها صراحة، وذكر فقط أسماء أشخاص التقوا بصانعي الأحداث مثل: سليمان بن زرقون الذي كان يروي أحداثاً عن سيرة أبي حاتم الملزوزي (ت145هـ/762م)⁸، وابن زرقون المذكور هو من رجال الطبقة السابعة من الإباضية التي برزت في ما بين (300-350هـ/912-961م)⁹، وهو على الأرجح معاصر لابن سلام الذي كتب مصنّفه بعد 260هـ/873م¹⁰.

¹ (المالكي، المصدر السابق، ج1: ص403).

² (إبراهيم بخاز، الدولة الرستمية، ص367).

³ (آسيا ساحلي، المرجع السابق، ص18).

⁴ (محمود الكوردي، المرجع السابق، ص154-155).

⁵ (تاديوش ليفتسكي، المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة: ماهر جزّار وربما جزّار، منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية، ص15-16).

⁶ (نفسه، ص16).

⁷ (إبراهيم بخاز، الدولة الرستمية، ص367).

⁸ (آسيا ساحلي، المرجع السابق، ص19-20).

⁹ (الدرجيني، المصدر السابق، ج1: ص5).

¹⁰ (تاديوش ليفتسكي، المرجع السابق، ص105).

من رواة لؤاب كذلك أبو صالح النقوسي الذي وصف معركة "مغمداس"¹، وخلف بن السّمح، ونفّاث بن نصير، وسليمان وكيل الزهاني بن محمد الذي روى له قصة حصار أبي حاتم الملوّزي للقيروان عن والده محمد الذي كان يَمَن شاركَ فيه².

لم يلتزم ابن سلام بمنهج تاريخي في كتابه، بل خلط بين الحديث، والتفسير، وتاريخ الإباضية، وسيرة الخلفاء، ولا تتخطى أهمية هذا الكتاب إلّا في انفراده بذكر أحداث كان مؤلفه قريباً منها؛ زمنياً ومكانياً، كتأسيس الدولة الرستمية، ومعارك أبي الخطّاب المعافري، وأبي حاتم الملوّزي³، وقد بدأ مؤلفه بلمحة عن تاريخ أبوبكر وعمر (رضي) وأحداث عهديهما، وأوجز في الحديث عن الخليفين عثمان وعلي (رضي)، وذكر أحداث معركة صفّين، وذكر فضائاً عدد من الصّحابة، وخلافة الأمويّين، وبعض ثورات الخوارج في المشرق والمغرب⁴.

أمّا ثاني مؤرّخ في فترة حكم الرستميين فهو ابن الصّغير، صاحب كتاب "أخبار الأئمة الرستميين"، فهو معاصر للأحداث التي كتب عنها وشاهد عيان، وأخذ ما مضى من أخبار الرستميين من شيوخ تاهرت الإباضيين وغيرهم⁵، ويُعتبر "تاريخ الأئمة الرستميين" المرجع الأوّل والوحيد المتوفّر عن تاريخ دولة تاهرت الإباضية⁶، و شخصية ابن الصّغير لم تُعرف ملاحظتها إلّا من خلال تتبّع ممارساته اليومية في خطّ سير روايته التاريخية⁷، فهو كاتب مجهول، لا يُعرف إسمه أو نسبه، ولم يُذكر في كتب التّراجم والطّبقات، فلا يُعرف إلّا بلقبه، ومن المرجّح أنّه وُلد بين (265-270هـ/878-883م)⁸، فهو من الذين هاجروا إلى تاهرت في أواخر أيام الإمام أبي يقظان (261-281هـ/874-894م)⁹، وعاصر فترة حكم الإمام أبي حاتم يوسف (281-294هـ/894-906م)¹⁰، أمّا من ناحية مذهبه الديني فمن المؤكّد أنّه ليس إباضياً؛ قال: "وإن كنّا للقوم مبغضين ولسيرهم كارهين، ولمذاهبهم مستقلّين"¹¹، ويبقى الإشكال مطروحاً، فهو يبدو أحياناً سُنّيّاً مالكيّاً، من خلال ثنائه على الأئمة الرستميين في

¹ معركة مغمداس: قام والي مصر محمد بن الأشعث بتكليف عامله على برقة العوّام بن عبد العزيز البجلي بالقضاء على ثورة الإباضية في سرت، ولكنّه انخرم أمام قوّات مالك بن سحران الهوّاري، فسبّر ابن الأشعث قائداً آخر هو أبو الأحوص بن الأحوص العجلي على رأس قوّات عباسية من مصر، فاستعدّ إليه الإباضية بقيادة أبي الخطّاب، واختاروا مكان المعركة في مغمداس على شاطئ البحر في منتصف المسافة بين سرت وقصور حسان، ودارت معركة دامية انتهت بانتصار العباسيين، ومقتل كثير منهم، وذلك سنة 142هـ/760م. أنظر: سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ج1: ص350.

² آسيا ساحلي، المرجع السابق، ص20-21.

³ نفسه، ص20-21.

⁴ إبراهيم بخاز، الدولة الرستمية، ص368.

⁵ محمود إسماعيل، الخوارج، ص9.

⁶ إبراهيم بخاز، الدولة الرستمية، ص369.

⁷ آسيا ساحلي، المرجع السابق، ص22-23.

⁸ جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص7.

⁹ محمد ناصر وإبراهيم بخاز في مقدّمة تحقيق كتاب "تاريخ الأئمة الرستميين"، ص11.

¹⁰ آسيا ساحلي، المرجع السابق، ص23.

¹¹ ابن الصّغير، المصدر السابق، ص27.

سيّاستهم الحكيمة وتصريحه باختلافه المذهبي معهم¹، ويُرجّح محققا الكتاب الأستاذين²؛ محمد ناصر، وإبراهيم بخّاز شيعيّة ابن الصّغير، بسبب كونه مشرقيّاً (عراقي أو حجازي)، وإيراده لعبارة "من كنت مولاه فعلي مولاه" ولا يعتقد بصحّة هذا الحديث آنذاك إلّا الشّيعيّة، إضافة إلى إتهامه لخطباء الجمعة في تاهرت بانتحال خطب الإمام علي (رضي)، ويؤيّد هذا الرّأي جودت عبد الكريم يوسف الذي يعتبر نشاطه التجاري في تاهرت ومخالطته للعلماء غطاءً لنشاط دعائي كان يقوم به في تاهرت لجهة ما³، ومهما يكن من أمر فإنّ الآراء تميل إلى تسميته ابن الصّغير المالكي، وتقرّر بذلك إلى أن يثبت خلافه، ففي نهاية الأمر صنّفه جودت يوسف⁴؛ ضمن مالكيّة تاهرت، ومن الواضح أنّه شخصيّة مثقّفة مُحبّة للمناظرة والجدل والإطّلاع على التّصانيف العلميّة، فقد حاز على كتاب مسائل نفوسة الجبل وعمل على دراسته وتحليل مضمونه⁵.

ألّف ابن الصّغير كتابه في حدود سنة 290هـ/902م⁶، ولا يُعرف بالدقّة عنوانه الحقيقي، إذ كان أوّل من نشره المستشرق البولوني موتيلنسكي بعنوان: "ذكر بعض الأخبار في الأئمّة الرّسميّين منقول من ابن الصّغير"، وعناوين أخرى مثل: "أخبار الأئمّة"، "تاريخ ابن الصّغير"، "سير ابن الصّغير"⁷.

تميّز منهج ابن الصّغير بالدقّة والأمانة العلميّة؛ نبيّن ذلك من خلال قوله عن ما كان يدور حول مثالب عبد الرّحمن بن رستم: "...وكانت له قصصٌ حكوها لا يمكنُ ذكرها إلّا على وجهه، وإن أتمّ الصّدق فيها ولا أحرفها على معانيها ولا أزيد فيها ولا أنقص منها، إذ النّقص في الخبر والزّيادة فيه ليس من شيم ذوي المروءات، ولا من أخلاق ذوي الديّانات"⁸.

اعتمد ابن الصّغير عموماً على الرّواية الشّفويّة⁹، من خلال قوله: "أخبرني غير واحدٍ من الإباضيّة"¹⁰، "ولقد حكى لي جماعة من النّاس"¹¹، وعلى المشاهدة في فترة حكم أبي اليقظان¹²، ولكنّه كان يشكُّ في مصداقيّة بعض الرّوايات فيقول: "قيل بعد ذلك والله أعلم"¹³، "فالله أعلم أيّ ذلك كان"¹⁴، ولا يتحرّج من التّصريح بالجهل

¹ محمود إسماعيل، الخوارج، ص9.

² مقدّمة تحقيق كتاب "أخبار الأئمّة الرّسميّين"، ص12-13.

³ العلاقات الخارجيّة للدّولة الرّسميّة، ص7.

⁴ نفسه، ص100.

⁵ ابن الصّغير، المصدر السّابق، ص39.

⁶ آسيا ساحلي، المرجع السّابق، ص24.

⁷ إبراهيم بخّاز، الدّولة الرّسميّة، ص371.

⁸ ابن الصّغير، المصدر السّابق، ص27.

⁹ إبراهيم بخّاز، الدّولة الرّسميّة، ص372.

¹⁰ ابن الصّغير، المصدر السّابق، ص25.

¹¹ نفسه، ص39.

¹² محمد ناصر وإبراهيم بخّاز، مقدّمة تحقيق كتاب أخبار الأئمّة الرّسميّين، ص15.

¹³ ابن الصّغير، المصدر السّابق، ص48.

¹⁴ نفسه، ص65.

والنسيان، لعدم إمتلاكه لمصادر مكتوبة لتوثيق ماجهله من أحداث¹، ومن النقاط الإيجابية في كتاب ابن الصغير جمعه لأخبار الأئمة بالترتيب، وتفصيله لكثير من الأحداث الداخليّة من فتن وثورات من بداية دولة الرستميين حتّى 290هـ/902م².

الحقيقة أنّ كتاب أخبار الأئمة الرستميين لم يرق إلى مستوى الكتابة التاريخيّة المشرقيّة المعاصرة له، وبخاصّة كتب السيّر والمغازي، إضافة إلى مشكلة إنعدام ذكر التواريخ في هذا المصنّف، وتكمن أهم قيمة معرفيّة له في انفراده بذكر الكثير من أحداث تاهرت الرستميّة³.

إضافة إلى ابن الصغير وابن سلام يعتقد ليفتسكي⁴ أنّ الإمام أفلح بن عبد الوهاب (208-258هـ/823-871م) كتب مُصنّفًا تاريخيًا حول إباضيّة بلاد المغرب من البداية حتّى أيّامه، وهو المصدر الاساسي الذي يعتمد عليه أبوز كرتاء الوارجلاني في سيّر الأئمة وأخبارهم ولم يذكر إسم مُصنّفه، فأفلح كان عالما بارزًا، عاش كثيرًا من الأحداث التاريخيّة وخاصة سيرة والده، ومع ذلك لم يجزم المؤرّخ البولوني بهذا الأمر ووضع احتماليّن آخرين هما أن يكون صاحب المصنّف لؤاب ابن سلام نفسه أو مؤرّخ معاصر له من الإباضيّة.

تميّزت الكتابة التاريخيّة في ظلّ الدولة الرستميّة بالنُدرة، والتّوظيف الفكري لأغراض مذهبيّة وسياسيّة، والإعتماد على منهج المحدثين في الرواية بطريقة الإسناد وتسلسل الرواة إلى شهود عيان، وعدم التّحكّم في المنهج التاريخي، وطغيان الجانب الإخباري على المادّة التاريخيّة⁵.

¹ آسيا ساحلي، المرجع السابق، ص26.

² إبراهيم بخاز، الدولة الرستميّة، ص370-371.

³ آسيا ساحلي، المرجع السابق، ص26.

⁴ انظر: المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشماليّة، ص110.

⁵ آسيا ساحلي، المرجع السابق، ص26-27.

ثانيًا: الطب والصّيدلة:

كانت علوم العرب في بدايات الدولة الإسلامية تقتصر على اللغة العربية والشريعة الإسلامية وما يدور في فلكهما من علوم، ولم تكن هناك عناية ببقية العلوم ما عدا الطب الذي يعتبر ضرورة مُلِحّة في المجتمعات البشرية، فكان من أطباء العرب في فترة النُّبُوّة الحارث بن كلدة الثَّقَفي، والذي درس الطب في فارس واليمن، وتوفي في خلافة معاوية الأول¹، ومنهم ابن أبي رمثة التميمي طبيب الرسول (ص)، وفي العصر الأموي اشتهر طبيب عمر بن عبد العزيز عبد الملك بن أبجر الكِنَاني²، وطبيب معاوية بن أبي سفيان ابن أثال الدمشقي، وكان ماهرًا في تركيب الأدوية والسّموم³، وخالد بن يزيد الأموي والذي كان صيدليًا كذلك تعلّم علي يد الرّاهب مريانوس الإسكندري المصري، وهو أول من عمل على استخدام الكيمياء في تركيب الأدوية، وأحمد بن إبراهيم طبيب الخليفة يزيد بن عبد الملك، والذي كان صيدليًا كذلك وألف رسالة في النباتات المستعملة في الطب⁴، وفي العصر العبّاسي مهّد أبو جعفر المنصور للاهتمام بالعلوم العقلية من فلسفة وتنجيم وغيرها⁵، وكان يستشير أطباء العراق ويعمل بنصائحهم، واستقدم طبيبًا مشهورًا سنة 148هـ/765م هو جورجيس بن جبرائيل، وعرف عنه ترجمة كتب الطب اليونانية إلى العربية⁶، وبرز بعد ذلك في عهد هارون الرشيد بختيشوع بن جورجيس، وكان من المتخصصين في الأمراض النفسانية والعصبية، وأصبح رئيس أطباء البلاط العبّاسي⁷، سرجس، وأبو قريش عيسى، وعبد الله الطيفوري، وداود بن سراييون⁸.

اعتنى بعده المأمون بعملية الترجمة من اليونانية إلى العربية، فظهرت العناية بالفلسفة ثمّ غيرها من العلوم، ومنها الطب⁹، وكان يحيى بن ماسويه أشهر طبيب في عهد المعتصم، وميخائيل، وحنين بن إسحاق في عهد الواثق؛ الذي تخصص في علم المواد السامة وطب الأسنان¹⁰، وابنه إسحاق الذي كان إلى جانب الطب يتقن عدّة لغات فترجم كتب طبيّة إلى العربية، وهو ما قام به الأطباء السريان طيلة القرن الثالث الهجري /التاسع الميلادي في العراق،

¹ (أبو العباس أحمد بن القاسم ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص 161).

² (أبو القاسم صاعد ابن صاعد، طبقات الأمم، مراجعة وتدقيق: لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، 1912م، ص 47-48).

³ (ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص 171).

⁴ (زهير حميدان، أعلام الحضارة العربية الإسلامية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1995م، ص 20 و 26-27).

⁵ (ابن صاعد، المصدر السابق، ص 47-48).

⁶ (ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص 183).

⁷ (حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج 2: ص 353-354).

⁸ (ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص 187).

⁹ (ابن صاعد، المصدر السابق، ص 47-48).

¹⁰ (حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج 2: ص 354).

والجزيرة، وبلاد الشام¹، وقام الأطباء بتأليف كتب كثيرة للأمراء في النّصائح الطبيّة، وتفرّعوا في أقسام الطّب فكان منهم الكحالين²، وأطباء النّساء، والجراحين باستعمال الكي والماء البارد³.

كما اهتمّ الخلفاء العبّاسيّون بنشر العلوم الطبيّة وتدوين الدّراسات، وإنشاء مؤسّساتها، وعقد مؤتمرات طبيّة في موسم الحج، فيعرض فيها الأطباء نتائج أبحاثهم، وما اكتشفوه من خواصّ علاجية في النباتات، وأصبحت بغداد مقصد جميع رعايا الدّولة العبّاسيّة من الرّاهبين في دراسة الطب والصّيادلة⁴، ولاسيّما أنّهم نظّموا هذا العلم وألحقوه بالطّب، وعملوا على جلب العقاقير من مختلف البلدان، واستحدثوا دكاكين لبيعها⁵، وبرز في هذه الفترة عدد كبير من الأطباء في العراق، وفارس، والشّام، ومصر، وشهدت النشاط العلمي لأبي بكر الرّازي (240-330هـ/854-932م) وتأليفه للموسوعة الطبيّة "الحاوي"⁶.

الطّب والصّيادلة في إفريقية حتّى نهاية القرن الثالث الهجري:

ارتبط الطّب في إفريقية في تلك الفترة بالأشخاص الموسوعيّين ممّن كانت لهم دراية في مختلف المعارف، وسمّي هؤلاء المهتمّين بشفاء النّاس من أمراضهم بفقهاء البدن، وهم من الذين عرفوا التّطبيب من خلال مداواة الجرحى والمرضى في جيوش إفريقية، ويجهل مقدار معلوماتهم الطبيّة، واقتصرت وسائل علاجهم على العمليّات الجراحية البسيطة كالفصد، والكي، وجبر العظام المكسورة، وتضميد الجروح بالأعشاب الطبيّة، والعلاج بالعقاقير المألوفة في الحياة الأسريّة⁷. كان من فقهاء البدن محمّد بن الفرّج بن البنا البغدادي (235-303هـ/849-915م)، وكان من موالي الأغلبية، فقيهاً بارعاً في الأحكام القضائيّة، وكان مُتمكّناً من علوم كثيرة، وتولّى أمور قسطنطينيّة⁸، والفقير الشّهير سحنون مثلما يذكر ابن فرحون⁹.

من فقهاء البدن الفقيه المالكي قاضي طرابلس أبي الأسود موسى بن عبد الرّحمن القطّان (235-306هـ/849-918م)، من تلاميذ الفقيه محمّد بن سحنون التنوخي¹⁰، ودحمان بن معافي السيوري¹¹، والقاضي سهل بن عبيد الله القبرياني، والذي تنقّل بمقتضى عمله بين القيروان، وقفصة، وقصطنطينية، ونفزاوة¹²، وطبيب لم تذكر

¹ (حري عباس عطيتو محمود وحسان حلاق، العلوم عند العرب أصولها ولامحها الحضارية، دار النهضة العربيّة، بيروت، 1995م، ص288).

² (الكحال: طبيب العيون، أنظر: محمّد حبش، المسلمون وعلوم الحضارة، الطبعة الأولى، دار المعرفة، دمشق، 1992م، ص28).

³ (أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج2: ص191).

⁴ (حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج2: ص355).

⁵ (أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج2: ص191-192).

⁶ (حري عباس وحسان حلاق، المرجع السابق، ص291).

⁷ (حسن حسني عبد الوهاب، وقات، ص272-273).

⁸ (الدّباغ، المصدر السابق، ج2: ص316-319).

⁹ (أنظر: الدّباغ، ص264).

¹⁰ (الدّباغ، المصدر السابق، ج2: ص335-339).

¹¹ (نفسه، ج2: ص320).

¹² (القاضي عياض، تراجم أغلبية، ص157-158).

المصادر إسمه إستدعاه محمد بن محمد بن سحنون لعلاج الفقيه ابو جعفر حمديس القطان في مرض موته¹، وسعيد بن عباد السري الشهير بـ"مزغلة" من أكابر أصحاب سحنون²، وتلميذ سحنون يحيى بن عمر الكناني الأندلسي، وكان إلى جانب إهتمامه بعلاج المرضى فقيهاً وقاضياً ومُدَرِّساً بجامع القيروان³، وأبو الغصن نفيس السوسي الذي كان مولى رومياً لامرأة من البربر، وكانت مهنته صناعة الغرابيل، وكان فقيهاً مالِكياً رفض أن يتولّى منصب القاضي في سوسة⁴.

عرفت مهنة الطب في إفريقية تطوّراً ملحوظاً بإنشاء بيت الحكمة الأغلي، الذي قصده الأطباء من المشرق لإلقاء دروس ومحاضرات في جميع العلوم العقلية ومنها الطب⁵، وساعد على ذلك إنتشار الدّمن في العهد الأغلي، وهي وسيلة من وسائل الحفاظ على الصحة العمومية، من خلال إستحداث مستشفيات في المدن الكبرى (القيروان، تونس، سوسة، صفاقس) تُخصّص للمُصابين بأمراض معدية، وتحتوي على عُرف لا تتجاوز الثلاثين، ومسجد صغير، وحمام مُستقل، وكان يشرف عليها فقهاء البدن، فيزورون المرضى ويعتنون بهم، إضافة إلى القيمين، والخدمات الزنجيات، وتُسمّى هذه المؤسسات "دُمنة"⁶.

كان إسحاق بن عمران البغدادي الملقّب بسُم ساعة-لسرعة تأثير الأدوية التي يصفها لمرضاه- من الذين درسوا الطبّ في بغداد وبرزوا فيه⁷، وكان في بدايته من خاصّة الخليفة المعتمد على الله (256-279هـ/870-892م) في بغداد وسامراً⁸، واعتُبر أوّل من أدخل الطبّ والفلسفة، وتركيب الأدوية (الصّيدلة) إلى بلاد المغرب بتشجيع وإغراء من الأمير الأغلي زبادة الله الثاني (290-296هـ/902-908م)، حينما قام الطّبيب البغدادي بالإشراف على النظام الغذائي للأمير الذي كان مُصاباً بمرض الرّبو⁹، يبدو أنّ الأمير الأغلي تلمّس نوعاً من الابتزاز في طريقة تعامل طبيبه معه، فاستغنى عن خدماته، ومن ثمة مارس ابن عمران عمله كطبيب حُر في إحدى ساحات القيروان "...فوضع هناك كرسيّاً، ودواة، وقرطيس، فكان يكتب الصّفات كلّ يوم بدنانير"¹⁰.

¹ الدّباغ، المصدر السابق، ج2:ص205.

² القاضي عياض، تراجم أغلبية، ص197.

³ الدّباغ، المصدر السابق، ج2:ص235-237.

⁴ المالكي، المصدر السابق، ج2:ص162.

⁵ حفيف كعوان، المرجع السابق، ص102.

⁶ حسن حسني عبد الوهاب، ورفات، ص273-274.

⁷ محمد زيتون، المرجع السابق، ص393.

⁸ هيكل نعمة الله وإلياس مليحة، موسوعة علماء الطب، مع إعتناء خاص بالأطباء العرب، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت،

1991م، ص54.

⁹ ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص478.

¹⁰ ابن جليل، المصدر السابق، ص85.

معنى هذا أنّ الطّبيب البغدادي أصبح يُمارس مهنته بأسلوب يقترب كثيراً من أساليبنا المعاصرة، ويبدو أنّه استغلّ معرفة الناس به؛ وسمّعه كطبيب للعائلة الحاكمة في جلب الزبائن، والظاهر أنّ وصفاته كانت تحتوي على أدوية مركّبة كان يبيعها للعطارين، وهو ما يُفسّر تكوينه لثروة من خلال عمله بعيداً عن قصور الأغلبة¹.

إنّ نجاح ابن عمران كطبيب حر، جلب سخط الأمير الأغلي زيادة الله، فسجنه وأعدمه²، وبخاصة بعد أن أعلمه أنّه تعمّد علاجه أيتام عمله كطبيب خاص به بمركّب كيميائي من أعراضه الجانبية الإصابة مع مرور الوقت بـ"المالنخونيا"³، وهيّ حادثة تدلّ على مهارته وتميّزه وإلمامه الواسع بعلمي الطّب و الصيدلة⁴.

عليه فالأمير الأغلي كان يُدرك القدرات الفائقة لطبيبه البغدادي، فألحّ أولاً في جلبه من بغداد، وما لبث أن أبعدته عن قصره مخافة أن يُسيطر عليه بعد إحاطته بأسراره الصحيّة، ومنعه من حرّيته مخافة أن يعود إلى المشرق، أو يغادر إلى الأندلس مُحمّلاً بكثير من الأسرار الخطيرة، فعاجله بالتخلّص منه.

ترك إسحاق بن عمران مجموعة هامة من التصانيف في علم الطّب؛ وهي: الأدوية المنفردة، العنصر والتّمام في الطّب، نزهة النّفس، المالنخوليا، التّبض، أقوال جالينوس⁵ في الشّراب، وأقوال أبقرط⁶ في البول، وترك مقالات في: الإستسقاء، والأدوية، وبعض أمراض الجهاز التناسلي والهضمي⁷، يعتبر كتاب المالنخوليا من أهم الإضافات للطّب النّفسي، فإبن عمران لم يفسّر حالة المريض بهذا المرض تفسيراً خرافياً، بل ركّز على أسلوب التّحليل النّفسي وهو أمر مستجد في تلك الفترة⁸.

إضافة إلى الطّب ظهرت مهارة إسحاق بن عمران في معرفة خصائص النباتات في الإستشفاء -وهو علم الصيدلة في مرحلته الأولى- وذلك بالوصف التّشريحى لها، والخصائص العلاجية لكلّ جزء منها⁹.

كما درس على يده الكخّال المصري إسحاق بن سليمان الإسرائيلي (ت 320هـ/932م)¹⁰ حينما استقرّ في القيروان بعد أن وفد على زيادة الله الأوّل مع أبي الحسن بن حاتم سنة 293هـ/905م¹¹، واشتغل بالطّب ودخل

¹ (إبن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص 479).

² (إبن جلجل، المصدر السابق، ص 86).

³ (إبن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص 479).

⁴ (حوالة، المرجع السابق، ج 2، ص 374).

⁵ (جالينوس طبيب وفيلسوف يوناني عاش في روما خلال القرن الأوّل الميلادي، غنيّ بعلم التّشريح كأداة لفهم جسد الإنسان، أنظر: جمال الدّين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، إخبار العلماء بأنباء الحكماء، طبعة حجرية، ص 226-230).

⁶ (من علماء الفلسفة والطّب في اليونان القدم، عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، أنظر: القفطي، المصدر السابق، ص 90).

⁷ (إبن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص 479).

⁸ (هيكل نعمة الله وإلياس مليحة، المرجع السابق، ص 55).

⁹ (زهير حميدان، المرجع السابق، ص 169).

¹⁰ (إبن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص 480).

¹¹ (إبن عذاري، المصدر السابق، ج 1، ص 141).

بعدها في خدمة عبيد الله الشيعي؛ إذ عمّر أكثر من مائة عام¹، ولم يترك أولاداً، وحول هذه المسألة قال: "...لي أربعة كتب تُحيي ذكرى أكثر من الولد، وهي كتاب الحميات، والأغذية والأدوية، وكتاب البول، وكتاب الإسطقسات"²، ومن مؤلفاته كتاب في الترياق³، وآخر في النبض، وكتاب مدخل إلى صناعة الطب⁴. يذكر ابن أبي أصيبعة⁵ نقلاً عن ابن الجزّار⁶ أنّ إسحاق الإسرائيلي عالج داعية الفاطميين أبوعبد الله من حصاة في الكلى بدواء يحتوي على العقارب المحرقة.

من الذين اشتغلوا بالطب في إفريقية إبان العهد الأغلي، طبيب يهودي أندلسي استقرّ في بلاط زيّادة الله الأول، وكان هناك تنافس بينه وبين ابن عمران، ولم يذكر ابن جليل⁷ تفاصيل عن حياته، والظاهر أنّه عرف ببراعته وإلاّ ما كان ليصبح من أطباء الأسرة الحاكمة في رقّادة دون أن تسبقه سمعته إليها.

برزت في أواخر العصر الأغلي وتوارثت أسرار مهنة الطب لمدة مائة عام أسرة بني الجزّار: أبو بكر محمّد وأخوه إبراهيم -والد الطبيب المعروف في عصر الفاطميين-، وكان أبوبكر هذا ملازماً لإسحاق بن سليمان وتعلّم منه⁸، وكان له كتاب يحتوي على أدوية وأشرية ومعاجين وترياقات من خلاصة تجاربه، وطبقها عملياً في علاج كثير من أغنياء ووجهاء إفريقية، أمّا إبراهيم فبرع أساساً في طبّ العيون⁹.

من أطباء بني الأغلب الذين درّسهم إسحاق بن عمران في بيت الحكمة¹⁰؛ زيّاد بن خلفون القيرواني¹¹، وكان ماهراً مُتمكّناً، وما لبث أن دخل في خدمة عبيد الله الشيعي الفاطمي إلى أن مات مقتولاً من طرف أحد منافسيه سنة 308هـ/920م¹²، ويبدو أنّ الخليفة الفاطمي قد حرص على أن يستفيد من علماء الأغالبة في شتّى

¹ (ابن جليل، المصدر السابق، ص 87).

² (ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص 480).

³ (ابن جليل، المصدر السابق، ص 87).

⁴ (ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص 481).

⁵ نفسه، ص 481.

⁶ هو أبوجعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد القيرواني، من عائلة توارثت مهنة الطب، وكان بارعاً في الطبّ والتاريخ، والبلاغة، والصّيدلة، وكان يستهدف الهجرة إلى الأندلس فراثاً من حكم الفاطميين وما قدر على ذلك، يُذكر أنّه ترك بعد وفاته خمسة وعشرين قنطاراً من الكتب في الطبّ وعلوم أخرى، ومن آثاره في الطبّ: كتاب زاد المسافر في علاج الأمراض (جزآن)، الإعتدال في الأدوية المفردة، البغية في الأدوية المركبة، قوت المقيم وفيه عشرين مجلّد، العدة لطول المدة، طبّ الفقراء، مجربات في الطبّ، نصائح الأبرار، الخواص، المختبرات، وأسباب الوباء في مصر، وآخر حول أمراض المعدة، وله رسائل طبّية حول الجذام، والزّكام، والحجامة، والأدوية، وله مؤلفات في البلاغة، والتاريخ، وتوفيّ سنة 369هـ/979م. أنظر: ابن جليل، المصدر السابق، ص 88-90، وابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص 481-482، وابن عذاري، المصدر السابق، ج 1: ص 236.

⁷ (ابن جليل، المصدر السابق، ص 85).

⁸ (ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص 481).

⁹ (حسن حسني عبد الوهاب، وقات، ص 239-240).

¹⁰ نفسه، ص 242.

¹¹ (البكري، المغرب، ص 25).

¹² (ابن عذاري، المصدر السابق، ج 1: ص 183).

العلوم، ومن بينهم ابن خلفون فحرص على أن يخدمه، فلأزم بلاطه عشر سنوات كاملة، وحزن حُزنًا شديدًا على مقتله¹.

لم تورد المصادر أسماء أطباء في المغربين الأوسط والأقصى، ويُرجَّح إبراهيم بخّاز وجود أطباء في تاهرت لوجود جالية يهودية في درب الرّهادنة، وأخرى نصرانية، وكثير من الأطباء في العالم الإسلامي آنذاك كانوا من اليهود والنصارى، ولضرورة الطبّ في حياة البشر².

¹حسن حسني عبد الوهّاب، ورفات، ص242.

²إبراهيم بخّاز، الدولة الرستمية، ص373.

ثالثاً: علم التنجيم و الفلك والحساب والفرائض:

لم يهتم المغاربة كثيراً بعلم الفلك خوفاً من شبهات حول عقيدتهم لارتباطه بالتنجيم، فقد ساد الاعتقاد بينهم أنّ هذا العلم من المحظورات الدينية¹، وعزز هذا الرأي بعض الفقهاء مثل يحيى بن عمر الأندلسي (ت298هـ/910 م)، والذي قال: "...لَيْسَ شيء أضرّ على ابن آدم من النظر إلى النجوم²، يُخرجه نظره في النجوم إلى الدهرية"³.

برز من علماء إفريقية في عصر الولاة في علم الفرائض أبو علي شقران بن علي الهمداني (ت186هـ/802 م)⁴، وهو الوحيد الذي ألف كتاباً في هذا العلم في تلك الفترة⁵.

1) في الدولة الأغلبية:

من الذين برزوا في علم الفرائض والحساب في العصر الأغلي أبو زكرياء يحيى بن سليمان الخزاز الفارسي (134-237هـ/751-851 م) وقد رُشح ليتولّى شؤون ديوان إفريقية سنة 155هـ/771 م، فرفض وغادر إلى المشرق لطلب العلم الشرعي⁶. وإسماعيل بن يوسف الطلاء المنجم، والذي عُرف بالبراعة في التنجيم والفلك، وكان مقرّباً من إبراهيم الثاني الأغلي الذي كان بدوره مهتماً بهذا النوع من المعارف، وكان قد رحل إلى العراق، وتنقل بين الشام ومصر، وتلقّى فيها شتى أصناف العلم من لغة، نحو، أدب، رياضيات، فلسفة، وعاد إلى القيروان فالتحق ببيت الحكمة، وتخصّص في البحث في العلوم الرياضيّة⁷. ومن المهتمين بالرياضيات أبو اليسر إبراهيم بن محمد الشيباني (ت298هـ/910 م)، والمعروف بالرياضي الكاتب، وكان رئيس بيت الحكمة في رقادة⁸.

¹ (حوالة، المرجع السابق، ج2: ص387).

² (ينقسم علم النجوم إلى قسمين: قسم مباح، يُستحبّ تعلّمه، وقسم محظور، يُكره النظر فيه، فالأول هو العلم بأسماء الكواكب، وأماكنها، وسيرها، والإهتمام بها في السفر، واختيار الأوقات المناسبة لتلقيح المواشي، ومعرفة مواقيت الصلاة، ودخول الأشهر القمرية، وما يُسمّى حالياً بالرّصد الجوّي، والقسم الثاني ما يُستعمل للسحر والكهانة، ومعرفة الغيب، وقراءة الحظ، فهذا منهى عنه بأحاديث وآثار كثيرة. أنظر: الخطيب البغدادي، رسالة في علم النجوم الطبعة الأولى، دار الكتب العلميّة، بيروت، 2004 م، صص 21 و56).

³ (المالكي، المصدر السابق، ج1: ص497).

⁴ (الدبّاغ، المصدر السابق، ج1: ص280).

⁵ (حوالة، المرجع السابق، ج2: ص388).

⁶ (أبو العرب، المصدر السابق، صص 90-91).

⁷ (حسن حسني عبد الوهاب، ورفات، صص 252-253).

⁸ (حوالة، المرجع السابق، ج2: ص390).

2) في الدولة الرستميّة:

إهتمّ أئمة تاهرت بعلمي الحساب والنجوم، فالإمام أفلح بن عبد الوهّاب "بلغ في حساب الغبار والنجامة مبلغاً عظيماً"¹، والمقصود بالغبار هي الأرقام الغباريّة المستعملة اليوم بالمغرب الكبير (1/2/3...)².

من الواضح أنّ الرستميّون جمعوا وتركوا مؤلّفات هامة في هذين العلمين في مكتبة المعصومة، بدليل أنّ أبوعبد الله الصنعاني الشيعي جمع منها كتب الفلك والحساب قبل إحراقها³، وذلك لأهميّة هذا العلم في تحديد المسالك التجاريّة البريّة والبحريّة لقوافل التجّار الرستميين⁴.

كانت علوم الحساب والفلك والتنجيم من العلوم التي إختصّ بها أفراد الأسرة الرستميّة جيلاً بعد جيل ابتداءً من رستم والد عبد الرّحمن إلى يعقوب بن أفلح، وكان الإمام أفلح يناقش ويجادل أخته في مسائل الفلك والتنجيم، وبلغ من إهتمام الأئمة الرستميّون بعلم النجوم أنّ أحد أفرادها إعتبر الجهل بها نقيصة: "معاذ الله أن تكون منّا أمة لاتعرف منزلة القمر"⁵.

أمّا في جبل نفوسة فُتسجّل تواجد مُتخصّص في الفلك والنجوم يُدعى أبو أيّوب التمنكريّ، من قرية تمنكرت، وكان يقول عن نفسه: "عرفت ماكان في السّماء كما عرفت ماكان في الأرض"⁶.

¹ (أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 136).

² (إبراهيم بخاز، الدولة الرستميّة، ص 374).

³ (أبو زكرياء، المصدر السابق، ص 169).

⁴ (إبراهيم بخاز، الدولة الرستميّة، ص 374).

⁵ نفسه، ص 375.

⁶ (محمود حسين كوردي، المرجع السابق، ص 154).

رابعاً: الفلسفة.

لم تكن للفلسفة مكانة كبيرة في المشرق الإسلامي طيلة القرن الثاني الهجري/الثامن ميلادي، وماعدا الكندي، فإن من اشتغل بها كانوا غالباً من الشيعة لاعتبارات عقائدية، فاهتموا بترجمة فلسفات الأمم القديمة¹. أمّا في إفريقية فلقد واجه فقهاء المالكية علماء الكلام بكثير من الحزم والشدّة بسبب كرههم للجدل والخوض في القضايا الإيمانية، فكان من باب أولى أن يتجنّب طلبة العلم فيها الإهتمام بالفلسفة القائمة على تفسيرات عقلية، للمسائل الفكرية خوفاً من مصير مماثل للمعتزلة وغيرهم من الخائضين في القضايا الكلامية²، وبذلك لم يكن لأهل المغرب في فترة الدّول المستقلّة عناية بالتّفلسف، واقتصر مأخذوه من المشرق من علوم عقلية على الرياضيات والطبيّيات وما يتّصل بهما³.

لكنّ الفلسفة ما لبثت أن تسرّبت إلى إفريقية من المشرق في النّصف الثاني من القرن الثالث الهجري بواسطة الطّبيب إسحاق بن عمران البغدادي، وله في هذا المجال كتاب "نزهة النّفس"، و"به...عُرفت الفلسفة ببلاد المغرب"⁴، إضافة إلى الطّبيب اليهودي إسحاق بن سليمان الإسرائيلي، والذي درّس في بيت الحكمة برقّادة⁵، وكان "بصيراً بالمنطق، متصرفاً في ضروب المعارف"⁶، وألّف كتباً في الفلسفة لم يثبت إن كان كتبها في مصر موطنه الأصلي أوحينما استقرّ في رقّادة، ومن المرجّح أن يكون قد إستفاد من بُعد بيت الحكمة عن تأثيرات فقهاء القيروان، ودّرّس الفلسفة إلى جانب الصّيدلة والطّب لطلبة بيت الحكمة، وأملّى فيها مؤلّفاته: مدخل إلى المنطق، وبستان الحكمة (وفيه مسائل من العلم الإلهي) وكتاب الحكمة⁷، ولكن هذا لا يعني وجود من اهتم بدراسة الفلسفة في بلاد المغرب، فالخوف من ردّة فعل فقهاء المالكية ظلّ مهيمناً على العقول حتّى في القرون اللاحقة⁸. يرى إبراهيم حركات أنّ دراسة الحساب والفلك والتّنجيم والفرائض والطّب يرتبطان بعلم المنطق، وهو من أسس الفلسفة، وبالتالي فإن المهتمّين بدراسته من المغاربة لا بدّ أن يكونوا قد خاضوا في قضايا عقلية كالكون، والوجود، والإيمان، ومعرفة الله، وتجنّبوا التّأليف فيها كي لا يصطدموا بـ "عدوانية" الفقهاء⁹.

¹ بشير التليسي، المرجع السابق، ص 465.

² حواله، المرجع السابق، ج 2: ص 343.

³ دي بوير، تاريخ الفلسفة الإسلامية، ترجمة وتعليق: محمد الهادي أبوريدة، الطبعة الخامسة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت، ص 361-362.

⁴ ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص 478-479.

⁵ ابن جليل، المصدر السابق، ص 87.

⁶ ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص 479.

⁷ نفسه، ص 480-481.

⁸ بشير التليسي، المرجع السابق، ص 465.

⁹ انظر: مدخل الى تاريخ العلوم، ص 390.

خامساً: الفكر التربوي.

إنَّ علوم التَّربية مصطلح حديث، إذ كان الفكر التربوي في تلك الفترة يشمل تربية النشء والتَّلاميذ والفكر الصَّوفي الموجه، وذلك بالاعتماد على توجيهات القرآن والسنة النبوية، ومخالطة الأخيار، وكان المنظرون في هذا الميدان الدعاة، وشيوخ التَّصوّف، والفقهاء الذين كانوا على علاقة مباشرة بالتَّربية من خلال التَّدريس في الكتاتيب¹، وقد كانت منذ نشأتها أساس التَّربية الإسلامية الصَّحيحة مادامت تضمن تعليم القرآن، وأحكام الإسلام من الفقه المبسَّط والتوحيد والصلاة والمعارف اللغوية والحساب².

1) في الدولة الأغلبية:

درج فقهاء القيروان على مراعاة أحوال السَّامعين العقلية والتَّفسيّة في إلقاء دروسهم، وهذا ما تبرزه كتب الطَّبقات، إذ كان لا يقال في حضرة السَّامع ما لا يفهمه أو ما يُسيء تأويله وبخاصة في مسائل الإعتقاد³. وكانوا يوصون باختيار المعلِّم الصَّالح، العفيف، حسن الأخلاق، صحيح الإعتقاد، وأن يكون للصَّبي وقت يلعب فيه، وهو دليل على صحته، وأن يسأل أهله مؤدِّبه عن سلوكه وآدائه الدَّراسي، وإباحة التَّعليم وإتاحته لكل من يطلبه من الإناث والذكور، ودون التَّفديد بسنٍّ أو تسجيل، فالحضور لحلقات العلم في الجوامع والمساجد متاح للجميع، كما استخدموا طريقة إلقاء الأسئلة على الطَّلبة ومناقشة مسائل معيّنة والبحث عن أجوبتها، وكان طلبتهم يهتمون بتحصيل العلم عند الأساتذة البارزين، ويذكروهم في إجازاتهم⁴.

يُعَدُّ محمد بن سحنون أول من كتب في الفكر التربوي في إفريقية، فوضع رسالة في آداب المعلِّمين، تضمَّنت إلتزاماتهم في عملية التعليم، وشروط أداء مهمَّتهم والمنهج الضَّروري لها⁵، وتضمَّنها ضرورة الإرتكاز على تعليم القرآن، والإهتمام بالعدل بين الصَّبيان في الكتاب، وعلى المدرِّس أن لا يضربهم إلَّا باعتدال ولضرورة تعليمية، وأن يترك لهم أيَّام عطل يأخذونها بالتَّساوي، وأن يتفرَّغ لعمله ولا يهملهم لقضاء مشاغل أخرى من مشاغله⁶.

قد أثير في تربية الصَّبيان في الكتاتيب قضية تلقينهم العربية والحساب، والهدف منها ترسيخ العملية التعليمية القائمة على المذاكرة إلى جانب القائمة على الحفظ (القرآن)، فعلى الصَّبي أن يتعلَّم الخط والكتابة، والقراءة والحساب، وهو أشبه بالتَّعليم الإبتدائي الحالي⁷، وهو ما أوصى به محمد بن سحنون؛ إذ رأى من الواجب على المعلِّم أن يعلم صبيانَه الحساب، والشعر، والخط، والنحو، وغريب الألفاظ، وإعراب القرآن، والشَّكل، والهجاء، والخط الحسن،

¹ إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 328-329.

² الأهواني، التربية في الإسلام، دار المعارف، القاهرة، 1968م، ص 11.

³ محمد زيتون، المرجع السابق، ص 382.

⁴ نفسه، ص 383-386.

⁵ إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 329.

⁶ الأهواني، التربية، ص 353-359.

⁷ إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 323.

والقراءة الحسنة، والترتيل على قراءة نافع، وأن يعلّمهم الشّعر الخالي من فحش الكلام وأخبار العرب¹.
 قد اعتمد محمد بن سحنون في رسالته حول آداب المعلّمين على آراء مالك وفتاويه بعد القرآن وصحيح
 السنّة، فقد كان هوّ وغيره من فقهاء المالكيّة يعودون إلى فتاويه حول تعليم الإناث، وموادّ التّعليم، والتزامات
 المؤدّب، ومشكلات العقاب البدني، وبالتالي يمكن اعتبار رسالة محمد بن سحنون تلخيص لآراء مالك التّربويّة²، و
 لعلّ هذا ما يفسّره إهتمام فقهاء المالكيّة بالحركة التّعليميّة في إفريقيّة إذ شكّلوا نسبة كبيرة من معلّمي
 الكتاتيب، وعمل آخرون على تكوين المعلّمين، والخطباء، والأئمّة، وعملوا في سبيل ذلك على الإعتماد على منهج
 مميّز من خلال: الإلقاء (الإملاء) على الطّلبة من طرف المدرّس فيسمعون منه ويكتبون أهمّ ما ذكره، وقراءة
 الكتب، ونسخ نماذج منها، ثمّ الحفظ والذي لا يقتصر على الكتاب بل يتعدّاه إلى مراحل متقدّمة من الدّراسة، ثمّ
 المناظرة؛ أي المذاكرة، والمناقشة، والجدال، ومن مميّزاته ترسيخ المعلومات وتدقيق الآراء³.

2) في الدّولة الرستميّة:

تشابه في عموميّاتها العمليّة التّعليميّة بين الإباضيّة والمالكيّة من حيث كونها تبدأ بالدين وتنتهي إليه، وأوّل ما
 يتعلّمه الإباضي في الكتاتيب العقيدة، وبعدها القرآن تلقيناً وحفظاً وتلاوة، و الأمر ذاته للحديث النبوي، ثمّ اللّغة
 العربيّة، وبعدها الفقه، وبعدها السيرة النبويّة⁴. ومن حيث المراحل فقد اعتمدت العمليّة التّعليميّة على الكتاتيب في
 مراحل أولى، ثمّ على حلقات العلم في المساجد، وفي بيوت الفقهاء كمرحلة ثانية، ولم يكن التّعليم منظّماً ولا نظاميّاً
 بل تحكّمت فيه رغبات النّاس وميولهم الفكريّة⁵.

أمّا في جبل نفوسة فكان لأغلب المشايخ حلقات علميّة، وكانوا يعتمدون على الحوار والمناقشة والسّؤال،
 وشجّع الشيوخ طلّابهم على طرح الأسئلة، والّذين كانوا بدورهم يتذكرون مسائل التّوحيد والفقه خارج
 الحلقات، وكانت العمليّة التّعليميّة تتم في ثمانية أشهر من كل عام، وتترك الأشهر الأربعة الأخرى للعمل
 الزراعي⁶، وكان التّعليم في المدارس هامّاً في تحصيل العلوم الأوليّة، وكانت بعض المدارس موصولةً بالمساجد، وبعضها
 مستقل، وما شجّع على انتشارها أنّ كلّ من ينهي تعليمه من الإباضيّة في نفوسة، وجب عليه نقل علمه إلى
 مجموعة جديدة للحفاظ على المذهب⁷.

¹ (الأهواني، التّربية، ص 360).

² (إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 333).

³ (حفيظ كعوان، المرجع السابق، ص 53-59).

⁴ (إبراهيم بخاز، التّعليم عند الإباضيّة، ص 2-3).

⁵ (نفسه، ص 3-4).

⁶ (محمود حسين الكوردي، المرجع السابق، ص 56-57).

⁷ (نفسه، ص 66).

الخاتمة

من خلال إستقراء المعلومات الواردة في المصادر والمراجع واستخراج ملامح التطور في العلوم النقلية والعقلية في بلاد المغرب في عهد الدول المستقلة (140-296هـ/757-908م) أمكننا إستخلاص النتائج التالية:

1) كانت عملية الفتح الإسلامي وما أتبعها من إستقرار العناصر المشرقية المسلمة واتخاذهم لمؤسسات دينية و ثقافية دور هام في نشر الدين الإسلامي بين سكان بلاد المغرب فارتبطوا به واتخذوا اللغة العربية أداة لممارسة الشعائر ومعرفة الأحكام، وارتبطوا أيضًا برمزية مكة المكرمة والمدينة المنورة فشددوا الرّحال إليها للحج وجلسوا فيها لحلقات الدّرس، وهو ما أصبح فيما بعد تقليدًا لديهم، ثمّ توسّعوا في آفاق الرحلة العلمية؛ فأتجهّوا إلى العراق والشّام واليمن ومصر، فأخذوا من علم أهلها وعادوا به إلى بلادهم، وزاد إهتمامهم بالعلم تشجيع السّلط السياسية، من أجل مواكبة إرغاصات النهضة العلمية في المشرق الإسلامي، والتي بدأت في التّبلور إبّان العهد العبّاسي، وهذه التفاعلات كوّنّت ركيزة النشاط الثقافي في بلاد المغرب الإسلامي طيلة عهد الدول المستقلة.

2) إرتبطت التطورات العلمية في هذه الفترة بالعلوم النقلية وعلى رأسها الفقه، فقد توافد على بلاد المغرب عددها من فقهاء المشرق، وعملوا على بناء المساجد، وإشباع رغبة المسلمين المغاربة في معرفة كثير من أحكام دينهم، وارتحلوا في طلب العلم صوب المشرق الذي كان يشهد نشاطًا هامًا في هذا الميدان من العلوم، واتخذ المغاربة مسلكين في طلب العلم الشرعي: الإتجاه السنيّ وعرف بدوره مدرستين: مدرسة المدينة المحافظة على الأخذ بالحديث، والإعتماد عليه في الفقه، وكان على رأسها الإمام مالك وتلاميذه من بعده في مصر والحجاز، ومدرسة العراق في الكوفة وبغداد وترعّمها الإمام أبوحنيفة النّعمان وتلاميذه من بعده، والإتجاه الخارجي وكانت مجالس علمه تعقد سرًا في البصرة، و في عُمان أيضًا، وكلاهما كانا مركزين لنشر المذهب الإباضي، وبدرجة أقل المذهب الصّفري، ودخلت هذه المذاهب كلّها إلى بلاد المغرب، ونجحت مذاهب الخوارج في دمج الدّعوة الدّينية بالعمل العسكري وأسّسوا دولتين في تاهرت وسجلماسة، وهيمن المذهبان السّنيّان على إفريقية، وارتبطا بالسلطة الأغلبية السّنية.

3) تميّزت المرحلة الأولى في عهد الأغلبة بالإزدواجية المذهبية، وحاول عدد من الفقهاء كعبد الله بن فروخ، وعلي بن زياد الفارسي وأبي محرز القاضي، المزج بين فتاوى مدرستي الرّأي والحديث، وحاول أسد بن الفرات تصنيف كتاب في الفقه سمّاه "الأسدية" تضمّن فتاوى مالكية مدعّمة بأخرى حنفيّة، وعمل على نشره في إفريقية، ولكنّه إصطدم بتمسّك أهل القيروان بالمذهب المالكي وبخاصّة بعض الفقهاء كسحنون.

4) شكّل نشاط الإمام سحنون مفصل متميّز في تاريخ المذهب المالكي في القسم الغربي من العالم الإسلامي، إذ غادر إلى مصر لتنقيح "الأسدية" وتغييرها بالأراء المالكية الخالصة، وغيّرها بـ "المدونة" في فقه الإمام مالك، وعمل على تدريسها في جامع القيروان، سيّما بعد أن ثبت بُعد جزء من آراء "الأسدية" عن صحيح أقوال الإمام مالك، فمثّل سحنون بهذا؛ المذهب المالكي الخالص. وتوافد عدد هام من طلبة العلم من المغاربة والأندلسيين على مجالسه إنتشرت آرائه الإجتهدية في نطاق المذهب المالكي، وكّرس سحنون بهذا هيمنة المالكية على فقه أهل السّنة في بلاد المغرب.

5) كان المذهب الحنفي المذهب الرسمي للخلافة العباسية في بغداد، فاستفاد من دعم السلطة الأغلبية الممثل الشرعي للعباسيين، واستمرّ توافد الفقهاء الحنفيين من العراق، وتولّى كثير منهم القضاء، والتدريس والإفتاء، كما كان مذهب كثير من الجند الأغلي، وكثيراً ما وقع صراع بين أتباع هذا المذهب والمالكية، وبشكل خاص بعد وفاة سحنون، وزاد الأمر سوءاً بتأييد كثير منهم للقول بخلق القرآن، وهو أمر رفضه المالكية بشدّة، وتكبّدوا معاناة شديدة لأجله، وهذا مجارة لما حدث في العراق حول هذه المسألة.

6) لم تحظى المذاهب السنية الأخرى بتأثير كبير في بلاد المغرب مقارنة بالمذاهب السابقين، فبعضها لم يعرف إنتشاراً حتّى في المشرق، وبعضها تأخّر في الظهور كالمذاهب الظاهري والشافعي، وهذا المذهب بدوره عرف معاداة وملاحقة المالكية لأتباعه - على قلتهم -، وهذا تأثراً بالفقهاء المصريين من المالكية الذين عادوا الشافعي وتلاميذه من بعده، واعتبروه في الأصل فقيهاً مالكيّاً حاول تصحيح كثير من آراء مالك الفقهية، وهو ما أولوه بأنّه إنتقاص من مكان مؤسّس مذهبهم، ومحاولة لتحطيم مجهودات سنوات طويلة من العناية بفقّه مدرسة الحديث.

7) تجاوز المالكية في بلاد المغرب مرحلة التقليد، وأصبح الفقّه المالكي مرتبطاً باجتهادات المغاربة من تلاميذ سحنون، وظهرت مدرسة قائمة بذاتها هي مدرسة إفريقية، وبالمقابل تراجع دور مدارس مصر، والحجاز، والعراق، بعد أن غمر المذهب الشافعي هذه المناطق، في حين أتاح "مدونة سحنون" عملية تحديد لآراء المالكية في المسائل الإجتهدية، وهو ما منح تحديداً في الفتوى.

8) أصبح للمذهب الإباضي سلطة رسمية ترعاه في بلاد المغرب بتأسيس دولة الرستميين سنة 160هـ/777م، وبهدفين عمليّين الإنتاج الثقافي في العلوم التقلّية لدى الإباضية تميّزت بالكثرة وبالأخص في جبل نفوسة، والذي بلغ عدد المهتمّين بالعلم من أهله حدّاً يجعل الباحث يرجّح أنّه ثاني أهم مركز ثقافي في المغرب بعد القيروان.

9) عملت الإمامة الإباضية في تاهرت على إظهار نوع من التسامح الديني تجاه المذاهب الأخرى لإظهار صحّة إعتقادهم، فانعقدت حلقات الجدل والمناظرة في مساجدها، ممّا أدّى إلى تطوّر الإهتمام بعلم الكلام واتّخاذه أداة للدّفاع عن آرائهم الإعتقادية تجاه المذاهب الأخرى، فالواصلية (المعتزلة) في المغرب الأوسط كانوا يُشكّلون عدداً كبيراً من الزناتيين، ولم يتم قمع آرائهم، وهوربوا فقط حينما حملوا السّلاح، على عكس ما حدث في الدولة الأغلبية حيث حارب المالكية المعتزلة - على قلتهم - واعتبروهم مرتدّين.

10) إرتبط علم الحديث في بلاد المغرب بالمذهب المالكي باعتبار موطأ الإمام مالك كتاب حديث بالأساس، وهو عماد المذهب، ولهذا إهتم الفقهاء المالكية بجمع الأحاديث أثناء رحلاتهم العلمية إلى المشرق باعتبارها أساس الفتوى، وبلغوا في ذلك درجة الإعتماد عليهم في رواية الأحاديث عند الشّيوخ.

11) إستقرّت قراءة القرآن في بلاد المغرب على الأخذ بقراءة نافع باعتباره مالكيّاً من أهل المدينة، وذلك بعد أن غلب المذهب المالكي على الحياة الدّينية في إفريقية ابتداءً من حياة سحنون، وذلك تأثراً بالأندلسيين في الأخذ من أهل المدينة بمذهب مالك في الفقّه، ونافع في القراءة.

12) لقد كان التفسير بسيطاً عند أهل السُّنَّة في إفريقية حيث اعتمد على شرح الألفاظ، وإظهار الأحكام المستخلصة من كل آية، بخلاف نظيره عند الإباضية الذين اعتبروه ركيزة إعتقادية، وأساساً لظهور المذهب الإباضي، ولهذا برز كثير من المفسرين في جبل نفوسة عملوا على مناظرة أصحاب المذاهب الأخرى في تفسير آيات قرآنية، وظهرت في هذا الصدد بعض المصنّفات.

13) إنّ تواجد عدد كبير من العبّاد والزّهّاد في بلاد المغرب واتّخاذهم للرباطات مستقراً للانقطاع للعلم والعبادة والجهاد مهّد للإرهاصات الأولى للتصوّف، وبرز منهم من تجوّل في الأقطار، وبثّ فيها قصص عن كراماته، ومنهم من وصل صدى عبادتهم وتبثّلهم إلى المشرق، فارتحل إليهم من يرغب في التعلّم من تصوّفهم، على أنّ هذا اللون من المعرفة كان لا يزال وقتها في طور النشأة.

14) كان لانتشار الإسلام الدور الأبرز في انتشار اللغة العربية بين المتعلّمين في بلاد المغرب باعتبارها وسيلة للتعبّد، كما ساعد توافد المشاركة من أبناء القبائل العربية المختلفة وعناية السُلط السياسية بالأدب وعلومه في زيادة الإهتمام بالتحوّل والنشر والشعر؛ الذي تطوّر بشكل ملحوظ في نهاية القرن الثالث الهجري ببروز الشاعر بكر بن حمّاد الذي شهد له المشاركة بعقيدته الشعرية وتمكّنه من ألفاظ وأساليب العربية، فيمكن اعتباره بحق الظاهرة الشعرية المغربية وقتها.

15) حاكى علم التاريخ في بلاد المغرب ما هوّ موجود في المشرق فلم يتجاوز الجانب الإخباري والقصصي، والتعلّق بالأنساب، وسيرة الرسول صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه، وظهرت بعض الأسماء في ميدان الكتابة التاريخية وألّف فقهاء القيروان في التاريخ مثل محمّد بن سحنون التّونسي الذي اعتمد على مروياته أبو العرب محمّد بن تميم في طبقاته، والمالكي في "رياض النفوس"، ولكنّ كتبه الكثيرة فُقدت وهوّ ما حرّمنّا من الإطلاع على كتابته التاريخية، ولم يتبقّى من مُصنّفات تلك الفترة سوى مؤلّفات الدولة الرستميّة مثل: "كتاب فيه بدء الإسلام وشرائع الدّين" للوّاب بن سلام، و"تاريخ الأئمّة الرستميين" لابن الصّغير، وهذا الأخير تميّز بمنهج منظّم في تدقيق الروايات التاريخية رغم بعض النّقائص.

16) كان لبيت الحكمة في إفريقية دور أساسي في العناية بالعلوم العقلية في بلاد المغرب عمومًا وإفريقية خصوصًا، من خلال جلب المتخصّصين في هذه العلوم من المشرق والذين عملوا على نشرها بين المغاربة. فبرز تلاميذ بيت الحكمة البغدادي بشكل لافت ودرّسوا عددًا من طلبة العلم من أهلها، فبيت الحكمة سدّ نقصًا في العناية بالعلوم العقلية، وبالتالي فإنّ نشاط هذه المؤسسة الثقافيّة شكّل منطلقًا للإنتاج العلمي في القرون اللاحقة، فظهرت مؤلّفات في الطّب والفلسفة، لم يتبقّى منها إلّا أسمائها في كتب الطبقات، وهيّ متواضعة من حيث الكم مقارنة بالعلوم العقلية في حواضر المشرق.

17) إنّ النشاط العلمي في فترة الدّول المستقلّة تميّز بالمذهب المالكي في الفقه السنيّ، والمذهب الإباضي في الفقه الخارجي، وانتشار اللغة العربية كلغة ثقافة وأدب، وذلك للإهتمام المبكّر بالعلوم الثّقليّة لارتباطها بالدّين، إذ أنّها شكّلت المظهر العام للحياة الثقافيّة في بلاد المغرب وبخاصّة الدّراسات الفقهيّة، وبذلك حاكت في هذا الجانب

المشرق، وأصبح للإنتاج الثقافي المغربي سمعة جيّدة، فكتاب "الإمامة" لمحمد بن سحنون تحافت عليه العلماء في بغداد، و"الأسديّة" اعتنى بها المصريّون قبل دخولها القيروان، و"المبدؤة" إنتشرت في الأندلس، ومصر، والحجاز. على عكس العلوم العقلية التي عرفت بداية متواضعة في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، إذ لولا تأسيس بيت الحكمة في رقادة ما كان هناك إهتمام بها إلّا في شكل ثقافة فردية، على نقيض تطوّر العلوم العقلية بالشرق الذي عرف إزدهارًا نتيجة كثافة حركة الترجمة، والاحتكاك بحضارات سابقة مزدهرة ذات تقاليد علمية عريقة كال يونانية والفارسية والسريانية.

قائمة الملاحق

ملحق رقم 1: إحصاء البارزين في العلوم النقلية والعقلية في عهد الدول المستقلة.
جدول رقم 1: العلوم النقلية.

التخصص.	دولة الأغلبية.	الدولة الرسمية.	الأداسة.	دولة نكور.	بني مدرار.
الفقه السني.	45	8	13	3	4
الفقه الإباضي.	/	58	/	/	/
علوم القرآن.	6	5	2	/	/
الحديث	23	5	/	/	/
علم الكلام	18	5	5	/	/
أصول الفقه.	9	/	2	/	/
التصوف.	11	/	/	/	/
علوم الأدب	40	2	2	2	/

جدول رقم 2: العلوم العقلية.

التخصص.	الأغلبية.	الرسميين.	الأداسة	دولة نكور.	بني مدرار.
التاريخ	7	13	2	/	/
الطب والصيدلة	14	/	/	/	/
علم التنجيم والفلك ، الحساب، الفرائض.	4	12	/	/	/
الفلسفة.	1	/	/	/	/
الفكر التربوي	1	/	/	/	/

ملحق رقم 2: المُصنِّفِين ومُصنِّفاتِهِم في العلوم النِّقَلِيَّة والعَقَلِيَّة في عهد الدَّوَلِ المُستَقَلَّة.

1) علم الفقه:

أ) عند الأغلبية:

المُصنِّف.	المُصنِّف.
-أسد بن الفرات الخراساني.	-أسد بن الفرات الخراساني.
-سحنون بن سعيد التنوخي.	-سحنون بن سعيد التنوخي.
-محمد بن إبراهيم بن عبدوس.	-محمد بن إبراهيم بن عبدوس.
-سليمان بن سالم القطان "ابن الكحلة".	-سليمان بن سالم القطان "ابن الكحلة".
-محمد بن سحنون التنوخي.	-محمد بن سحنون التنوخي.
-أجوبة الفقهاء.	// // //
-الرد على الشافعي.	-يحيى بن عمر الكناي الأندلسي.
-الرد على الشافعي.	-القاضي عبد الله بن طالب التميمي.
-الرد على الشافعي.	-محمد بن علي البجلي.
-الحجة في الشاهد واليمين (أربعة أجزاء).	

ب) عند الرستميّين:

المُصنِّف.	المُصنِّف.
-مسائل جبل نفوسة.	-عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم.
-مدونة أبو غانم الخراساني.	-عمروس بن فتح.

2) علوم القرآن:

أ) عند الأغلبية:

المُصنِّف.	المُصنِّف.
-أحكام القرآن.	-أحمد بن أحمد بن زياد بن جعفر.
-الإبتداء والتمام.	-محمد بن عمر بن خيرون المعافري الأندلسي.
-الألفات واللامات.	// // // //

ب) الرستميّين:

المصنّف.	المصنّف.
-عبد الرحمان بن رستم.	-تفسير القرآن.
-هود بن محكم الهوّاري.	-تفسير القرآن.

3) علم الحديث:

عند الأغلبية:

المصنّف.	المصنّف.
-محمد بن سحنون التنوخي.	-المسند في الحديث.
-// // //	-غريب الحديث (اجزاء الحديث).

4) علم الكلام:

عند الأغلبية:

المصنّف.	المصنّف.
-سعيد بن محمد الحدّاد.	-الإستواء.
-// // //	-عصمة التّبيين.
-// // //	-المقالات.
-محمد بن سعيد التنوخي.	-الرد على الكفرية.
-// // //	-الإيمان والرد على أهل الشّرك.
-// // //	-أدب المتناظرين (جزآن).
-// // //	-الحجة على القدرية.
-// // //	-الحجة على النّصارى.
-محمد بن علي البجلي.	-الرد على الشّكوكية.

5) علوم الأدب:

أ) عند الأغلبية:

المصنّف.	المصنّف.
-سراج الهدى في معاني القرآن وإعرابه وشكله.	-أبو اليسر الشيباني.
-لقط المرجان في الأدب.	// //
-قطب الأدب.	// //
-المرصعة والمدبجة.	// //
-الوحيدة والمؤنسة.	// //
-شرح دواوين العرب.	-أبو محمد المكفوف.
-غريب الألفاظ.	// //
-علم العروض.	// //
-تفسير مغازي الواقدي.	-عبد الملك بن قطن الفهري.
-الألفاظ.	// //
-إشتقاق الأسماء.	// //

ب) عند الرستميّين:

المصنّف.	المصنّف.
-الدر الوقاد في شعر بكر بن حمّاد.	-بكر بن حمّاد الزناتي التاهريّ.

7) التاريخ:

أ) عند الأغلبية:

المصنّف.	المصنّف.
-فتوح إفريقية.	-عيسى بن محمد بن سليمان بن أبي المهاجر.
-المغازي والتواريخ.	-محمد بن سحنون التنوخي.
-السير (عشرون جزء).	// //
-طبقات العلماء (سبعة أجزاء).	// //
-التاريخ (ستة أجزاء).	// //

ب) عند الرستميّين:

المصنّف.	المصنّف.
-لؤاب بن سلام التوزري المزّي الإباضي. -إبن الصّغير.	-بدء الإسلام وشرائع الدّين. -تاريخ الأئمة الرستميّين.

8) الطب والصّيادلة:

-عند الأغلبية:

المصنّف.	المصنّف.
- إسحاق بن عمران البغدادي.	-العنصر والتّمام في الطب. -المالنجوليا. -النّبض. -أقوال جالينوس في الشّراب. -أقوال أبقرط في البول. -الأدويّة. -الأدويّة المنفردة.
- إسحاق بن سليمان الإسرائيلي	-الترياق. -الأغذية والأدويّة. -الحميات. -كتاب البول. -كتاب الإسطقسات. -النّبض. -مدخل إلى صناعة الطب.
أبو بكرمحمّد بن الجزّار.	-الأدويّة والأشربة والمعاجين والتّرياقات.

9) علم الفرائض:

-عند الأغلبية:

المصنّف.	المصنّف.
-كتاب الفرائض والمواريث.	-أبو علي شقران بن علي الهمداني.

10) الفلسفة:

- عند الأغلبية:

المصنّف.	المصنّف.
-إسحاق بن عمران البغدادي.	-نزهة النفس.
-إسحاق بن سليمان الإسرائيلي.	-مدخل إلى المنطق.
// // //	-بستان الحكمة.
// // //	-كتاب الحكمة.

11) الفكر التربوي:

- عند الأغلبية:

المصنّف.	المصنّف.
-محمد بن سحنون التنوخي.	-رسالة في آداب المعلمين.

ملحق رقم 3: مُصنّفات فترة الدّول المستقلّة الموجودة حاليّاً.

عنوان المصنّف.	إسم المصنّف.	التّخصّص.
- أخبار الأئمّة الرّسميّين.	- ابن الصّغير.	- تاريخ.
- بدء الإسلام وشرائع الدّين.	- لؤاب بن سلام.	- تاريخ.
- المدوّنة الكبرى.	- عبد السلام بن سعيد التنوخي (سحنون).	- الفقه المالكي.
- آداب المعلّمين.	- محمد بن سحنون التنوخي.	- الفكر التّربوي.
- أجوبة الفقهاء.	- // // //	- الفقه.
- مدوّنة أبو غانم الخراساني.	- القاضي عمرو بن فتح.	- الفقه الإباضي.
- الأسدية.	- أسد بن الفرات.	- الفقه المالكي والحنفي.
- تفسير القرآن.	- هود بن محكم الهوّاري.	- التّفسير الإباضي.
- الدرّ الوقاد من شعر بكر بن حمّاد.	- بكر بن حمّاد التاهري.	- ديوان شعر.

في الوضوء بماء الخبز والتبيد والإدام والماء الذي يقع فيه الخشاش وغير ذلك.

قال: "وقال مالك: لا يتوضأ من الماء الذي يُبَلُّ فيه الخبز، قلت: فما قوله في الفول والعدس والحنطة وما أشبه ذلك؟ قال: إنما سألناه عن الخبز وهذا مثل الخبز.

قال ابن القاسم: وأخبرنا بعض أصحابنا أن سائلاً سأل مالك عن الجلد يقع في الماء فيخرج مكانه أو الثوب هل ترى بأساً أن يتوضأ بذلك الماء وقد ابتلّ الجلد في ذلك الماء؟ فقال: لا، فقال مالك: هذا مثل الخبز ولكل شيء وجهه.

قال: وقال مالك: لا يتوضأ بشيء من الأنبذة ولا العسل الممزوج بالماء، قال: والتيمم أحبُّ إليَّ من ذلك، قال: وقال مالك: لا يتوضأ من الطعام والشراب ولا يتوضأ بشيء من أبوال الإبل ولا ألبانها، قال: ولكن أحبُّ إليَّ أن يتمضمض من اللبن واللحم ويغسل الغمر إذا أراد الصلاة.

قال: وقال مالك: لا يتوضأ بماء قد توضأ به مرة ولا خير فيه، قلت: فإن أصاب ما قد توضأ به مرة ثوب رجل؟ قال: إن كان الذي توضأ به طاهر فإنه لا يفسد عليه ثوبه، قلت: فلو لم يجد رجل إلا ماء قد توضأ به مرة أيتيم أم يتوضأ بما قد توضأ به مرة؟ قال: يتوضأ بذلك الماء الذي قد توضأ به مرة أحبُّ إليَّ إذا كان الذي توضأ به طاهراً.

قال: وقال مالك في النخاعة والبصاق والمخاط يقع في الماء، قال: لا بأس بالوضوء منه، قال: وقال مالك: كل ما وقع من خشاش الأرض في إناء فيه ماء أو في قدر فيه طعام فإنه يتوضأ بذلك الماء ويؤكل ما في القدر وخشاش الأرض الزئبور والعقرب والصرار والخنفساء وبنات وردان وما أشبه هذا من الأشياء.

قال: وقال مالك: في بنات وردان والعقرب والخنفساء وخشاش الأرض ودواب الماء مثل السرطان والضفدع، ما مات من هذا في طعام أو شراب فإنه لا يفسد الطعام ولا الشراب.

وقال مالك: لا أرى بأساً بأبوال ما يؤكل كل لحمه مما لا يأكل الجيف وأرواثها إذا أصاب الثوب، قال ابن القاسم: وأرى أنه إن وقع في الماء فإنه لا يُنجسه، قال: وسئل مالك عن حيتان ملّحت فأصببت فيها ضفادع قد ماتت، قال: لا أرى بأكلها بأساً لأن هذا من صيد البحر".

¹ (عبد السلام بن سعيد التنوخي، المصدر السابق، ج 1: ص 114-115).

دخول أبي اليقظان تاهرت وسيرته بها.

"قال لي جماعة ممن شافهني من الإباضية وكلمني، لما دخل أبو اليقظان المدينة ونزلها كان أول شيء نظر فيه من أمور الناس أن استصلح لهم قاضيًا، بعد أن شاور جماعة منهم، فأشاروا به وكان اسم القاضي ابا عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي الشيخ ثم ولي على بيت ماله رجلًا من نقوسة، ثم قدم على منبره من ارتضاه هو بنفسه، ثم أمر قومًا من نقوسة يمشون في الأسواق فيأمررون بالمعروف وينهون عن المنكر، قالوا، فإن رأوا قصابًا ينفخ في شاة عاقبه، وإن رأوا دابة حمل عليها فوق طاقتها أنزلوا حملها وأمروا صاحبها بالتخفيف عنها، وإن رأوا قذرا في الطريق أمروا من حول الموضوع أن يكنسه، ولا يمنعون أحدًا من الصلاة في مساجدهم، ولا يكشفونه عن حاله ولو رأوه رافعًا يديه، ما خلا المسجد الجامع إن رأوا فيه من رفع يديه منعه وزجره فإن عاد ضربه، وكانت خطبهم على المنابر خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ما خلا خطبة التحكيم، فلم يزل قاضيهم محمد بن عبد الله يحسن السيرة فيهم ويأمر أبي اليقظان وينهى إلى نهي لا تأخذه في الله لومة لائم، إلى أن حدث حدث فأصبح بالغداة إلى أبي اليقظان فرمى إليه خاتمه وقمطره فقال ولّ على قضائك من تريد؟ فقال له مالك وما اعتراك؟ فقال له ما نقتم عليك شيئًا ولكن نقمت على بنيك، فقال ما بال بني؟ قال خليتهم عالة على الناس، فغضب أبو اليقظان مما استقبله به ولم يرد عليه شيئًا، وكان للقاضي حاسدون ومبغضون، فلما انصرف من عند الإمام قال لمن حوله إذا كان بالغداة أمضوا إلى محمد واسئلوه ما نقم علي، وعلى من نقم لنزجره لما كان منه، فقدموا إليه فأعلموه، فقال لهم دعوني من هذا والله لا وليت له قضاء أبدًا فانصرفوا عنه وقد وافق ذلك سرورهم لحسدهم إياه وبغيهم عليه، وأتوا أبا اليقظان فقالوا: أصلح الله الأمير، الرجل به حق ولك في المسلمين ، من هو أنفع للمسلمين منه، فلم يزالوا به حتى صرفوه وولّوا القضاء رجلًا يقال له شعيب بن مدمان...".

¹أخبار الأئمة الرستميّين، ص 77-78.

ما جاء في الأدب وما يجوز من ذلك وما لا يجوز.

"قال وحدثنا عن عبد الرحمن عن عبيد بن إسحاق، عن يوسف بن محمد، قال: كنت جالساً عند سعد الخفاف فجاء ابنه ييكى، فقال: يا بُني ما يُكيك؟ قال: ضربني المعلم، قال أما والله لأحدثنكم اليوم: حدثني عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: شرار أمتي معلّموصيائهم، أقلّهم رحمة لليتيم، وأغلظهم على المسكين.

قال محمد: وإنما ذلك أنه يضربهم إذا غضب، وليس على منافعهم، ولا بأس أن يضربهم على منافعهم، ولا يُجاوز بالأدب ثلاثاً، إلا أن يأذن الأب في أكثر من ذلك إذا آذى أحداً، ويؤدّبهم على اللعب والبطالة، ولا يُجاوز بالأدب عشرة، وأما على قراءة القرآن فلا يُجاوز أدبه ثلاثاً.

قلت: لم وقت عشرًا في أكثر الأدب في غير القرآن، وفي القرآن ثلاثة؟، فقال: لأنّ عشرة غاية الأدب، وكذلك سمعتُ مالكا يقول: وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يضرب أحدكم أكثر من عشرة أسواطٍ إلا في حد. حدثنا رباح، عن ثابت، عن عبد الرحمن بن زيد، عن أبي عبد الرحمن الحُبلي، قال: بلغني أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أدب الصبي ثلاث دُرر، فما زاد عليه قوصص به يوم القيامة، وأدب المسلم في غير الحد عشر إلى خمس عشرة، فما زاد عنه إلى العشرين يُضرب به يوم القيامة".

قال محمد: وكذلك أرى ألا يضرب أحد عبده أكثر من عشرة، فما زاد على ذلك قوصص به يوم القيامة إلا في حد، إلا إذا تكاثرت عليه الذنوب، فلا بأس أن تضربه أكثر من عشرة، وذلك إذا كان لم يعفّ عن ما تقدّم، وقد أذن النبي صلى الله عليه وسلم في أدب النساء، وروى أنّ ابن عمر رضي الله عنهما ضرب امرأته، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: يؤدّب الرجلُ ولده خير من أن يتصدّق، وقد قال بعض أهل العلم: إنّ الأدب على قدر الذنب، وإنّما جاوز الأدب الحد، منهم سعيد بن المسيّب وغيره".

¹ أحمد فؤاد الأهواني، التّربية في الإسلام، ص 356-357.

قائمة الفهارس.

فهرس الأعلام

إبن أثال الدمشقي:110.	(أ)
إبن الأعرابي:100.	أبان بن عثمان بن عقان:103.
إبن البرذون(عبد الملك بن محمد الضبي):48،85،	أبدين الفرستائي(أبوذر):61.
88.	إبراهيم بنحاز(مؤرخ):108،115.
إبن الجزار:114.	إبراهيم بن أحمد الأغلي(الثاني):9،14،15،
إبن الحجاج(عبد الله بن قاسم بن مسرور):18.	19،32،85،100،116.
إبن الحداد(سعيد بن محمد):43،48،79،84،	إبراهيم بن الأغلب:6،48،84،101،102،
85،86،88،93.	إبراهيم بن جابر الظاهري:50.
إبن خلدون(مؤرخ):82.	إبراهيم بن الجزار:114.
إبن خيرون الأندلسي(محمد بن عمر المعافري	إبراهيم بن المضاء الضير:45،90.
الفرضي القروي):51،75.	إبراهيم حركات(مؤرخ):118.
إبن الرخمة:88.	إبن أبي أصيعة:114.
إبن سعد (صاحب الطبقات الكبرى):103.	إبن أبي الحواجب:46.
إبن السكيت:94.	إبن أبي الجواد:37،38.
إبن شهاب الزهري:23.	إبن أبي ذئب:51.
إبن الصائغ الوزير:100.	إبن أبي رمثة التميمي:110.
إبن الصباغ:85.	إبن أبي عاصم اللؤلؤي:97.
إبن صخر المعتزلي:84.	إبن أبي منظور الأندلسي القيرواني:80.
إبن الصغير(مؤرخ):62،95،107،108،109،	إبن أبي المنهال(إسحاق بن مكرم الأشعري):91.

أبو الأَحوص الزَّاهد: 96.	إبن الصَّغِير الهَوَّاري: 60.
أبو الأسود الدَّؤلي: 70.	إبن الصَّغَّار الخارجي: 54.
أبو أيُّوب الأنصاري: 22، 25.	إبن طالب القاضي (أبو العبَّاس عبد الله بن أحمد):
أبو أيُّوب البغدادي: 26.	42، 46، 49.
أبو أيُّوب التَّمَنَكُري: 117.	إبن العبَّادي: 88.
أبو بكر الرَّاзи: 111.	إبن العبَّاداني: 48.
أبو بكر الصَّدِّيق: 38، 107.	إبن عبدوس القاضي: 76.
أبو بكر بن القمَّودي: 85.	إبن غورك: 97.
أبو بكر بن الهذيل: 88.	إبن فرحون الأندلسي: 111.
أبو بكر بن يوسف النفوسي: 60.	إبن قتيبة الدِّينوري: 95.
أبو بكر مُحَمَّد بن الجزَّار: 114.	إبن كثير المَكِّي: 70.
أبو بلال التَّميمي (مرداس بن أدية): 54.	إبن الكَحَّالة (سليمان بن سالم القطَّان): 43، 44.
أبو تَمَّام: 98، 100.	إبن محيَّصن المَكِّي: 71.
أبو ثور الفهمي: 23.	إبن المدني: 45.
أبو جعفر القصري: 78، 79.	إبن المشَّاط (أبو القاسم بن مسرور الأيزاري): 48.
أبو جعفر المنصور العبَّاسي: 54، 91، 103، 110.	إبن معبد الأجنَّاوني: 59.
أبو جميل السَّائح: 91.	إبن المغلَّس: 50.
أبو حاتم الملوْزي: 55، 56، 106، 107.	إبن الوزان الإفريقي: 94.
أبو حاتم يوسف بن اليقْطان: 62، 107.	أبو إبراهيم بن أبي مسلم: 85.

أبو زمة البلوي: 2.	أبو حاتم السجستاني: 100.
أبو سعيد البصري: 26.	أبو حبيب السدي: 85.
أبو سعيد الخدري: 24.	أبو الحجاج الأزدي: 51.
أبو سعيد بن عمر الرعيني: 73.	أبو الحسن الأبداني: 58.
أبو سفيان أبان بن وسيم: 58.	أبو الحسن الكوفي: 79.
أبو صالح النفوسي: 107.	أبو الحسن بن حاتم: 113.
أبو العباس الصنعاني الشيعي: 84، 85.	أبو حمزة سدرات بن إبراهيم: 59.
أبو العباس بن السندي: 48.	أبو حنيفة النعمان بن ثابت: 29، 30، 31، 33، 34،
أبو العباس بن عبدون القاضي: 32، 45.	39، 47، 80.
أبو عبد الله الصنعاني الشيعي: 114، 117.	أبو الخطاب عبد الأعلى بن السّمح المعافري: 55،
أبو عبد الملك الملشوني: 105.	56، 107،
أبو عبيد: 94.	أبو داود العطار (أحمد بن موسى بن جرير الأزدي):
أبو عبيدة عبد الحميد الأعرج الأناوني: 58، 59.	43.
87، 95،	أبو الدرداء: 22.
أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة: 54.	أبو دثون الحنفي: 62.
أبو عثمان الجزري: 90.	أبو دؤاد القبلي النفري: 55، 58.
أبو العرب تميم: 24، 81، 105.	أبو ذر أبان بن وسيم الويغوري: 61.
أبو عقّال سعيد بن محمد بن جرير: 33، 96.	أبو زكرياء الوارجلاني (مؤرخ): 59، 60، 109.
أبو علقمة القاضي: 72.	أبو زكرياء يصيلتين التوكيتي: 58، 59.

- أبو علي السبّخي المكفوف: 94.
- أبو عمرو بن العلاء المكي: 70.
- أبو عينة بن أحمد المهلب: 96.
- أبو غلبون الكزني: 59.
- أبو القاسم البغطوري: 61.
- أبو القاسم بن مفتح: 90.
- أبو قريش عيسى: 110.
- أبو محرز القاضي الكناني الأندلسي: 32، 45، 96.
- أبو محمد التغرميني: 59.
- أبو محمد المكفوف: 94.
- أبو مرداس مهاصر السدراي: 58.
- أبو مسعود الحنفي: 62.
- أبو مسور إيسحا الإيهراسني: 58.
- أبو معروف ويدران بن جواد الشروسي: 58.
- أبو المهاجر دينار: 11.
- أبو موسى الأشعري: 71.
- أبو الموفق سعدوس بن عطية: 57.
- أبو ميمون الجيطالي: 58، 106.
- أبو هارون العمري: 66.
- أبو هارون الأندلسي: 89.
- أبو هاشم بن عبد الله بن محمد بن الحنفية: 83.
- أبو هذيل العلاف: 83.
- أبو هريرة: 24، 25.
- أبو الوليد المهري: 92.
- أبو يحيى أحمد بن قادم: 33.
- أبو يزيد بن أبي كريمة: 51.
- أبو اليقظان الرستمي: 11، 60، 61، 86، 87، 107، 108.
- أبو اليسر إبراهيم بن محمد الشيباني: 98، 116.
- أبو يوسف القاضي (يعقوب بن إبراهيم الحنفي): 30، 31، 33، 34، 39.
- أبي بن كعب: 71.
- أبيض المصري: 2.
- أحمد أمين (مؤرخ): 71.
- أحمد بن إبراهيم الطيب: 110.
- أحمد بن إبراهيم اللؤلؤي القيرواني: 99.
- أحمد بن أبي الأسود: 97.
- أحمد بن أبي محرز: 84.

أحمد بن أحمد بن زياد:76.	إسحاق بن أبي المنهال:32.
أحمد بن الأغلب:35،38.	إسحاق بن راهويه:72.
أحمد بن حذافة:66.	إسحاق بن سليمان الإسرائيلي:113،114، 118،
أحمد بن حنبل:48.	إسحاق بن عمران البغدادي:112،113، 114،118
أحمد بن سليمان الإسرائيلي:93.	إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي:63،87.
أحمد بن سليمان الصوّاف(أبوجعفر):42،98.	إسحاق الملقب:105.
أحمد بن عبد الله(أبوالأحوص):43.	أسد بن الفرات:32،31،29،14،33،34، 35،38،39،40،43،75،79
أحمد بن محمد التّونسي المدني:93.	أسماء بنت أسد بن الفرات:38.
أحمد بن معتب بن أبي الأزهر الأزدي:43،75.	إسماعيل بن دزّار الغدامسي:55،58،76.
أحمد(أبوجعفر) بن موسى التّمّار:84،88.	إسماعيل بن عبيد الله الأنصاري:22.
أحمد بن نصر:88.	إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر القرشي المخزومي:23،89.
أحمد بن وهب:33.	إسماعيل بن يوسف الطّلاء المنجّم:94،116.
أحمد بن يزيد المعلّم:79.	أشهب:26،34،35،43.
أحمد بن يّلول التّنوخّي:80.	الأعمش الكوفي:26،71.
الأحمس الطليطلي:102.	أفلح بن عبد الوهّاب:18،59،60،77،95، 100،109،117
أخت القاضي عمرو بن فتح:59.	
إدريس الأوّل بن عبد الله العلوي:63،66،87.	
إدريس الثّاني:12،63،64،65،66،101.	
إسحاق بن إبراهيم بن التّعمان:49.	

أم الخطّاب الإغرميمانيّة: 59.

أم زعرور الجيطاليّة: 59.

أم سلمة (أم المؤمنين): 27.

أم يحيى تاكسليت: 59.

إمرؤ القيس: 99.

أنس بن عيّاض: 80.

أنس بن مالك: 78.

أهاب بن مازون النفوسي: 62.

الأوزاعي (عبد الرحمن بن عمر بن محمد): 30، 35،

51، 66،

أيّوب بن إبراهيم النّكّوري: 102.

أيّوب بن العبّاس: 59.

(ب)

البحّري: 98.

بحيج (أبوسعيد) بن حدّاش: 81.

بختيشوع بن جبريل: 110.

بسر بن أبي أرطأة: 2.

بشار بن بركانة: 66.

بشر بن الوليد الشّيباني: 30.

بلال بن حارث المزني: 2.

بكر بن حمّاد الرّناقي التّاهري: 80، 98، 100.

بكر بن سودة الجذامي (أبو ثمامة): 23.

البكري (جغرافي ورخالة): 13، 63، 67، 86.

البهلول بن راشد الرّعيني: 28، 29، 35، 45.

البهلول بن عبد الواحد المدغري: 101.

البهلول بن عمر التّجيبّي (ابن عُبيدة): 79، 84.

بهلولة (زوجة أبوخليل صال الدّركلي): 59.

(ت)

تميم بن أوس الدّاري: 22.

(ث)

ثعلب الأديب: 94.

(ج)

الجاحظ: 83.

جابر بن زيد الأزدي: 54، 60، 73، 74، 80.

جبلّة بن حمّود الصّديّ الفقيه: 43، 91.

جعثل بن هاعان بن عمر الرّعيني: 23.

جعفر بن أحمد بن وهب: 33.

جعفر بن السّمّاك: 55.

- جعفر بن محمد الرّازي: 72.
- جندب بن بشر (أبو غطفان الهذلي): 25.
- جندول التمكنري: 59.
- الجنيد: 89.
- جودت عبد الكريم يوسف (مؤرخ): 108.
- جورج مارسيه (مؤرخ): 2.
- جورجيوس بن جبرائيل: 110.
- (ح)
- حاتم بن عثمان المعافري: 29.
- الحارث بن كلدة الثقفي: 110.
- حامد بن عمر: 80.
- حبّان بن أبي جبلة القرشي: 73.
- الحجاج بن يوسف الثقفي: 54.
- حرقوص بن زهير السّعدي: 53.
- الحسن (أبو علي) بن سعيد البصري: 71، 72، 74، 78، 83، 91.
- الحسن بن سليمان الهاشمي: 12.
- حسن حسني عبد الوهاب (مؤرخ): 15.
- حسّان بن النّعمان الغسّاني: 3، 4، 14، 17.
- حفص بن عمارة: 51.
- حفص بن عمر الجزري: 90.
- حمّاد الراوية: 51.
- حمّاد بن يحيى الإدرسي: 67.
- حماس بن مروان: 36، 43.
- حمديس (أبو جعفر) القطّان الأشعري: 43، 84، 96، 112.
- حمزة الكوفي: 70، 75، 76، 112.
- حنش بن عبد الله الصّنعاني: 24.
- حنين بن إسحاق: 110.
- حيّان بن أبي جبلة القرشي: 23.
- (خ)
- خالد بن ربيعة: 92.
- خالد بن يزيد الأموي: 110.
- الخروفي: 97.
- الخشني (مؤرخ): 32، 84، 85، 88، 93.
- خلف بن السّمح: 107.
- خلف بن مختار الطرابلسي: 93.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي: 94.

(د)

داود بن جرير الطبري: 72.

داود بن سراييون: 110.

داود بن يحيى: 91.

داوود بن علي أبوسليمان الأصفهاني الظاهري: 48،
50، 51.

داوود بن القاسم الجعفري: 63.

الدباغ (مؤرخ): 32، 39، 105.

دحمان بن معافى السيوري: 111.

دزاس الفاسي: 66، 67.

الدرجيني (مؤرخ): 54.

دعبل الخزاعي: 98، 100.

(ذ)

ذي التّون المصري: 89.

(ر)

راشد (مولى الأدارسة): 63، 101.

رياح بن يزيد اللّخمي: 51.

الرّبيع بن حبيب: 55.

ربيع (أبوسليمان) بن عبد الله القيرواني: 90.

ربيعة بن ثابت الرقي: 95.

روح بن حاتم: 31.

رويفع بن ثابت الأنصاري: 2، 24.

(ز)

الزّبيدي (مؤرخ): 93، 94.

زفر بن الهذيل العنبري: 30.

زهير بن قيس البلوي: 2.

زورغ الأرجانية: 59.

زياد بن أنعم الشّعباني: 25.

زيّاد بن خلفون القيرواني: 114، 115.

زيّادة الله الأوّل: 14، 32، 38، 39، 93، 99.

113، 114.

زيادة الله الثّاني: 100، 113.

زيّادة الله الثّالث: 15، 19.

زيد بن بشر: 38.

زيد بن ثابت: 27، 71.

(س)

سارية بن لجام: 53.

سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب: 66.

- سحنون(عبد السلام بن سعيد التنوخي): 14،26،
28،29،31،34،35،36،37،38،40،
43،44،45،48،66،75،79،80، 41،42
88،97،98،100،105،111،112
السدي:72.
- سدرات بن إبراهيم:61.
- سدرات بن الحسن البغطوري(أبوالقاسم):61.
- سرجس الطيّب:110.
- السريُّ الشُّقْطِي:89.
- سعد بن أبي وقّاص:27.
- سعد بن أبي يوسف:58.
- سعيد بن إسحاق:79.
- سعيد(أبو محمد) بن سليمان الفساطوي:106.
- سعيد بن عبّاد السّرتي(مزغلة):112.
- سعد بن مسعود البجلي:22.
- سعدون بن سعيد الوريثي:99.
- سعيد الثاني(أمير نكور):68.
- سعيد بن أبي يونس وسيم النفوسي:59.
- سعيد بن الأشج:32.
- سعيد بن جبير:74،71.
- سعيد بن صالح الحميري:13.
- سعيد بن عبّاد السّرتي(مزغلة):112.
- سعيد بن المسيّب:89،27،23.
- سعيد بن يحيى الفراء:44.
- سفيان الثوري:80،75،66،64،51،31،28.
- سفيان بن عُيَينة:79،72،52،46،35.
- سفيان بن وهب الخولاني:25،23.
- سلمة بن سعيد:55.
- سلمة بن قطفان الزواغي:59.
- سليمان بن زرقون:106.
- سليمان بن عبد الله العلوي:63.
- سليمان بن عمران:96،46،45،36،31.
- سليمان الفراء:84.
- سليمان الهواري:60.
- سليمان وكيل الزّهاني بن محمد:107.
- السمح بن أبي الخطّاب المعافري:59.
- السنوسي(مؤرخ):66.
- سهل بن سعد الساعدي:23.

- سهل بن عبد الله القبرياني: 42، 111.
- سيويه: 92، 94.
- (ش)
- الشافعي (الإمام محمد بن إدريس): 28، 34، 46، 47، 88،
- شاكر (مولى عقبة بن نافع الفهري): 16.
- شعبة بن الحجاج: 72.
- شقران بن علي الهمداني: 89، 116.
- شكر بن صالح الكتامي: 57.
- شكرت الزغوارية: 59.
- الشمّاح (سليمان بن جرير الجزري): 63.
- شيبه بن زنون: 49.
- (ص)
- الصنائع: 26.
- صالح الدركلي المرجسي (أبو خليل): 61، 76، 106.
- صالح الثاني (أمير نكور): 68.
- صالح بن منصور الحميري: 68، 102.
- صالح المزغورتي: 106.
- صحار العبدي: 55.
- صدوق الفرستائي (أبوذر): 61.
- صقلاب بن زياد الهمداني: 29.
- صهيب بن سنان: 27.
- (ض)
- ضمّام بن سائب العبدي: 55.
- (ط)
- طالوت (فقيه مالكي): 64.
- طاووس: 71.
- طلق بن جابان: 24.
- (ع)
- عائشة (أم المؤمنين): 24، 25، 27.
- عاصم السدراقي: 55.
- عاصم الكوفي: 70.
- عامر بن محمد بن سعيد القيسي: 64.
- عامر التيمي: 95.
- عامر الشّعبى: 74.
- عبّاد بن عبد الصّمد البصري: 78.
- العبّاس بن أشرس الأنصاري: 29، 35.
- العبّاس بن عيسى المّسي: 85.

العبّاس بن محمّد الصوّاف (أبو الفضل
الغدامسي): 62.

عبّاس بن الوليد الفارسي التّونسي: 79.

عبد الجبّار السّرتي: 43.

عبد الحميد الفزّاني: 61.

عبد الحميد الكاتب: 93.

عبد الخالق الفزّاني: 58.

عبد الرحمن النّاصر: 68.

عبد الرحمن بن أنعم: 103.

عبد الرحمن (أبو زيد) بن بكر بن حمّاد: 81.

عبد الرحمن بن حبيب الفهري: 93.

عبد الرحمن بن رافع التنوخي: 23.

عبد الرحمن بن رستم: 55، 56، 57، 76، 108.

117.

عبد الرحمن بن سعيد بن صالح الحميري: 68.

عبد الرحمن بن القاسم: 26، 34، 35، 38.

40، 41، 43.

عبد الرحمن بن عمران الورقة: 88.

عبد الرحمن بن ملجم: 101.

عبد الرحمن (الداخل) بن معاوية: 64.

عبد الرّحيم بن عبد ربّه: 90.

عبد العزيز بن الأوز (أبو خليل): 60، 106.

عبد العزيز بن الماجشون: 26، 35.

عبد العزيز بن مروان: 2.

عبد الكريم (أبو الحسن) بن فضّال الحلواني: 97.

عبد الله بن إباح التّميمي المزي: 53، 54.

عبد الله بن أبي حستان اليحصبي: 32، 52، 105.

عبد الله بن الخير (أبو محمد الوزريفي): 61.

عبد الله بن الزبير: 1، 53، 54، 71، 72.

عبد الله بن زرارّة: 51.

عبد الله بن سعد بن أبي سرح: 1.

عبد الله بن سهل القبرياني: 42، 44.

عبد الله بن عامر اليحصبي: 70.

عبد الله بن عبّاس: 1، 22، 24، 54، 55، 71.

72، 73، 74، 77.

عبد الله بن عبد الحكم: 26، 34، 35، 42، 43.

عبد الله بن عمر: 1، 18، 22، 24، 25، 71.

عبد الله بن عمرو بن العاص: 1، 22، 23، 24، 71،
عبد الله بن علي الفارسي: 65.
عبد الله بن غانم الرعيني: 31، 35، 75، 84.
عبد الله بن فروخ الفارسي: 28، 31، 73، 78.
عبد الله بن اللمطي: 86.
عبد الله بن لهيعة: 80.
عبد الله بن المبارك المروزي: 26، 80.
عبد الله بن مسعود: 71.
عبد الله بن المغيرة بن أبي بردة الكناي: 25.
عبد الله بن هارون الكوفي السوداني: 33.
عبد الله بن وهب الراسي: 53.
عبد الله بن وهب القرشي: 26، 34، 35، 40، 41، 43، 80،
عبد الله بن يزيد المعافري الحُبلي: 22.
عبد الله الثاني الأغلي: 15، 19، 100.
عبد الله العروي (مؤرخ): 3.
عبد الله السرتي: 99.
عبد الله الشامي: 70.

عبد الله الطيفوري: 110.
عبد الله (أبو محمد) المجدولي: 106.
عبد الملك بن أبيجر الكناي: 110.
عبد الملك بن جريج: 72، 73.
عبد الملك بن الماجشون: 68.
عبد الملك بن مروان: 53.
عبد الملك (أبو الوليد) بن قطن المهري: 93، 106.
عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم: 10، 11، 56، 57، 59، 86، 106،
عبيد الله المهدي الفاطمي: 84، 102، 114.
عبيد الله بن الحبّاب: 15.
عثمان بن صالح: 103.
عثمان بن عفّان: 18، 27.
عروة بن الزبير بن العوّام: 103.
عطاء بن أبي رباح التّوبي الجمحي: 27، 71، 78.
عقبة بن عامر الجهني: 22، 23، 24.
عقبة بن نافع الفهري: 2، 3، 6، 14.
العقّوق (محمد بن سالم الطرابلسي): 97.
عكرمة البربري: 17، 55، 71، 74، 77.

علي بن زياد الفارسي التونسي: 29،33،35،39،
51،

علي بن ظفر العراقي: 85.

علي بن عمر بن إدريس: 65.

علي بن محمود الصّدي: 64.

علي بن منصور الصّقار: 84.

علي بن يونس اللّيثي: 52.

علي المديني: 51.

عون بن يوسف الخزاعي: 100.

عياض بن عوانة بن الحكم الكوفي الكلي: 92.

عيسى بن فرناس النفوسي: 60.

عيسى بن محمّد بن سليمان بن أبي المهاجر: 105.

عيسى بن مسكين: 36،43،78،94.

(غ)

غزالة السودانية: 59.

غلبون (أبو عقّال) بن الحسن بن غلبون: 89،97.

(ف)

فاطمة بنت محمد الفهري: 64.

الفراء: 92،94.

عمارة بن غراب التّجبي: 25.

عمر بن الحكم اللّخمي: 51.

عمر بن الخطّاب: 24،38،107.

عمر بن سمك بن حميد الأبراري (أبو طالب القاضي
المالكلي): 29.

عمر بن عبد العزيز: 22،24،25،27،73،78،
110.

عمران بن حطّان: 54،101.

عمرو بن دينار: 74.

عمرو بن العاص: 1،23،24.

عمروس بن فتح النفوسي: 59،61.

عمير بن مصعب الأزدي: 64.

عنيسة بن خارجة الغافقي: 79.

علاوة عمارة (مؤرخ): 33.

علي بن أبي طالب: 24،27،71،73،83،101،
108.

علي بن الحضرمي: 97.

علي بن حميد: 38.

علي بن رباح بن القصير اللّخمي: 24.

الفرات (أبوسهل) بن محمد العبدى: 78، 105.

فروة بن نوفل: 53.

فضالة بن عبيد: 22، 23، 24.

الفضيل بن عياض: 79.

(ق)

القاسم بن أبي المنهال: 32.

قاسم بن عبد الرحمن التميمي التاهري: 81.

قتادة بن دعامة السدوسي: 71.

قتيبة الجعفي: 92.

القرّاز: 26.

القعني المالكي: 44.

القيّاس الجهني (أبوالسّميدع): 97.

(ك)

كارل بروكلمان (مؤرّخ): 95.

الكسائي الكوفي: 70، 92.

كسيلة (قائد بربري): 2.

كعب الأخبار: 72.

الكندي (الفيلسوف): 118.

كيسان (أبوسعيد المقبري): 24.

(ل)

لقمان بن يوسف التّونسي المالكي: 80.

لؤاب بن سلام بن عمرو التّوزري المزّاتي:

106، 107، 109.

الليث بن سعد: 28، 29، 51، 80، 103.

ليفيتسكي (مؤرّخ): 109.

(م)

مالك بن أنس الأصبحي: 2، 19، 25، 26، 27،

28، 29، 30، 32، 33، 34، 39، 40، 41،

42، 45، 47، 48، 49، 51، 52، 64، 66، 76، 78،

80، 105، 120.

مالك بن دينار: 89.

مالك بن عيسى القفصي: 80.

المأمون: 30، 110.

الميرّد: 94.

مجاهد: 72، 77.

مجاهد بن جبر: 71.

محكم الهواري: 59.

محمّد (الرّسول صلّى الله عليه وسلّم): 2، 19، 26،

81،84،85،105،111،119،120

محمد بن سليمان بن عبد الله: 11.

محمد بن سنجر التيمي: 78.

محمد بن عبد الأعلى (أبو الخطّاب الكندي): 51.

محمد بن عبد الله بن عبد الحكم: 48.

محمد (أبو عبد الله) بن علي البجلي: 48،85.

محمد بن عمر الواقدي: 103.

محمد بن الفتح: 67.

محمد بن الفرّج بن البنا البغدادي: 111.

محمد بن كعب القرظي: 71.

محمد بن محبوب: 85.

محمد بن محمد بن الأغلب: 46.

محمد بن محمد بن سحنون: 112.

محمد بن مسلمة: 27.

محمد بن هشيم القيسي: 33.

محمد بن يأنس الدرّكلي (أبو منيب مامد بن

يأنس): 60،76.

محمد بن يحيى بن سلام التيمي: 76،78،85.

محمد الرقّادي القيرواني: 85.

41،70،71،72،83،106،110

محمد بن إبراهيم بن عبدوس: 42.

محمد بن أحد الشركاء: 86.

محمد بن إسحاق: 72،103.

محمد بن إسماعيل المغربي السّوسي: 90.

محمد بن أسود الصّديني: 33،85.

محمد بن الأشعث الخزاعي: 33،56.

محمد بن الأغلب: 105.

محمد بن أفلح بن عبد الوهاب: 60.

محمد بن برغوث القروي: 75.

محمد بن تميم العنبري: 80.

محمد بن الحسن الشّيباني: 30،33،34،38،39.

47.

محمد بن حنبل: 28.

محمد بن خالد الزنجي: 46.

محمد بن داوود الظاهري: 50.

محمد بن زرزور: 32،76،84،96.

محمد بن زيادة الله بن محمد بن الأغلب: 9،99.

محمد بن سحنون التّنوخي: 42،44،46،49،79.

محمّد ناصر (مؤرّخ): 108.	معاوية بن أبي سفيان: 2، 103، 110.
محمّد المامي (مؤرّخ): 25.	معاوية بن الفضل الصّماذحي: 29، 35، 43.
محمود إسماعيل عبد الرّازق (مؤرّخ): 56.	معتب بن أبي الأزهر: 43.
مدرار الدمري: 59.	المعتصم بالله العبّاسي: 100، 110.
مدمان الهرطلي: 59.	المعتمد على الله العبّاسي: 112.
مروان الأندلسي: 57.	معد بن عُقال: 84.
مروان بن أبي شحمة: 90.	مقاتل بن سليمان: 71.
مريانوس الإسكندري المصري: 110.	المقدسي (جغرافي ورخالة): 49.
مريم بنت محمد بن عبد الله الفهري: 64.	مكرم المنستيري: 90.
مزور بن عمران: 59.	منّاد الإباضي: 59.
المزني: 48.	مهدي النقّوسي: 86.
مُسَدّد بن مسرهد الأسدي البصري: 80.	مهرية بنت الأغلب بن إبراهيم: 90.
مسلم بن الحجاج القشيري: 28.	مهرية بنت الحسن بن غلبون: 99.
مسعود الأندلسي: 57.	موتلينسكي (مؤرّخ): 108.
المسهرّ التّميمي: 95.	موسى أبو الأسود بن عبد الرحمن القطّان: 111.
المسور بن مخزّمة: 2.	موسى بن معاوية الصّماذحي: 78، 79.
مصلوكن المرساوي: 59.	موسى بن نصير: 3، 22، 23، 24، 25.
مطرف المالكي: 44.	موسى بن يونس (أبوهارون الجلاملي): 61.
المطلّب بن أبي وداعة السّهمي: 2.	موهب بن حي المعافري: 23، 73.

هشام بن عبد الملك: 5، 14، 23، 92.

هشام بن محمد الكلبي: 103.

هود بن محكم الهواري: 77.

هيثم بن بشير: 79.

هيثم القيسي: 33.

(و)

وائل بن أيوب الحضرمي: 55.

الواثق العبّاسي: 110.

واصل بن عبيد الله الجمي: 90.

واصل بن عطاء: 83.

ورش: 75.

وكيع بن الجراح: 35، 47، 72، 79.

وهب بن منبه: 72، 103.

ويدران بن جواد (أبومعروف): 61.

(ي)

ياسين (أبوصالح) الدركلي: 106.

يحيى بن بكير بن عبد الله المخزومي: 80، 103.

يحيى بن سلام: 43، 76.

يحيى بن سليمان الخزاز الفارسي: 116.

ميّال بن يوسف: 95.

ميخائيل الطيب: 110.

ميمون بن عمر الإفريقي: 44.

(ن)

نافع بن أبي نعيم: 75.

نافع بن الأزرق: 54.

نافع المدني: 70، 75، 76.

نجم الدين الهنتاتي: 3، 43، 44، 45، 66.

نقّاث بن نصر النفوسي: 59، 80، 95.

106، 107.

نفيس (أبوالغصن) السّوسي: 112.

نصر بن عاصم: 70.

النظام: 83.

(هـ)

هارون بن موسى البصري: 70.

هارون الرّشيد: 30، 110.

هاشم بن عبد مناف: 101.

هبة الله بن يحيى بن بكير: 80.

هشام أبو المنهال بن العراقي: 32.

يونس(أبوعبد الرحمن) بن حبيب الضَّبيّ البصري
النحوي:92.

يونس بن عبد الأعلى:42،43.

يحيى بن عمر الكناي الأندلسي:42،45،49،

88،97،98،99،112،116.

يحيى بن القاسم بن إدريس:65.

يحيى بن ماسويه:110.

يحيى بن المبارك اليزيدي البصري:71.

يحيى(أبوزكريّا) بن وجدليش:106.

يحيى بن يحيى اللّيثي:64.

يحيى بن يعمر:70.

يزيد بن أبي مسلم:25.

يزيد بن حاتم بن قبيصة المهلّبي:14،91،92،95.

يزيد بن عبد الملك:110.

يزيد بن فندين:57.

يزيد بن القعقاع(أبوجعفر المخزومي المدني):71.

يزيد بن محمّد الحمحي:78،79.

يزيد بن معاوية:84.

اليسع بن مدرار:12.

يعقوب بن أفلح:117.

يعقوب الحضرمي البصري:71.

اليعقوبي(جغرافي ورخالة):4.

فهرس المدن والبلدان

باجة: 5،9،31.	(أ)
بادس: 9.	الأريس: 5.
باغاية: 5،9.	أرزاو: 17.
بالرمو: 16.	أرشقول: 11.
برقة: 1،3،56.	آسفي: 16.
بسكرة: 10.	الإسكندرية: 13،66.
البصرة:	أصيلا: 13.
6،10،26،54،55،67،70،73،78،80،9 1، 93،94،100.	أغمّات: 3.
بصرة المغرب: 13،66.	إفريقية: 2،6،14،15،17،19،20،21،23، 34، 24،25،26،28،29،31،32،33 42،43،44،45،46،48، 36،38،41، 51،52،56،62،65،68،72،73،75، 96، 76،78،79،84،89،92،93،95 112،114،116، 105،111، 98،100 118،119،120،
بغداد:	أمسكور: 14.
15،18،30،47،60،67،80،92،100،11 3.	الأندلس: 12،24،25،28،35،41،49،51، 62،64،66،75،98،102،113
بلزمة: 5.	الأوراس: 60،77.
بنزرت: 9،17.	(ب)
بنطوس: 9،86.	
(ت)	
تاجنة: 11.	
تادلا: 65.	
تارمليل (جبل): 13.	

جزائر بني مزغناي: 11.	تامستّا: 65.
الجزيرة (الفراتية): 110.	تاهرت:
(ح)	5,8,10,18,56,57,58,59,60,62,76, 98,100,106,80,86,87,95
الحامة: 8.	107, 108, 109, 115, 117.
الحجاز:	تجديت: 11.
19,20,22,25,26,28,29,40,47,57, 70,79,80,84	تسالة: 65.
(خ)	تسول: 13.
الخليج الفارسي: 6.	تلمسان: 11,56,63.
الخضراء: 12.	تمنكرت: 117.
(د)	تنس: 11.
درب الزهادنة: 115.	تهودة: 56.
دمر (جبل): 59.	توزر: 8,15,99.
دمشق: 3,26,93.	تونس: 3,33.
(ر)	تيومتين: 14.
رباط بهلول: 13.	(ج)
رقّادة: 9,15,18,99,114,116,118.	جراوة (مدينة): 13.
(ز)	جربة: 2,58.
الزّاب: 5,63,86.	جرماط (قلعة): 13.

زويلة: 1، 8.	شبه جزيرة شريك: 5، 24.
زياد (قصر): 90.	شروس: 18.
(س)	(ص)
السّاحل (إقليم في تونس): 42، 43.	صبراتة: 8.
ساقية ممّس: 9.	صفاقس: 9، 17، 89.
سبتة: 13.	صقلية: 15، 16، 39، 40، 44.
سببية: 9.	صنعاء: 80.
سجل ماسة: 12، 67، 68، 87.	(ط)
سرت: 8.	طبنة: 5، 9.
سطيف: 5.	طرابلس الغرب: 96، 79، 33، 9، 8، 2، 99،
سفطورة: 5.	111.
السودان الغربي: 12، 44، 61.	طنجة: 13، 22.
سوسة: 4، 43، 112.	(ع)
سوق إبراهيم: 12.	العالم الإسلامي: 115.
سوق كتامة: 13.	العبّاسيّة: 6، 18.
سوق لميس: 14.	العراق: 51، 34، 33، 29، 28، 26، 19، 15، 6،
(ش)	57، 63، 64، 70، 72، 79، 94، 98، 110، 11
الشام: 15، 19، 26، 35، 70، 78، 79، 90.	1، 116.
92، 111، 116.	عُمان: 54، 55.

عين علّون: 64.	قصطيّية: 8، 42، 78، 81، 96، 111.
(غ)	قفصة: 8، 80، 96.
غدامس: 62.	قنطرة: 8.
الغدير: 11.	القيروان:
غزة: 46.	2، 3، 4، 5، 6، 12، 14، 15، 16، 18، 22، 23، 24، 25، 28، 31، 33، 35، 38، 39
غيس (نحر): 13.	40، 44، 46، 48، 49، 51، 55، 56، 62، 63
(ف)	64، 66، 68، 73، 75، 76، 78، 80، 84، 85، 97، 100، 107، 92، 95، 85، 88، 91
فارس (بلاد): 110، 111.	112، 113، 118،
فاس: 12، 64، 65، 66، 67.	(ك)
فرسطا: 61.	الكوفة: 6، 24، 26، 30، 31، 34، 67، 70، 78،
فراز (بلاد): 65.	93، 100، 91
فزان: 61.	(ل)
الفسطاط: 6، 22.	لبدة: 8.
(ق)	اللّكام (جبل): 90.
قابس: 4، 9، 59.	(م)
قرية المغيرين: 25.	ماسّة: 13، 17.
قرطبة: 64.	مانو: 61.
القسطنطينية: 19.	متيجة: 12.
قصر المغيرة: 25.	

57،59،62،63،65،67،74،75،78،84

109،115،117،118 ،89،98،107

المغرب الأدنى: 6،9،17،18،36،76.

المغرب الأقصى: 3،12،13،17،56،63،65،

66،67،87،89،115،

المغرب الأوسط: 10،11، 17،56، 65،86،

87،115

مغمداس: 107.

مغيلة (بلاد): 14.

مقرة: 5.

مكة: 19،36،46،47،68،70،71،89،

المنستير: 62.

منستير عثمان: 9.

ميلا: 11.

ميناء (نهر): 86.

(ن)

نجران: 47.

ندرومة: 12،17.

نفزة (في المغرب الأقصى): 65.

مجانة المعادن: 5،9.

المدينة: 19،27،33،35،39،42،43،44،47،

50،52،54،66،68،70،71،79

مرمجة: 9.

مرسى الدجاج: 11.

المشرق: 1،3،6،14،15،19،20،25،33،35،

38،43،49،55،59،60،62،63،66،67

92، 91، 74،76،78،79،80،89،90

106،107،113،116، 93،95،100

118،

مصر:

3،6،15،19،20،22،24،25،26،28،34،

35،38،40،41،43،47،49،57،62

68،78،80،84،89،98،111،116،118

مصمودة (بلاد): 13،65.

مطماطة (بلاد): 14.

المغرب:

1،2،3،4،6،11،14،15،16،17،18،20،

22،24،25،26،28،31،33،34،35

38،41،42،48،49،50،53،54،55،56

يوجاجين:13.	نفزاوة(في إفريقيّة):8،60،95.
اليونان:15،19.	نفطة:8.
	نفوسة(جبل):
	8،9،18،58،59،60،61،62،117،76
	،86، 106، 108،120.
	نقاوس:5.
	نكور:13،68،100.
	(هـ)
	هاز:12.
	الهند:19.
	هيلانة:4.
	(و)
	وادي درعة:14.
	وارجلان:11،61.
	واسط:70.
	(ي)
	يزارة(حصن):14.
	يلّل:11.
	اليمن:47،55،110.

فهرس المذاهب و الاديان

(أ)	(ز)
الإباضية: 9، 8، 5، 10، 53، 36، 11، 54، 55،	الزيدية: 87، 66، 63.
،	(س)
56، 57، 58، 59، 60، 61، 62، 67، 73، 74، ،	السنة: 83.
76، 77، 80، 83، 86، 94، 106، 107، 109،	(ش)
120.	الشافعية: 85، 84، 49، 48، 47، 46، 43.
الأزارقة: 55، 53.	الشيعة: 118، 114، 108، 83، 63، 57، 8.
الإسلام (المسلمين): 1، 2، 14، 6، 3، 19، 16،	(ص)
54، 53، 119، 106، 89، 84، 83، 66، 65.	الصفورية:
الإسماعيلية: 85، 33.	الصفورية: 73، 68، 67، 57، 55، 54، 36، 12.
الأوزاعي (مذهب): 66.	الصوفية: 90، 89.
(ح)	(ظ)
الحنفية (مذهب العراقيين، مذهب الكوفيين): 18،	الظاهرية: 50.
30، 28، 32، 31، 36، 33، 37، 40، 39،	(م)
62، 60، 57، 49، 48، 46، 45، 44، 42،	المالكية (الحجازيين، أهل الحديث):
97، 94، 67.	33، 29، 31، 32، 8، 19، 25، 26، 27، 28،
(خ)	35، 41، 39، 38، 36، 46، 45، 44، 43، 42،
الخوارج: 86، 83، 76، 73، 67، 65، 55، 53، 5،	47، 48، 49، 50، 51، 57، 60، 62، 64، 65،
87، 95،	،
(ر)	
الرهادنة: 63.	

66,67,68,80,84,86,105,107,108,
.112,118,120

المرجئة: 83.

المعتزلة (الواصلية):

18,36,45,53,57,58,63,66,73,83,
.86,87

(ن)

التّجّدات: 53,55.

التّصارى: 40,65,72,85,115.

التّكّار: 57.

(و)

الوثنيون: 65.

(ي)

اليهود: 12,65,72,84,114,115,118.

فهرس الشعوب والقبائل والاسر

بنو جرير: 4.	(أ)
بنو الجزار: 114.	الأداسة: 5، 12، 63، 65، 66، 67، 87، 101.
بنو الخير: 65.	الأغالبية (بنو الأغلب):
بنو الليث: 24.	، 9، 15، 16، 18، 31، 32، 36، 39، 75
بنو محمد بن جعفر الإدريسي: 12.	، 78، 84، 89، 93، 96، 97، 99
بنو مدرار: 12، 67، 87.	105، 111، 113، 114
بنو المهلب: 91.	الأفارقة: 3، 4، 5، 6، 17، 75.
بنو هاشم: 5.	الأمويين (بنو أمية): 5، 51، 53، 54، 66، 67.
بهلولة: 65.	الأندلسيين: 8، 12، 64، 66، 75، 114.
البيزنطيين (الروم): 2، 3، 4، 17.	أورية: 63، 65، 87.
(ت)	الأوس: 4.
تنوخ: 4.	(ب)
(خ)	البربر (الأمازيغ): 2، 3، 4، 5، 6، 17، 22،
الخزرج: 4.	74، 73، 68، 66، 24، 55، 63، 65، 23،
(ر)	96، 100، 95،
ربيعة: 5.	البصريين: 62.
الرستميين:	بنو أسد: 5.
10، 53، 57، 58، 61، 62، 76، 80، 81، 86،	بنو إيرغش: 65.
	بنو تميم: 4، 5.

غَيَّاتَة: 65.	87، 94، 95، 99، 106، 107، 108،،
(ف)	109، 117.
الفاطميّون: 18، 32، 48، 60، 61، 67، 91، 99،	الرّومان: 3.
114،	(ز)
الفرس: 4، 5، 6، 64.	زنّانة: 11، 65، 86، 87، 100.
فندلاوة: 65.	زوّاغة: 65.
(ق)	(س)
القرويّين: 64، 66.	السُّريان: 110.
قريش: 5، 91.	السّناجرة: 5.
قضاة: 5.	(ص)
قيس (القيسيّين، العرب القيسيّة): 4.	الصّقالبة: 15.
(ك)	صنهاجة: 65.
كتامة: 11.	(ع)
كنانة: 4.	العبّاسيّين (بنو العبّاس):
كندة: 4.	5، 18، 19، 39، 45، 56، 91، 111
الكوفيّين: 62.	العرب:
(ل)	2، 3، 4، 5، 21، 46، 55، 62، 64، 66، 70، 73
لوّاة: 3.	91، 92، 94، 96، 97، 99، 104، 106، 110
(م)	.
	(غ)

مديونة:65.

المشاركة:

4,18,20,36,63,93,96,98,100,104

.

المضريين:91.

مطماطة:60.

المغارية:

8,17,19,20,26,27,31,33,90,94,1

.04,116

مكناسة:67.

(ن)

نفزاوة(قبيلة):3.

نفوسة(قبيلة):3,58,76.

(هـ)

هوارة:3,65,86.

(و)

(ي)

اليمنيين(العرب اليمانية):5.

قائمة المصادر والمراجع.

أولاً: قائمة المصادر:

- إبن الأتبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي) ت 658هـ/1260م:
الحلة السّيراء، الجزء الأول، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، الطبعة الثانية، 1985م.
- إبن أبي أصيبعة (أبو العباس أحمد بن القاسم السّعدي) ت 688هـ/1270م:
عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
- إبن أبي دينار (محمد بن القاسم الرعيني) ت 1110هـ/1698م:
المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، الطبعة الأولى، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1869م
- إبن أبي زرع (أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي) ت 8هـ/14م:
الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، المنصور للطباعة، فاس، 1972م.
- إبن الجزري (أبو الخير شمس الدين محمد بن محمد) ت 833هـ/1429م:
غاية النهاية في طبقات القراء، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، دار الكتب العلميّة، بيروت، 2006م.
- إبن جليل (أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي)، ألف كتابه في 377هـ/987م:
طبقات الأدباء والحكماء، تحقيق: فؤاد السيّد، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت.
- إبن حبان (أبو حاتم محمد بن أحمد البستي) ت 354هـ/965م:
* مشاهير علماء الأمصار، وضع حواشيه وعلّق عليه: مجدي بن منصور بن سيّد الشّورى، الطبعة الأولى، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1416هـ/1995م.
- إبن حزم (أبو محمد علي بن سعيد الأندلسي) ت 456هـ/1064م:
الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، دار الجليل، بيروت، د.ت.
- إبن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) ت 808هـ/1406م:
المقدمة، دار الجليل، بيروت، د.ت.
- إبن سعد (محمد بن منيع الزّهرري)، ت 230هـ/844م:
* كتاب الطبقات الكبير، تحقيق: علي محمد عمر، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1421هـ/2001م.
- إبن صاعد (أبو القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي)، ت 462هـ/1070م:
* طبقات الأمم، مراجعة وتدقيق: لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، 1912م.
- إبن الصّغير، ت 290هـ/902م:
أخبار الأئمة الرّسميين، تحقيق وتعليق: محمد ناصر وإبراهيم بخّاز، المطبوعات الجميلة، الجزائر، 1986م.
- إبن عبد البر (أبو عمرو يوسف الأندلسي) ت 462هـ/1069م:
الإنتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء، مكتب المطبوعات الإسلاميّة، حلب، الطبعة الأولى، 1417هـ/1997م.

- إبن عذارى (أبو عبد الله محمد المراكشي) ت 8/14هـ م:
البيان المغرب في أخبار المغرب، تحقيق: ج.س. كولان وليفي بروفنسال، الطبعة الثالثة، دار الثقافة، بيروت، 1983م.
- إبن عيشون (أبو عبد الله محمد الشَّراط) ت 1109هـ/1679م:
*الروض العطر الأنفاس بأخبار الصّالحين من أهل فاس، تحقيق: زهراء النّظام، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997م.
- إبن فرحون (إبراهيم بن نور الدّين المالكي) ت 799هـ/1396م:
الدّياج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، الطبعة الأولى، تحقيق: مأمون بن محيي الدّين الجنّان، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1417هـ/1996م.
- إبن القاضي (أحمد بن محمد بن أبي العافية الفاسي المكناسي) ت 1025هـ/1616م :
*جذوة الإقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام بمدينة فاس، طبعة حجرية، دار المنصور للطباعة والوراقة، فاس، 1973م.
- إبن قتيبة (أبي محمد عبد الله بن مسلم) ت 276هـ/889م:
*كتاب الأشربة وذكر اختلاف النّاس فيها، تحقيق: ياسين محمّد السّواس، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، بيروت - دمشق، 1420هـ/1999م.
- *المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، الطبعة الرّابعة، دارالمعارف، القاهرة، د.ت.
- إبن التّديم (أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق الوراق) ت:
الفهرست، تحقيق: رضا تجدد المازندراني، طهران، 1391هـ/1971م.
- أبو زكريّا (يحيى بن أبي بكر الوراقاني) ت 471هـ/1078م:
سير الأئمّة وأخبارهم المعروف بتاريخ أبي زكريّا، تحقيق: إسماعيل العربي، الطبعة الثّانية، دار الغرب الإسلامي، 1402هـ/1982م.
- أبو العرب (محمد بن أحمد بن تميم التميمي القيرواني) ت 333هـ/944م:
طبقات علماء إفريقيّة وتونس، دارالكتاب اللبناني، بيروت، د.ت.
- الإدريسي (محمد بن علي السنوسي الخطّابي الحسني) ت 1276هـ/1859م:
- الدرر السّنيّة في أخبار السّلالة الإدريسيّة، مطبعة الشباب، مصر، 1349هـ/1933م.
- الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد الحمودي) ت 560هـ/1166م:
نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، نسخة إلكترونيّة مصوّرة.

-الأندلسي (أحمد بن محمد)، عاش خلال القرن 11هـ/17م:

*طبقات المفسرين، تحقيق: سليمان بن صالح الخزّي، الطبعة الأولى، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1417هـ/1997م.

-الإصطخري (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي)، ت بعد 340هـ/951م:

*المسالك والممالك، نسخة إلكترونية مصوّرة.

-البغدادى (أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب)، ت 463هـ/1070م:

*رسالة في علم النجوم، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1425هـ/2004م.

-البغدادى (أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادى)، ت 429هـ/1037م:

*الفرق بين الفرق، دراسة وتحقيق: محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا، القاهرة، د.ت.

-البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز) ت 487هـ/1094م:

-المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.

-المسالك والممالك، تحقيق: جمال طلبة، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424 هـ /2003م.

-التنوخى (سحنون عبد السلام بن سعيد)، ت 240هـ/856م:

*المدوّنة الكبرى في الفقه المالكي، الطبعة الأولى، أربعة أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415 هـ /1994م.

-الجزنائي (علي):

*جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق: عبد الوهّاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الثانية،

1411هـ/1991م.

-الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي)، ت 626هـ/1228م:

*معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عبّاس، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م.

*معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1397هـ/1977م.

-الخشني (أبو عبد الله محمد بن حارث القروي) ت 361هـ/971م:

قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، تصحيح ومراجعة: عزّت العطار الحسني، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة،

1415هـ/1994م.

-الداودي (شمس الدين محمد بن علي بن أحمد)، ت 945هـ/1538م:

طبقات المفسرين، تحقيق: علي محمد عمر، الطبعة الثانية، مكتبة وهبة، 1415هـ/1995م.

-الدّباغ (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري) ت 696هـ/1297م:

معالم الإيمان في أهل القيروان، تحقيق وتعليق: محمد ماضور، ثلاثة أجزاء، الطبعة الثانية، المكتبة العتيقة، تونس، ومكتبة

الخانجي، مصر، 1388هـ/1968م.

- الدراجيني (أبو العباس أحمد بن سعيد) ت حوالي 670هـ/1272م:
طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق: إبراهيم طلاي، جزآن، نسخة مصورة.
- الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان)، ت 847هـ/1374م:
* سير أعلام النبلاء، الأجزاء: 2 و 3، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405هـ/1985م.
- * طبقات القراء، الجزء الأول، تحقيق: أحمد خان، الطبعة الأولى، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1418هـ/1993م.
- الرفيقي القيرواني (أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم) ت بعد 417هـ/1026م:
تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، الطبعة الأولى، دارالفرجاني للنشر والتوزيع، د.م.ن، 1414هـ/1994م.
- الزبيدي (أبو بكر محمد بن الحسن) ت 379هـ/989م:
طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، 1984م.
- السيرافي (أبو سعيد الحسن بن عبد الله)، ت 368هـ/979م:
* أخبار النحويين البصريين، تحقيق: طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي، الطبعة الأولى، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1374هـ/1955م.
- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن)، ت 911هـ/1505م:
* إختلاف المذاهب، تحقيق وتعليق: عبد القيوم بن محمد شفيع البستوي، دار الإعتصام، القاهرة، 1989م.
* بغية الوعاة، الجزء الأول، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار الفكر، 1399هـ/1979م.
* طبقات المفسرين، تحقيق: علي محمد عمر، الطبعة الأولى، مكتبة وهبة، القاهرة، 1396هـ/1976م.
- الشيرازي (أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشافعي)، ت 476هـ/1083م:
* طبقات الفقهاء، تحقيق: إحسان عباس، دارالرائد العربي، بيروت، 1970م.
- الصفدي (صلاح الدين خليل بن أليك) ت 764هـ/1362م:
الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتزكي مصطفى، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000م.
- العصمري (خليفة بن خياط)، ت 240هـ/854م:
* تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، الطبعة الثانية، دارطبية، الرياض، 1405هـ/1985م.
- القرشي (أبو محمد محيي الدين عبد القادر بن محمد)، ت 775هـ/1356م:
* الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، الطبعة الثانية، دارهجر، إمبابة، 1413هـ/1993م.

-الفقطي(الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف)، ت624هـ/1226م:

*إخبار العلماء بأخبار الحكماء، طبعة حجرية، د.م.ن.

-القيسي(أبو محمد مكي بن أبي طالب)، ت437هـ/1045م:

*الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، الجزء الأول، تحقيق: محيي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1394هـ/1974م.

-المالكي(أبو بكر عبد الله بن محمد)، ت453هـ/1061م:

رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم، ونسأكلهم، وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، جزآن، تحقيق: بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1414هـ/1994م.

-المقدسي(محمد بن أحمد شمس الدين أبو عبد الله البشاري)، ت378هـ/988م:

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ليدن، الطبعة الثانية، 1909م.

-النباهي(أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقي الأندلسي)، ت793هـ/1390م:

*تاريخ قضاة الأندلس، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي بدار الآفاق الجديدة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الخامسة، 1403هـ/1983م.

-اليحصي السبتي(عياض بن موسى بن عمرو المعروف بالقاضي)، ت544هـ/1149م:

*تراجم أغلبية، مستخرجة من مدارك القاضي عياض، تحقيق: محمد الطالبي، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1968م.

*ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك، الطبعة الثانية، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1403هـ/1983م.

-اليقوبي(أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح)، ت284هـ/897م:

*البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ/2002م.

ثانيًا: قائمة المراجع:

1) المراجع العربيّة:

-أبوحبيب (سعدى):

سحنون؛ مشكاة نور وعلم وحق، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، 1401هـ/1981م.

-أبوزهرة (محمّد):

*أصول الفقه، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.

*الشافعي: حياته وعصره، آرائه وفقهه، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1948م.

*مالك: حياته وعصره، آرائه وفقهه، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.

*محاضرات في تاريخ المذاهب الفقهية، مطبعة المدني، القاهرة، د.ت.

-أبوزيد (بكر):

*طبقات النسّابين، الطبعة الأولى، دار الرشد، الرياض، 1407هـ/1987م.

-أبوسديرة (السيد طه):

*الحركة العلمية في جامع عمرو بن العاص في عصر الولاة (21-254هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة، 1410هـ/1990م.

-أبوسعدة (أحمد):

الخوارج في ميزان الفكر الإسلامي، الطبعة الثانية، القاهرة، 1998م.

-أبومصطفى (كمال السيد):

*دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1997م.

-أعوش (بكير بن سعيد):

دراسات في الأصول الإباضية، الطبعة الثالثة، مكتبة وهبة، القاهرة، 1408هـ/1988م.

-أمين (أحمد):

*فجر الإسلام، الطبعة العاشرة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1969م.

*ضحى الإسلام، الطبعة السابعة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت.

*ظُهر الإسلام، الجزء الثاني، الطبعة الرابعة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1966م.

-أمين (عبد الله):

*دراسات في الفقه والمذاهب القديمة المعاصرة، الطبعة الثانية، دار الحقيقة، بيروت، 1991م.

-الأهواني (أحمد فتّاد):

*التربية في الإسلام، دار المعارف، القاهرة، 1968م.

* الفلسفة الإسلامية، الهيئة المصرية لطباعة الكتاب، القاهرة، 1985م.

-الباروني(سليمان):

الأزهار الرياضيّة في أئمة وملوك الإباضيّة، نسخة إلكترونيّة مصوّرة من موقع الإستقامة.

-بحّاز(إبراهيم بكير):

الدولة الرستميّة، دراسة في الأوضاع الإقتصاديّة والحياة الفكرية، الطبعة الثّانيّة، منشورات جمعية التراث، القرارة، 1414هـ/1993م.

-البستاني(بطرس):

أدباء العرب في الأعصر العبّاسيّة، دار مارون عبّود، بيروت، 1979م.

-البكّاي(لطيفة):

* حركة الخوارج: نشأتها وتطوّرها إلى نهاية العهد الأموي (37-132هـ)، الطبعة الأولى، دارالطليعة، بيروت، 2001م.

-بن شريفة(محمّد):

* أبوتّام وأبو الطيّب في أدب المغاربة، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م.

-بن شقير(محمد بن سعد):

* فقه عمر بن عبد العزيز: أوّل تدوين لفقهه مؤيّدًا بالدليل، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد، الرياض، 1424هـ/2003م.

-البوسعيدي(سيف بن أحمد بن سيف):

* حملة العلم إلى المغرب ودورهم في الدعوة الإسلاميّة، دائرة الوعظ والبحوث الإسلاميّة، سلطنة عُمان.

-البيلي(محمد بركات):

* الزّهّاد والمتصوّفة في بلاد المغرب في بلاد المغرب والأندلس حتّى القرن الخامس الهجري، دار النهضة العربيّة، القاهرة، 1993م.

-التليسي(بشير رمضان):

الإتجاهات الثقافيّة في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، الطبعة الأولى، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2003م.

-تيمور(أحمد):

* المذاهب الفقهيّة الأربعة الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي وانتشارها عند جمهور المسلمين، الطبعة الأولى، دار الآفاق العربيّة، 1421هـ/2001م.

-الثعالبي(عبد العزيز): * تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، جمع وتحقيق: أحمد بن ميلاد ومحمد إدريس، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م.

-الثعالبي(محمد بن حسن الحجوي):

*الفكرالسامي في الفقه الإسلامي، مطبعة إدارة المعارف، الرباط، 1340هـ/1922م.

-جلي (أحمد محمد أحمد):

دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين الخوارج والشيعية، منشورات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة الثانية، 1408هـ/1988م.

-الجندي(عبد الحليم):

*مالك بن أنس إمام دار الهجرة، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة، 1993م.

-الجدي(عمر):

*مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، الهلال العربي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، الرباط، 1993م.

-حركات (إبراهيم):

مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 15/9م، الطبعة الأولى، الجزء الأول، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1421هـ/2000م.

-حبش(محمد):

*المسلمون وعلوم الحضارة، الطبعة الأولى، دار المعرفة، دمشق، 1412هـ/1992م.

-حسن(حسين الحاج):

*حضارة العرب في صدرالإسلام، الطبعة الأولى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1412هـ/1992م.

-حمادو(ندير):

المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، سطيف، 2008.

-حميدان(زهير):

أعلام الحضارة العربية الإسلامية في العلوم الأساسية والتطبيقية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1995م.

-حوالة(يوسف بن أحمد):

الحياة العلمية في إفريقية (المغرب الأدنى) منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الرابع الهجري: 90-450هـ، جزآن، الطبعة الأولى، منشورات جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1421هـ/2000م.

-حوي(أحمد سعيد):

*المدخل إلى مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، الطبعة الأولى، دارالأندلس الخضراء، جدة، 1423هـ/2002م.

-الخادمي(نورالدين):

*الدليل عند الظاهرية، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت، 1421هـ/2000م.

-خليفات(عوض محمد):

الأصول التاريخية للفرقة الإباضية، الطبعة الثالثة، منشورات وزارة الثقافة والتراث القومي، عُمان، 1415هـ/1994م.

-الدقر(عبد الغني):

*الإمام مالك بن أنس: إمام دار الهجرة، الطبعة الثالثة، دار القلم، دمشق، 1419هـ/1989م.

-الرفاعي(أحمد فريد):

*عصر المأمون، الجزء الأول، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1346هـ/1927م.

-الزحيلي(محمد):

*تاريخ القضاء في الإسلام، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، 1415هـ/1995م.

-الزركلي(خيرالدين):

*الأعلام، الطبعة الخامسة عشر، الجزء الثاني، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م.

-زيتون(محمد محمد):

القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، الطبعة الأولى، دار المنار، القاهرة، 1408هـ/1988م.

-السابعي(ناصر بن سليمان بن سعيد):

*الخوارج والحقيقة الغائبة، الطبعة الأولى، 1420هـ/1999م.

-سانو(قطب مصطفى):

معجم مصطلحات أصول الفقه، دار الفكر، دمشق، 1420هـ/2000م.

-السلوي الناصري(أبو العباس أحمد بن خالد):

*الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، طبعة حجرية.

-سليم(عمرو عبد المنعم):

الإمام أبوحنيفة النعمان بن ثابت ونسبته إلى القول بخلق القرآن، الطبعة الأولى، دارالضياء، القاهرة، 1428هـ/2007م.

-السيد(محمد صالح محمد):

مدخل إلى علم الكلام، دار قباء، القاهرة، 2001م.

-سيد الأهل(عبد العزيز):

الإمام الأوزاعي فقيه أهل الشام، إصدارات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1966م.

-شحاتة(عبد الله محمود):

الإمام جابر بن زيد ومواقفه الفقهية، دار غريب، القاهرة، 2000م.

-شمس الدين(محمد جعفر):

*دراسات في العقيدة الإسلامية، الطبعة الرابعة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، 1993م.

-عاشور(سعيد عبد الفتاح وآخرون):

(*) دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية والعربية، الطبعة الثانية، منشورات ذات السلاسل، الكويت، 1986م

-عبد الحليم(رجب محمد):

*دولة بني صالح في تامسنا بالمغرب الأقصى (125-455هـ/743-1063م)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت.

-عبد الحميد(سعد زغلول عبد):

تاريخ المغرب العربي، الجزئين: الأول و الثاني، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1979م.

-عبد الرازق(محمود إسماعيل):

*الأداسة(172-375هـ)، حقائق جديدة، الطبعة الأولى، مكتبة مديولي، القاهرة، 1411هـ/1991م.
*الخوارج في المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، الطبعة الثانية، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1406هـ/1985م.

-عبد الله(يسري عبد الغني):

*معجم المؤرخين المسلمين حتى القرن الثاني عشر الهجري، الطبعة الأولى، دارالكتب العلمية، بيروت، 1411هـ/1991م.

-عبد الوهاب(حسن حسني):

*الإمام المازري، دار الكتب الشرقية، تونس.

*ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، مكتبة المنار، تونس، 1964م.

-العبدة(محمد) وعبد الحليم(طارق):

*الصوفية: نشأتها وتطورها، الطبعة الثانية، دار الأرقم، الكويت، 1997م.

-العربي(إسماعيل):

*دولة الأداسة، ملوك فاس وتلمسان وقرطبة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.

-العروي(عبد الله):

*محمل تاريخ المغرب، الطبعة الخامسة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1996م

عزب (محمّد زينهم محمّد):

* الإمام سحنون، دار الفرجاني، القاهرة، 1992م.

-عمارة (علاوة):

* دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والمغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008م.

-عمر (أحمد مختار):

* النشاط الثقافي في ليبيا من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر التركي، طبعة مؤسسة تاوالت الثقافية، منشورات الجامعة الليبية، 1971م.

-غوردو (عبد العزيز):

* الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، جدلية التمدين والسلطة، دار ناشري للنشر الإلكتروني، الكويت، 2011م.

-فروخ (عمر):

* تاريخ الأدب العربي، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين، بيروت، الجزء الرابع، 1981م.

-الفضلي (عبد الهادي):

* خلاصة علم الكلام، الطبعة الثانية، دار المؤرخ العربي، بيروت، 1414هـ/1993م.

-القاسمي (جمال الدين):

* تاريخ الجهمية والمعتزلة، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1399هـ/1979م.

-القباني (إبراهيم محمّد):

* دور علماء المسلمين في تطوير العلوم، إصدارات مؤسسة الرعاية العامة للشباب، الرياض، 1994م.

-القواسمي (أكرم عمر يوسف):

* المدخل إلى فقه الإمام الشافعي، الطبعة الأولى، دار التفائس، عمان، 1423هـ/2003م.

-القطعاني (أحمد):

الإهابة في من دخل البلاد الليبية من الصحابة، الطبعة الثانية، مكتبة النجاح، طرابلس، 1998م.

-كوردي (محمود حسين):

* الحياة العلمية في جبل نفوسة، جزآن، منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية، 2008م.

-الكيرانوي (حبيب أحمد):

الإمام أبوحنيفة وأصحابه، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، بيروت، 1989م.

-لقبال (موسى):

* المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى إنتهاء ثورات الخوارج: سياسة ونظم، الطبعة الثالثة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

-المامي(محمد):

*المذهب المالكي: مدارسه ومؤلفاته، الطبعة الأولى، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، 2002م

-محمود (أحمد بكير):

*المدرسة الظاهرية في المشرق والمغرب، دارقنينة، بيروت-دمشق، الطبعة الأولى، 1411هـ/1990م.

-محمود(حربي عباس عطيتو) وحسان حلاق:

العلوم عند العرب أصولها وملاحمها الحضارية، دار النهضة العربية، بيروت، 1995م.

-مخلوف(محمد بن محمد):

شجرة الأنوار الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة، 1349هـ/1930م.

-منهودي(مسعود):

الإباضية في المغرب الأوسط: منذ سقوط الدولة الرستمية إلى هجرة بني هلال إلى المغرب (296-442هـ/

909-1058م)، منشورات جمعية التراث، القرارة، 1417هـ/1996م.

-مؤنس(حسين):

فتح العرب المغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.

-نصر الله(سعدون عباس):

*دولة الأدارسة في المغرب العصر الذهبي (172-263هـ/788-835م)، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية،

بيروت، 1408هـ/1987م.

-نعمة الله(هيكل) و(مليحة) إلياس:

موسوعة علماء الطب مع إعتناء خاص بالأطباء العرب، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ،

1411هـ/1991م.

-الهروس(مصطفى):

*المدرسة المالكية الأندلسية إلى نهاية القرن الثالث الهجري: النشأة والخصائص، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون

الإسلامية، الرباط، 1418هـ/1997م.

-الهنتاتي(نجم الدين):

المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، دار تبر الزمان،

تونس، 2004م.

-يوسف (جودت عبد الكريم):

العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

2) المراجع المعرّبة:

=أحمد (عزّيز):

تاريخ صقلية الإسلامية، ترجمة: أحمد توفيق الطيّب، الدار العربية للكتاب، 1980م.

-بروكلمان (كارل):

* تاريخ الأدب العربي، الجزء الأول والثاني، ترجمة: عبد الحليم النجار، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

* تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، الطبعة الخامسة، دارالعلم للملايين، بيروت 1968م.

-دي بوير (ج.ج.):

تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة وتعليق: محمد الهادي أبوريدة، الطبعة الخامسة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،

-سزكين (فؤاد):

تاريخ التراث العربي، ترجمة: محمود فهمي حجازي، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض، 1411 هـ/ 1991م.

-كوربان (هنري):

* تاريخ الفلسفة الإسلامية، الطبعة الثانية، ترجمة: نصير مروّة وحسن قبيسي، عويدات للنشر والتوزيع، 1998م.

-ليفيتسكي (تادايوش):

المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة: ماهر جرّار وربما جرّار، منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية.

-مارسيه (جورج):

بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة: محمود عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1991م.

-نوللكه (تيودور):

تاريخ القرآن، ترجمة وتحقيق: جورج تامر، مؤسسة كونراد أديناور، الطبعة الأولى، بيروت، 2004م.

3) الأطروحات الجامعية:

-أوكيل مصطفى باديس:

*إنتشارالإسلام في بلاد المغرب وآثاره على المجتمع خلال القرن الأول الهجري، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف الدكتور صالح بن قرية، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2006/2005م.

-بوعقادة(عبد القادر):

*المذاهب الفقهية المندثرة وأثرها في التشريع الإسلامي خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين(الثامن والتاسع الميلاديين)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف الدكتور: موسى لقبال.

-بوغزالة(عبد الكريم):

*مدرسة القراءات بالأندلس، نشأتها، تطورها، وآثارها، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الكتاب والسنة، شعبة القراءات، إشراف الدكتور رابح دفرور، قسم الكتاب والسنة، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 2005م.

-التهامي(إبراهيم علي):

* أهل السنة والجماعة في المغرب وجهودهم في مقاومة الانحرافات العقديّة من الفتح إلى القرن الخامس الهجري رسالة لنيل شهادة الدكتوراه بإشراف الدكتور سيد عبد العزيز السيلي في قسم العقيدة كلية أصول الدين جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1412هـ/1992م.

-ساحلي(آسيا):

* إنتاج وانتقال المعارف التاريخية في المغرب الأوسط، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف الأستاذ الدكتور علاوة عمارة، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2008م.

-العابد(عبد الحميد):

*علاقة فقهاء السنة بالدولة العباسية في عصرها الأول، مشروع مذكرة بحث لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف الدكتور غازي جاسم الشمري، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، 2009م.

-العواجي(غالب بن علي):

*الخوارج: تاريخهم وآراؤهم الإعتقادية وموقف الإسلام منها، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العقيدة الإسلامية، بإشراف الأستاذ الدكتور عثمان عبد المنعم يوسف، قسم الدراسات الشرعية العليا، كلية الشريعة، جامعة الملك عبد العزيز، 1398-1399هـ/

- كعوان (حفيظ):

* أثر فقهاء المالكية الإجتماعي والثقافي بإفريقيّة من ق(2-5هـ/8-11م)، رسالة مقدّمة لنيل شهادة ماجستير، في التاريخ الإسلامي، إشراف الأستاذ الدكتور إسماعيل سامعي، قسم التاريخ وعلم الآثار، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، 2009م.

- مديازة (صوريّة):

* بلاد الرّاب من الفتح إلى غاية إنتقال الفاطميّين إلى مصر (21-362هـ/642-972م)، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، تخصّص: تاريخ إسلامي، إشراف الأستاذ الدكتور: مسعود مزهودي، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، 2010م.

- مقري (سامية):

* التعليم عند الإباضيّة من سقوط الدّولة الرستميّة إلى تأسيس نظام العزّابة (296-409هـ/909-1018م) مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، تحت إشراف الأستاذة الدكتورة بوبة مجاني، قسم التاريخ، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006م.

4) المقالات:

-بحّاز (إبراهيم بكير):

*التعليم في المغرب الأوسط خلال القرون الثلاثة الهجرية الأولى (7-9م)، 20 جويلية 2009م.

المالكي (علي رؤوف):

الموارد المالية والأوضاع الإجتماعية لتاهرت كما ورد عن رسالة ابن الصّغير المالكي، العدد الثاني والثلاثون، 2014م، ص 205-217.

-الهنّاتّي (نجم الدين):

إسهام القيروان عبر التاريخ في بلورة التّوجّه المذهبي بالغرب الإسلامي، منشورات المعهد العالي للحضارة الإسلامية، جامعة الزيتونة، تونس، د.ت.

فهرس الموضوعات.

-المقدمة.

1.	تمهيد.....
22.	الفصل الأول تطوّر الدراسات الفقهيّة في عهد الدّول المستقلّة.....
23.	أولاً: بداية الدراسات الفقهيّة في بلاد المغرب قبل العهد الأعلي.....
31	ثانيًا: تطوّر الدراسات الفقهيّة في إفريقيّة الأغلبية.....
54.	ثالثًا: الحركة الفقهيّة عند الرستميين.....
64.	رابعًا: الفقه في بقيّة الدّول المستقلّة.....
70.	الفصل الثاني: تطوّر الدراسات في بقيّة العلوم النّقليّة.....
71.	أولاً: علوم القرآن.....
79.	ثانيًا: علم الحديث.....
83.	ثالثًا: علم الكلام.....
89.	رابعًا: علم أصول الفقه.....
90.	خامسًا: التّصوّف.....
93.	سادسًا: علوم الأدب.....
105.	الفصل الثالث: تطوّر الدراسات في العلوم العقليّة.....
106.	أولاً: علم التّاريخ.....
112.	ثانيًا: الطّب والصّيادلة.....
118.	ثالثًا: علم التّنجيم والفلك، والحساب، والفرائض.....
120.	رابعًا: الفلسفة.....
121.	خامسًا: الفكر التّربوي.....
123.	-الخاتمة.....
128.	-قائمة الملاحق.....
139.	-قائمة الفهارس.....
173.	-قائمة المصادر والمراجع.....
190.	-فهرس الموضوعات.....